جامعة عين شمس
كلية البنات
قسم التاريخ

رسالة

المرأة في العصر المملوكي وأهم منشآتها الأثرية

دراسة لنيل درجة الماجستير في الآداب

(تاريخ إسلامي)

إعداد الباحثة

ولاء حمدي عبد المنعم محمد النبراوي

إشراف

الأستاذة الدكتورة / سيدة إسماعيل كاشف	الأستاذة الدكتورة / علية عبد السميع الجنزوري
أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي والوسيط	أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية البنات – جامعة عين شمس	كلية البنات – جامعة عين شمس
مشرفا رئيسيا	مشرفا

٢٠٠٦

إهـــــــــداء إلى

إن الإهداء على مقدار مهدية
ولو كان يهدى إلى الوالدين قيمتهما
لآهديت لهما الدنيا وما فيها

إلى والدي

الذي بذل من أجلي الكثير ولم يبخل عليّ بشئ

إلى والدتي

التي شملتني بالعطف والحنان

وإلى كل من ساهم في اخراج هذا البحث إلى النور

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا
ان هدانا الله

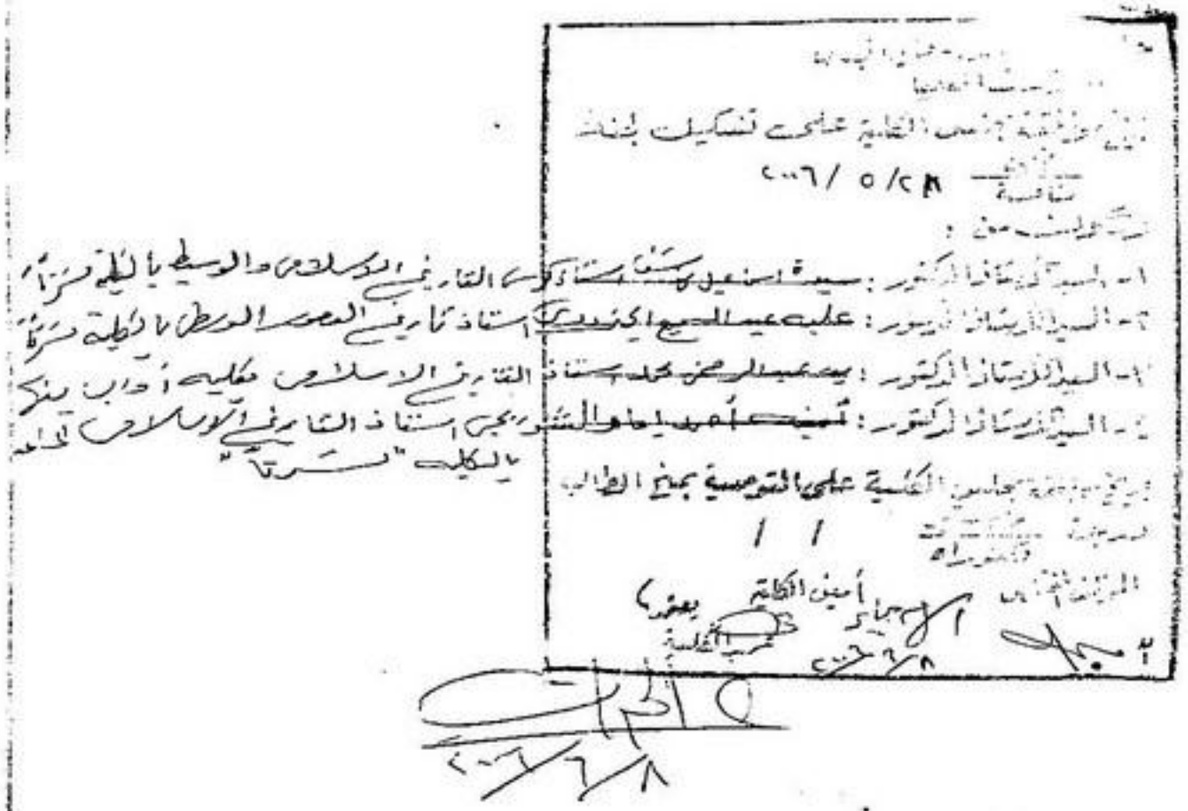

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعين به ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلي الله علية وسلم وعلي آله وصحبه ومن اهتدي بهديه إلي يوم الدين

أما بعد:

ذكر المقريزي أن " **شجر الدر أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك**"، وأجمع المؤرخون أن قيام امرأة في حكم المسلمين أمر لم يقع قبلها ولا بعدها ، من هنا تأتي أهمية ذلك البحث ، الذي تناول دور المرأة في العصر المملوكي والذي امتد من منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حتى نهايته علي يد الأتراك العثمانيين في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وقد يبدو للكثيرين أن موضوع البحث قد تناولته العديد من الأيدي ، إلا أن المدقق في ذلك البحث يري انه أول بحث تناول دور المرأة في العصر المملوكي من النواحي التاريخية والوثائقية والأثرية ، ولا شك أن الكتابات التاريخية الأثرية تميزت بالحيدة والمعاصرة للأحداث التي سجلتها ، ولم تتغير من ناقل إلي ناقل ، ولم تدخل فيها الأهواء الشخصية ، فهي لا تزال شاهد علي الأحداث ، حيث توجد الكتابات علي جدران المساجد والمدارس وشواهد القبور والأضرحة والمنازل والأربطة ، والوكالات والأبواب والأسوار والمسكوكات ، بأنواعها المختلفة ، والفنون التطبيقية كالمنسوجات والأخشاب والمعادن وغيرها .

تميز العصر المملوكي بما تركه لنا من منشآت أثرية جميلة ، وكذلك التحف الأثرية المحفوظة في متحف الفن الإسلامي ،و غيره من المتاحف بجميع دول العالم ، والتي توضح الدور البارز الذي لعبته المرأة في تلك الحقبة التاريخية ، التي تميزه عن العصور السابقة أو اللاحقة في التاريخ الإسلامي.

تلقي الباحثة من هنا الضوء علي أحوال المرأة التي عاشت في تلك الفترة ، سواء كانت من نساء القصور طبقة العامة ، ولا شك أن أحوال المرأة ارتبطت بالأحوال السياسية للدولة والتي مهدت بدورها لظهور بعض الشخصيات النسائية علي مسرح الأحداث ، والتي وصلت إحداهن إلي كرسي العرش ، وغيرهن ممن استطعن تسيير أمور وشئون الحكم من خلال السلاطين والأمراء .

منهج البحث في الرسالة

استخدمت الباحثة منهج البحث التاريخي بكافة مقوماته من حيث جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية، ونقدها نقدا ظاهريا وباطنيا ، واستبعاد الزائف منها أو ماله صلة بالميل أو الهوى ، وما كتب تحت ضغط من سطوة الحكم ، وما إلي ذلك من الكتابات غير الموضوعية ، ثم تحليل المادة المنتقاة وتركيبها وإعادة النظر فيها بعد صياغتها ، والي جانب هذا المنهج فقد استخدمت المنهج التحليلي والذي اثبت أن الحدث التاريخي يصبح عديم القيمة إذا لم يصحبه عملية تحليل وتعليل لكافة دوافعه، ونتائجه هذا بالإضافة إلي المنهج المقارن الذي يساعد علي عملية المقارنة بين الوقائع لاستجلاء حقائق تاريخية من الممكن أن تشكل إضافة علمية .

قسمت الباحثة الموضوع إلي اربعة فصول تسبقها مقدمه تبرز أهمية الموضوع ، ودراسة نقدية تحليلية لأهم مصادر البحث ، وتمهيد عن الفترة السابقة لحكم المماليك ، ودور المرأة في تلك الفترة ، أو ما تمتعت به من حرية ومكانة في المجتمع . وذيلت البحث بخاتمة وعدد من الملاحق الهامة إلي جانب قائمة المصادر والمراجع .

الفصل الأول :- وعنوانه **" نساء الطبقات العليا في العصر المملوكي وساكني القصور "** اختص بدراسة نساء الطبقات العليا ودورهن في الحياة السياسية ، وتأثيرهن علي السلاطين والأمراء ، وما تمتعن به من احترام وإجلال من السلاطين، وسيطرت بعضهن علي شئون الحكم ، كما توضح الباحثة في هذا الفصل دور الجواري والمحظيات والمكانة التي تمتعن بها وتأثيرهن في بعض

الأحيان علي سياسة البلاد وعلي شئون الحكم ، كما تناولت الألقاب التي تمتعت بها نساء القصور والتي تدل علي مدي الاحترام والتقدير والمكانة الرفيعة التي احتلتها المرأة في ذلك العصر ، كذلك تم إلقاء الضوء علي بعض الشخصيات النسائية التي كان لها تأثير في الدولة ، و تركت بصمة واضحة في تلك الفترة .

وتعرضت الباحثة للحياة الاجتماعية لنساء طبقة المماليك من زواج ومتطلباته ، والحياة داخل إطار الأسرة المملوكية ، والعلاقة بين أفراد الأسرة ،والملابس التي كانت ترتديها النساء ومدي الاهتمام بها ، مما يعكس مظاهر الترف والبذخ آنذاك ، كما تناولت أدوات الزينة والحلي والأحذية التي استعملتها النساء في ذلك العصر .

الفصل الثاني :- وعنوانه **" نساء طبقة العامة "** اختص بدراسة نساء طبقة العامة من الشعب المصري من حيث مكانتهن في المجتمع وما تمتعن به من الاحترام الذي لم يقتصر علي طبقة السلاطين والأمراء ، والدور الذي قامت به المرأة المصرية في الحياة العامة وما تمتعت به النساء في تلك الفترة من حرية ، وقد وضح ذلك من خلال نشاطها في شوارع المدينة في كافة المجالات . وتناول البحث عمل المرأة ووظائفها التي مارستها في تلك الفترة ، والمغاني وما تمتعن به من مكانة كبيرة عند السلاطين والأمراء وعرضت الباحثة أمثله لبعض منهن .

تعرض البحث الحياة الأسرية عند عامة الشعب المصري ، ابتداءا من تخطيط المنازل التي كانوا يعيشون فيها ، إلي الحياة داخل تلك المنازل ، والعلاقة بين الأزواج وبين أفراد الأسرة . والدور الذي لعبته الأم داخل إطار الأسرة وحبها لأبنائها . وكذلك الاحتفالات التي كانت تقيمها الأسرة من زواج ومتطلباته ، والاحتفال بالولادة والختان ، ودرس أيضا البحث أدوات الزينة ، وكيف كانت النساء يعتنين بجمالهن وزينتهن ، كما تناول الملابس وأغطية الرأس والحجب والحلي والأحذية التي كانت تستعملها المرأة في تلك الفترة .

الفصل الثالث :- وعنوانه **" المنشآت الدينية "** تعتبر الباحثة هذا الجزء من البحث ذو أهمية خاصة حيث أنه الدليل المادي والملموس الذي لا شك فيه علي الدور الذي لعبته المرأة ومكانتها في العصر المملوكي ، وتناولت الباحثة فيه بعض

المنشآت الدينية التي اختصت بالمرأة سواء التي أمرت بإنشائها أو أنشئت من أجلها، ومنها الأضرحة والمساجد والزوايا .

الفصل الرابع :- وعنوانه " **المنشآت الاجتماعية والتعليمية** " يختص هذا الفصل المنشآت التعليمية والاجتماعية للمرأة ومنها المدارس والأربطة التي اهتمت بتعليم أو رعاية النساء الأرامل والأيتام ، والتي تدل علي اهتمام المرأة بالتعليم في عصر المماليك .

الخاتمة : - تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث

وقد زيلت الباحثة الموضوع بمجموعة من اللوحات لبعض أدوات التجميل و المنشآت الأثرية ، وعقد زواج يرجع لفترة البحث وينشر هذا العقد لأول مرة في هذا البحث ، حيث لم يسبق نشره من قبل ، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية .

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من يد لي يد المساعدة لإتمام هذا البحث، واخص بالشكر الأستاذ الدكتور / **رأفت محمد النبراوي** لما بذله معي من جهد ومساعدة طوال فترة البحث ، والدكتور / **محمد عبد العظيم** ، والدكتور/ **مختار الكسباني** ، والدكتور/ **محمد خليل** ، والأستاذ/ **علي السيد طه** ، والسادة أمناء مكتبة دار الكتب العامة بالزقازيق ، ومكتبة كلية البنات ، ومكتبة كلية الآثار ، ودار الوثائق بالقلعة ، ومتحف الفن الإسلامي .

وأخيرا فهذا ما أعانني الله عليه ، فان أصبت فمن الله وان كان غير ذلك فمن نفسي، وحسبي محاولة الاجتهاد والله ولي التوفيق .

دراسة تحليلية نقدية للمصادر والمراجع

استلزم موضوع هذا البحث الذي بين أيدينا الرجوع إلي مصادر عديدة منها ما هو أصلي ومنها ما هو فرعي ومن هذه المصادر الأصلية التي استقت منها الباحثة مادتها العلمية :-

- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، والذي يعرف عادة باسم الخطط المقريزية ، للمؤرخ المقريزي (تقي الدين احمد ابن علي ابن عبد القادر الشافعي ، ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) : وهو من أهم الكتب التي تسجل الحياة في مصر وفي القاهرة علي وجه الخصوص في العصر المملوكي وتحديدا في مطلع القرن ، التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، إذ أن المقريزي كان يصف الحياة المعاصرة جغرافيا وتاريخيا وأثريا بدقة لا يضاهيه فيها أحد من المعاصرين ، ولد المقريزي في بلاد الشام ، إلا انه عاش في القاهرة حيث كان يستخدم أحيانا اللغة الدارجة ، وهو يرسم في كتابه صورة للحياة من خلال وصف الهيكل المعماري للقاهرة وما حولها ، من مساجد وأضرحة ومدارس واربطه وزوايا وغيرها ، كان منها ماله علاقة بالنساء في ذلك العصر لذلك كان كتاب الخطط من أهم الكتب التي استعانت بها الباحثة في ذلك البحث ، وخاصة عن حياة النساء ودورهن في الحياة السياسية ، وشئون الحكم ووصف ملابس النساء في تلك الفترة ، كما استفادت منه في جميع فصوله التاريخية والأثرية علي حد سواء .

- كتابه السلوك في معرفة دول الملوك: الذي تناول فيه المقريزي الحياة السياسية والاجتماعية في عصر المماليك ، والذي استفادت منه الباحثة في معرفة دور النساء في الحياة السياسية والاجتماعية في تلك الفترة ، وتأثيرهن علي السلاطين والأمراء ، وكذلك دور الجواري والمحظيات مثل الست مسكة ودورها في إعادة السلطان الناصر محمد ابن قلاوون إلي العرش .

- كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للمؤرخ السخاوي (شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي ، ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) : وهو كتاب جامع قيم رتب فيه السخاوي الشخصيات المهمة من أهل القرن التاسع حسب حروف الهجاء ، حيث تحدث عن الكثير من الشخصيات النسائية والتي افرد لها الجزء الثاني عشر

من كتابه ، وقد استفادت الباحثة من هذا الجزء في جميع الشخصيات النسائية التي تناولها البحث ودورهن في الحياة .

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور للمؤرخ ابن اياس (أبو البركات محمد ابن احمد ابن اياس الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)** : الذي عاش في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، وهو من طبقة أولاد الناس، وقد عاصر الفترات الأخيرة من حياة الدولة المملوكية ، ويعتبر من أهم المؤرخين المعاصرين لتلك الدولة تناول في كتابه أحوالها السياسية والاجتماعية ، وقد استفادت منه الباحثة في توضيح العلاقة بين شجر الدر وعز الدين ايبك ، وكيف دبرت شجر الدر لقتل عز الدين ايبك، وتناول كذلك أحوال نساء السلاطين الأخريات، كما اظهر بين ثنايا اسطر الكتاب معلومات مهمة عن المرأة في تلك الحقبة المملوكية ، مما جعل الباحثة تستعين به في معظم أجزاء البحث .

- **كتاب المدخل لابن الحاج (أبو عبد الله محمد ابن محمد العبدري الفاسي ، ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)** : وهو من المعاصرين لدولة المماليك ، وقد تناول في كتابه الأحوال الدينية في المجتمع المملوكي والأحوال الاجتماعية ، وكيفية العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة ، وكذلك دور المرأة ونشاطها في المجتمع والأمور المكروهة التي كانت تفعلها المرأة والتي كانت تغضبه ، وقد استفادت منه الباحثة في الأمور الدينية الخاصة بالنساء ، وخروجها للعمل و للمتنزهات ، وخروجها لتناول دروس الدين ، وحضور مجالس العلم وغيرها من الأمور الخاصة بالنساء. مما جعل الباحثة تستعين به في الفصل الثاني وخاصة في النواحي الدينية .

- **كتاب أنباء الغمر بأبناء العمر، للمؤرخ ابن حجر العسقلاني (احمد ابن علي ابن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)** : وهو من المعاصرين لأواخر الدولة المملوكية ، وهذا الكتاب يعتبر موسوعة في تاريخ الدولة المملوكية وخاصة في تاريخها السياسي والاجتماعي ، وقد استفادت منه في حياة بعض الشخصيات النسائية ، مثل خوند شرين والدة السلطان الناصر فرج ، وتندو ابنة

حسين ابن اويس زوجة الظاهر برقوق ، وغيرهما من الشخصيات النسائية التي وردت بأجزاء البحث ، وقد استعانت به الباحثة في جميع أجزاء البحث .

- **كتابة الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** : الذي تناول فيه ابن حجر العسقلاني العديد من الشخصيات النسائية ، وقد استفادت الباحثة منه في الكثير من المعلومات الخاصة بالنساء ، وخاصة الأمور المرتبطة بالجواري وتأثيرهن علي السلاطين والأمراء ، وما وصلن إليه من مكانه كبيرة في عصر المماليك .

- **كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للمؤرخ أبو المحاسن ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن ابن تغري بردي الاتابكي ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)** : والذي كان معاصرا للأحداث التي يرويها ، حيث احتوت كتاباته علي مورد خصب من المعلومات ما أتاح للباحثة الاستفادة منه في معرفة دور النساء ومكانتهن في المجتمع وما تمتعن به من احترام ، مثل خوند شيرين ، ومغل بنت البارزي ، وفي قصة وفاة عز الدين ايبك .

- **كتاب صبح الاعشي في صناعة الانشا للقلقشندى (شهاب الدين أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م)** : يعتبر كتابه موسوعة من الموسوعات الجليلة التي حبانا بها العصر المملوكي ، وموضوع الكتاب هو صناعة الانشا أو المكاتبات التي تصدر عن الحاكم ، إلا أن الكتاب يحتوي علي معلومات لا حصر لها عن العصر المملوكي ، كما اشتمل علي عدد من الجوانب في الحياة السياسية للمرأة في ذلك العصر ، كما فسر للباحثة العديد من المصطلحات التي طرحها لنا العصر المملوكي، وقد استعانت الباحثة بذلك الكتاب في أغلب عناصر الرسالة بل كلها إذ أحسن القول .

تمهيد

رفع الإسلام من شأن المرأة ، واعترف بكرامتها الإنسانية، وأعطاها كافة حقوقها، كما ورد في العديد من سور القرآن الكريم، ومنها سورة النساء ففي قوله تعالى :﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾[1]، كما منحها الحق في التعليم كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[2] فتمتعت المرأة بمكانه كبيرة في المجتمعات الإسلامية[3]. بينما كانت المرأة في الغرب المسيحي ممتهنه امتهانا شديدا ويكفي انه أبيح ضربها ضربا مبرحا قاسيا لأتفه الأسباب، وكل ما استطاعت الكنيسة أن تفعله للتخفيف عنها هو ذلك المرسوم الطريف الذي حدد حجم العصا، وطولها ، وسمكها التي يجوز أن تستخدم في ضرب المرأة [4] .

تميزت الفترة التي سبقت حكم المماليك بالتسامح الديني ، حيث أن المجتمع في تلك الفترة لم يكن مقتصرا علي المسلمات ، بل شكلت الذميات من مسيحيات ويهوديات جزءاً من ذلك المجتمع ، مما كان له تأثير إيجابي في الدور الذي قامت به المرأه المصرية من خلال مشاركتها في الحياة العامة، ومطالبتها بحقوقها

١- القرآن الكريم : سورة النساء ، آية ٧.
٢- القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، آية ٣٤
٣ - القلقشندي (شهاب الدين احمد ابن علي ، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) : صبح الاعشي في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٩ م ،ج٧ ، ص ١٦٦ ؛ ابن إياس (أبو البركات محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري ،(ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٤م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق ، محمد مصطفي ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ / ١٩٨٤م ، ج١ ، ص ٢٠٩ .
٤- العمري (ياسين ابن خير الله الخطيب) : الروضة الفيحاء في تاريخ النساء ، مخطوط رقم ١٦٩٤ ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ص ٢٦١ ؛ سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧ م ، ص ٤٧٥.

وحريتها.[1] وفي عهد الدولة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩- ١١٧١م) دافعت المرأة عن حريتها في عدة مواقف، منها على سبيل المثال لا الحصر، عندما فرض الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ / ٩٩٦ -١٠٢٠ م)على المرأة ألا تبرح منزلها وترتب على ذلك حبس النساء في منازلهن فيما عدا بعض الفئات المستثناة مثل الغاسلة التي سمح لها بالخروج في وقت المنع لتغسيل الموتى وهي تحمل ورقه من المحتسب لكي تستطيع التحرك ، واستمر ذلك المنع لمدة سبع سنوات، فقامت بعض النساء بتقديم رقاع للخليفة يشرن فيها إلي عدم وجود من يقمن بخدمتهن ، وان فيهن من لا زوج لها[2] ، وكانت المرأة تقدم تلك الرقاع بنفسها لتعرض فيها شكواها[3].

كذلك تزعمت المرأة المصرية بعض المظاهرات، أثناء الشدة المستنصريه (٤٥٧ -٤٦٤ هـ /١٠٦٥ ـ ١٠٧١ م) [4] ، وانتقدت سياسة الدولة بسخرية ، مما جعل الخليفة المستنصر يعيد النظر في تلك الأمور ، ويحاول أن يجد حلا بأقصى

١ - المقريزي : (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الشافعي ، ت٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمي محمد احمد ، ١٩٧٣م ، ج ٢، ص ١٣٧ ؛ الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد ، ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ م ، ج٣، ص٢٩ ؛ حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٤.

٢ ـ ابن كثير (الحافظ ابن كثير القرشي ، ن ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ج١٢، ص٩ ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ١٢٠٧ هـ ، ج ٢ ،ص ٢٨٧- ٢٨٨ ؛ نريمان عبد الكريم : المرأه في مصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ ، ص ٩٠.

٣- ابن إياس: (أبو البركات محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري ت٩٣٠ هـ /١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق ، محمد مصطفي ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ /١٩٨٤ م ، ج١ ، ص ٤٧.

٤ ـ المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق ، محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ أنظر أيضا عبد المنعم ماجد : " امرأة مصريه تتزعم مظاهره" ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٧ ، العدد الرابع والعشرون ، ص ٣٧ فتذكر عبد المنعم ماجد (أن امرأة مصرية كانت على قدر من الثراء قد باعت عقدا يساوي ١٠٠٠ دينار ، لتحصل على قليل من الدقيق، ولكن نهب الناس الدقيق وهي في الطريق ، وأخذت منه ما يعجن فرصة وأخذتها وذهبت إلى قصر الخليفة ووقفت في مكان مرتفع ورفعت القرصة ليراها الناس ونادت بأعلى صوتها ساخرة يا أهل القاهرة أدعوا لمولانا المستنصر لأن القرصة تكلفت ١٠٠٠ دينار. (عبد المنعم ماجد : المرجع نفسه)

سرعة ممكنه [1]، أما من الناحية السياسية فنجد في العصر الفاطمي شخصيات نسائية هامة لعبت دورا كبيرا في تحريك دفة الحكم ، مثل الأميرة ست الملك أخت الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦- ٤١١هـ / ٩٩٦- ١٠٢١م) [2]، والملكة أم المستنصر بالله (٤٢٧- ٤٨٧هـ / ١٠٣٥- ١٠٩٤م) [3]

انتشر في فتره حكم الفاطميين البذخ والترف ، كما كثر خروج النساء إلي الشوارع متبرجات وبدون حجاب، كذلك اقبلن علي شرب الخمر واختلطن بالرجال[4] والراجح أن ذلك الأمر اقتصر علي فئة معينة من نساء المجتمع بدليل" حضور معظم النساء المجالس الدينية التي تعقد في الجامع الأزهر لتعليمهن أصول المذهب الشيعي" [5] ، بالإضافة إلى وجود بعض النساء اللاتي عرف عنهن ميلهن للعبادة مثل "أم الخير الحجازية"، التي كانت تقوم بإلقاء حلقات الدرس للسيدات في جامع عمرو بن العاص[6] ،" وفاطمة بنت الأشعث" التي كانت من عابدات مصر.[7]

١- المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢٥ ـ ٢٦.

٢- العمري : الروضة الفيحاء ، ص٢٦١ ؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي ابن أبي كرم محمد ابن محمد عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧.ج٩ ، ص١١٨-١٢٠

٣- ابن الميسر (تاج الدين محمد ابن يوسف بن جلب راغب ، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) : المنتقي من أخبار مصر ، انتقاه تقي الدين أحمد ابن علي المقريزي ، حققه أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي للآثار الشرقية ، القاهرة ص١٠ ؛

٤- المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمه الفاطميين الخلفا ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص ١٩٩.

٥- المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ١٢٠٧ هـ ، ج١ ، ص ٣٩١.

٦- المقريزي: الخطط ، ج٢ ، ص٤٥٠. بني عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط سنة ٢١ هـ /٦٤٢ م وكان بناؤه باللبن وطوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون وهو أول مسجد بني في مصر الإسلامية ولهذا سمي تاج الجوامع ، والجامع العتيق ولم يكن المسجد مركزا للشعائر الدينية فقط إنما كان مدرسة دينية علمية وكان مركزا للقضاء وكل ما يخص شئون المسلمين (سيده إسماعيل كاشف : مصر الإسلامي من الفتح العربي إلي نهاية الدولة الإخشيدية (٢٠٠ ـ ٣٥٨ هـ / ٦٤١ ـ ٩٦٩ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ ، ص٤٣).

٧- ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ، بولاق ١٩٠٧ ، ص ٧٩

أما عن النساء وما وصلن إليه من مكانة مرموقة في العصر الأيوبي (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٧١- ١٢٥٠ م)، وخاصة في نهاية حكم الدولة وتمثلين **"شجر الدر"**، التي أطلق عليها لقب ملكة بعد توليها زمام الأمور [١] ، كذلك ظهر في عهد الأيوبيين العديد من الشخصيات النسائية ، اللاتى كان لهن دور بارز ومكانة كبيرة . ومن تلك الشخصيات ، **" ست الشام"** وهي بنت أيوب بن شاذي، وهي من أشهر نساء البيت الأيوبي ، تزوجها ناصر الدين ابن عمها أسد الدين شيركوه، وهي من النساء اللاتي عرفن بكثرة البر والمعروف والإحسان والصلاة ، وكان يقصدها الناس لقضاء حوائجهن [٢]. كذلك **" أم الملك الكامل"** التي كانت لها مكانه كبيرة ، فقد أكرمها الملك الكامل في حياتها وبعد مماتها ، وأقام لها مدفنا بجوار مدفن الإمام الشافعي، وعين عليه قراء، وأجري الماء إلي مدفن الإمام الشافعي، مما عمر المنطقة، وقد اتخذ الناس المنطقة مدفنا لهم في سنة(٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م)[٣]، وكانت زوجة الملك الكامل ذات نفوذ قوي علي زوجها[٤]، ولكن علي الرغم من قوة نفوذ هؤلاء النساء ، فإن أقوي امرأة ظهرت في عهد الأيوبيين كانت **"شجر الدر"** التي وصلت إلي العرش، واشتهرت

١- المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك ، تحقيق دكتور محمد مصطفي زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٩م، ج١ ، ص ٤٥٩ .

٢- إبراهيم الحنبلي (أبو البركات الحنبلي عز الدين احمد ابن إبراهيم نصر الله الكناني العسقلاني الأصل ثم المصري الحنبلي ، ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق وتعليق مديحه الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م ، ص ٣٤٢ ؛ أنظر ايضا **عصمت عبد الله مجاهد رشيد** : الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر في عصر الدولة الأيوبية ٥٦٧- ٦٤٨ هـ /١١٧١ ـ ١٢٥٠ م مخطوط رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، جامعة الزقازيق، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٠٧ .

٣- **المقريزي** : السلوك في معرفة دول الملوك ،ج١ ، ق١ ، ص ٢٩٣ ؛ الخطط ، ج٢ ، ص ١١٩ ، ٤٦٢.

٤- **المقريزي** : السلوك في معرفة دول الملوك ، ج١ ، ق١ ، ص ٣٦٠؛ انظر ايضا **عصمت عبد الله مجاهد رشيد** :المرجع السابق ، ص ١٠٨.

بالدهاء والذكاء والجمال.[١] تمتعت نساء البيت الأيوبي بقدر من الهيبة و المكانة الرفيعة، وظهر ذلك فيما أطلق عليهن من ألقاب.مثل لقب خاتون[٢] **"غازيه خاتون، وفاطمة خاتون ابنة الملك الكامل بن العادل "**.[٣]

أما عن نساء العامة ، فقد ظهر دورهن في نواحي الحياة المتعددة، وخاصة فيما مارسن من مهن ومشاركتهن في مجالس العلم لسماع الحديث والفقه وعلوم الدين [٤]، وعلي الرغم من أن عمل المرأة لم يكن مألوفا في القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين فإن عمل المرأة كان شائعا إلي حد ما في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[٥].

وقد تمثلت تلك المهن التي مارستها النساء فيما يلي : "الماشطه" التي كانت تقوم بتحضير العروس يوم زفافها، وعملت بتلك المهنة كلا من المرأة المسلمة والذمية[٦]، **" والقابلة"** وهي التي تساعد الزوجة في الولادة، وهي على حد تعبير بن

١- **أبو البركات الحنبلي**: شفاء القلوب في مناقب بن أيوب ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٦ م ، ص ٣٤١ .

٢- **خاتون** : لفظ تركي معناه السيدة وهو لفظ يشير إلي الجليلات من النساء وخصوصا أميرات الأسر الحاكمة (**حسن الباشا** : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ١٩٥٧م ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٦٤- ٢٦٥) .

٣- **أبو البركات الحنبلي** : المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

٤- **المقريزي** : السلوك ،ج٢ ، ق ١ ، ص ٣٥٨.

٥ **Goitein** ; The Cairo geniza as a source for the history of muslim - civilization in study Islamic , Arabica 1955, vol , III , p . 324

٦- **المقريزي** : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص ٥٣١ .

مختصة بالنساء في غالب الأمر، لما لأنهن الظاهرات بعضهن علي عورات
وتسمي القائمة علي ذلك منهن القابلة ،استعير فيها معني الإعطاء والقبول، و
النساء تعطيها الجنين وكأنها تقبله "[1] ، أما عن "**البلانة**" فهي التي كانت
النساء إلي الحمامات للزينة ، و يقال أن بعض الفقهاء حذر من انكشاف عورة
المسلمة علي الذمية ، في الحمامات[2]، " **والخاطبة**" التي كانت تحرص علي
البيوت لتوفق للعريس العروس المناسبة له[3]، أما مهنة "**الدلاله**" فقد وجدت
النساء المسلمات من الطبقات العليا لم يكن من الميسور لهن الخروج إلي السوق،
ما يلزمهن من ثياب، وكانت الدلالة توفر لهن لحتياجاتهن. وكانت تلك المهنة
لمن تعمل بها أن تدخل البيوت وتتعرف علي أحوال النساء [4]، وكانت تلك
تدر دخلا كبيرا علي من تعمل بها ، ويتضح ذلك من ثروة إحدى الدلالات التي
بـ"**الوحشة** " ، وقد "وصلت ملكيتها خمسة أضعاف قيمة جهازها"[5]، مما
على مدى تضاعف ثروتها من عائد مهنتها، وكذلك "**المعلمة**" والتي اقتصر
فيها على المرأة الذمية خاصة اليهودية وكانت تقوم بتعليم الفتيات فن التطريز
من الإبرة، وغيرها من الإعمال الأخرى التي كانت تمارسها المر أه في تلك

١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) : المقدمة ، طبعة دار الجيل - بيروت - ١٩٨٨ ، ص ٤١٢ .

٢- محمد ابن الحسن الشيباني : كتاب السير الكبير ، تحقيق صلاح الدين منجد ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

٣- ابن دنيال الموصلي : طيف الخيال ، ص ٣٩ - ٤٩ ؛ أنظر أيضا سعاد ماهر : الحمامات في مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١٥ .

٤- ابن إياس : بدائع الزهور ، ص ٥٦ .

٥- Goitein , med, soc , III , p . 352

العصور[1]. و بالاضافه إلي **المغنيات** اللاتي كانت لهن مكانه كبيرة ونفوذ قوي لدى السلاطين بالقاهرة مثل المغنية "**عجيبة** " والتي حظيت عند السلطان الكامل محمد (٦١٥- ٦٣٥ هـ / ١٢٠٨- ١٢٣٨م) ، وكانت تتردد علي قصره من وقت إلي آخر[2] ، وقد امتلأت مجالس السلاطين بالمغنيات اللاتي يقمن بالغناء والرقص مثل مجالس الملك العزيز(٥٨٩- ٥٩٥ هـ/ ١١٩٣- ١١٩٨م) ، والسلطان الكامل محمد (٦١٥-٦٣٥هـ /١٢١٨- ١٢٣٨ م) ، والملك العادل الثاني (٦٣٥ – ٦٣٧ هـ / ١٢٣٨- ١٢٤٠م) [3].

وقد ظهرت مشاركة النساء في الحياة العامة أيضا ، في الخروج للمتنزهات والاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة، مثل عيد شم النسيم والغطاس وعيد الميلاد وذلك عند بركة الحبش . وقد " بلغ عدد متنزهات القاهرة ثمانية عشر متنزها " [4]، و كانت المرأة تخرج إلي القبور وتزور أولياء الله الصالحين مثل مشهد السيدة نفيسة ، وقبة الإمام الشافعي" ، وفيها القبة العالية المزخرفة التي فيها قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه وبها مسجد جامع ومقابر كثيرة عليها أوقاف للقراءة ومدرسة كبيرة للشافعية ، ولا تكاد تخلو من الطرب ولا سيما في الليالي المقمرة وهي معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم " [5]، كما حرصت النساء علي مشاهدة مواكب الصوفية كل يوم جمعه ، من فوق أسطح المنازل أو من الشرفات[6] .

١- Goitein , med, soc , III , p . 352

٢- **عبد اللطيف حمزة** : الحياة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ٣٠٧ .

٣- **نبيل محمد عبد العزيز محمد** : الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك ، ط ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٢ .

٤- **المقريزي** : السلوك ، ج ٢ ، ق١ ، ص ٣٥٨ ؛ انظر أيضا **عبد محمد أبو زيد** : مجتمع القاهرة في العصر الأيوبي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الأداب ، فرع بنها ، ص ١١٢ .

٥- **المقريزي** : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، (ومن بساتين القاهرة بستان البعل ، والتاج ، والخمسة ، وجوه ، و الروضة ، والمشتهي ، **المقريزي** : الخطط ، ج١ ، ص٤٩٠)

٦- **المقريزي** : الخطط ،ج٢ ، ص ٤١٥ .

أما بالنسبة لتعليم النساء في تلك الفترة فيبدو انه كان مهملا إلي حد ما ، فلم يكن من المألوف أن تتلقي الفتيات تعليمهن في المدارس ، وربما رجع ذلك إلي أن مشاركة المرأة لم تكن فعاله في المجتمع ، ولم يكن لها الحق في الخروج بصورة دائمة[1] ، ومع ذلك كان هناك نساء يعرفن القراءة والكتابة ، ويشاركن مشاركة فعاله في النشاط الثقافي في العصر الأيوبي، ويسجل لنا التاريخ أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالنحو ، ونظم الشعر[2] كما اشتهرت العديدات من النساء في مجال الطب ، والمداواة مثل **أخت الحفيد بن زهر الاندلسي وابنتها** ، أما من اشتغلن بالفقه فعددهن كبير وقد دأبت بعضهن علي التنقل بين البلاد للسماع من كبار المحدثين[3] .

ومع ذلك فقد كان اشتراك المرأة المسلمة في مجالات العمل محدودا ، وكان النصيب الأوفر للمرأة الذمية ، وخاصة اليهودية إلي جانب النساء الأرامل والمطلقات ونساء الطبقات الفقيرة ، اللاتي لا يملكن شيئا ولا يستطعن انتظار الإحسان في منازلهن ، فكان من الضروري لهن الخروج إلي الطرق العامة للعمل ليحصلن علي الحد الأدنى لاحتياجاتهن اليومية[4] .

لكن بالرغم من الدور البارز التي لعبته المرأة في تلك الفترة في الحياة العامة واحترام عامة الشعب لها ، فإن ذلك لم يمنع وجود بعض القيود الاجتماعية ، التي فرضت علي المرأة وخصوصا في صعيد مصر ، والدليل علي ذلك ما قاله بن جبير عن مدينه قنا احدي محافظات الصعيد " وهي من مدن الصعيد بيضاء أنيقة

١- **ابن الأخوة (محمد ابن محمد ابن احمد القرشي ، ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٦م) : معالم** القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، وصديق احمد عيسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م ، ص ٢٦١-٢٦٢ ؛ **انظر أيضا نيرة عبد النبي :** المرأة في مصر في العصر الأيوبي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر ، ص ٣٣ .

٢- **ابن حجر – أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩ م) :** الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٢٩-١٩٣٢م ، ج٤ ، ص ٣٩٥

٣- **السخاوي- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ / ١٩٤٧ م) :** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٢٥- ١٣٥٥ هـ ، ج ١٢ ، ص ١١٩ .

٤- **أولج فولكف :** القاهرة مدينة ألف ليله وليله " ترجمة احمد صيلحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م ، ص ١٠٩ ؛ **انظر أيضا نريمان عبد الكريم :** المرأة في مصر الفاطمية ، ص ٧٦ .

المنظر .....ومن مآثرها المأثورة صون نساء أهلها والتزامهن البيوت فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البتة صحت بذلك الأخبار عنهن وكذلك نساء دشنة "[1] ، يصف ابن جبير مدينة قنا بالجمال في مبانيها وتقاليدها حيث لم تكن النساء تخرج من بيوتهن أبدا للحفاظ عليهن ولا يظهرن في الشوارع ، ومع ذلك فلم تستسلم المرأة لتلك القيود واستطاعت أن تساهم بنصيب كبير في الحياة العامة ، ووقفت بجوار الرجل جنبا إلي جنب لتكسب قوت يومها[2] .

أما عن طبقة الجواري ، فهي من السمات العامة لدول العالم الإسلامي في تلك الفترة ، وكان وجودها في قصور الخلفاء ولدي طبقات المجتمع المختلفة بصورة كبيرة ، فقد كانت الجواري في المجتمعات الإسلامية أحسن حالا من أوربا، لأن الإسلام بطبيعته السمحة يبيح الزواج من الجواري ، وأن الجارية التي تنجب من سيدها تصبح أم ولد وحرة بعد موته ، وقد امتلأت القصور بالجواري والمحظيات وكن يمتلكن ثروات كبيرة تأتي لهن عن طريق الهدايا[3] . أما عن الجواري اللاتي يعملن لدي طبقات المجتمع فكانت مهمتهن الخدمة في المنازل فكان بكل منزل جاريه أو اثنتين بالنسبة للناس الموسرين ، فكانت هناك الجارية التي تقوم بتربية الأطفال أو الوصيفة[4] ، و" كانت الجارية النوبية تفضل عن باقي الأجناس للخدمة في المنازل وكذلك الجارية صغيرة السن والتي ليس لديها أطفال حتى تؤدي عملها بنشاط دون أن تتأثر بأحد "[5] .

نستشف مما سبق أن المرأة المصرية في تلك الفترة لم تكن مستسلمة للأوضاع القائمة بل سعت للحصول علي حقوقها وحريتها لكن جميع النساء سواء ساكني القصور أو نساء العامة اتصفن بصفة مشتركة هي الاهتمام بجمالهن مما اثر علي تقدم أدوات التجميل .

١- **ابن جبير** (أبو الحسن محمد ابن احمد البلنسي ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) : تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير ، ط١ ، ملزمة الطبع والنشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ص ٥١ .

٢- **الشريبني (يوسف ابن محمد ابن عبد الجواد ابن خضر الشريبني) :** هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ، بولاق ١٢٧٤هـ ، ص ٥٣-٥٤ .

٣- **المقريزي :** اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

٤-

٥- **ابن الأخوة :** معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص٢٤٣ .

Goitein , med, soc , I , p . 135

الفصل الأول

مقدمة

دور المرأة في الحياة السياسية

- نساء السلاطين والأمراء
- الجواري والمحظيات

الألقـــــاب

الجهة - الحجاب - خوند

الدار - الدرة - الست

- شجر الدر
- بركة خاتون
- خوند شيرين
- تندو ابنة حسين ابن قويس
- خوند جلبان بنت عبد الله الجاركسية
- خوند مغل بنت البارزي

الحياة الاجتماعية

١- الزواج

٢- الأســرة

٣- الملابس

٤- أغطية الرأس

٥- الزينة

٦- الحلي

٧- الأحذية

مقدمة :

نشأت دولة سلاطين المماليك(٦٤٨ –٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ –١٥١٧م) في مصر في خضم أحداث عصيبة ، حيث كانت منطقة الشرق والعالم الإسلامي تتعرض لخطر داهم يجتاح المنطقة ، وهو خطرا لصليبيين والمغول[١]، وكان النشاط الحربي هو المسيطر على مسرح الأحداث ، إلا أن عصر سلاطين المماليك لم يكن قاصرا على النشاط الحربي فقط بل شهد نشاطا حضاريا واسع النطاق ، فإلى جانب الدور الذي لعبه المماليك في الدفاع عن مصر والعالم الإسلامي ، أصبحت مصر في تلك الفترة قصبة التجارة العالمية ، والمعبر الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب ، كما شيدت المنشآت الدينية والتعليمية وانتعشت العلوم والدراسات في ذلك العصر[٢] ، كما أن مصر عاشت فترة سلام امتدت أكثر من قرنين مما أثر على الحالة الداخلية من رخاء ونمو ، وصارت مصر هي معقل الحضارة الإسلامية [٣].

كذلك كان للمرأة نصيب كبير من الاهتمام ، حيث أننا لا نستطيع أن نغفل أن أول سلاطين المماليك كانت من النساء وهي " **شجر الدر**" التي لعبت دوراً هاما في التاريخ ، ويرجع ذلك إلى قوة شخصيتها[٤].

١- **المقريزي : السلوك** ، ج١ ، ص ٢٥٩- ٢٦٠ ؛ **قاسم عبده قاسم :** عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ص ٢١٩

٢- **القلقشندي (شهاب الدين احمد ابن علي ، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) :** صبح الاعشي في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٩ م ، ج١ ، ص٤٦٧ ؛ انظر أيضا **سعيد عبد الفتاح عاشور :** تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٣ ، ص ٤٤٩ .

٣- **ابن اييك الدواداري (أبو بكر ابن عبد الله ابن ايبك الدواداري) :** كنز الدرر وجامع الغرر ، انظر أيضا نشر هانس روبرت رويمر ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٣٦١ ؛ **قاسم عبده قاسم :** المرجع السابق ، ص ٢١٩.

٤- **المقريزي : السلوك** ، ج١ ، ص ٣٩٢ ؛ **انظر أيضا أحمد محمد العبادي :** تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٧.

والحقيقة أن تلك الفترة كانت من أهم الفترات التي وضحت فيها دور المرأة جليا، في الحياة العامة ، وكذلك في كافة شئون الحياة ولكن الدور الأكبر الذي ظهر لنا بوضوح كان الدور السياسي الذي لعبته المرأة في ذلك العصر ، الذي استمر حوالي قرنين ونصف من الزمان ، فنجد أن زوجات السلاطين والأمراء كان لهن دور وتأثير كبير على أزواجهن وأبنائهن في الحكم ، فمنهن من كانت تحكم من وراء ستار ، ومنهن من كانت تسيطر على مقاليد الحكم ، ومن كان لها تأثير كبير على السلطان' مثل " **بركة خاتون**" التي كانت تتمتع بنفوذ كبير علي ابنها السلطان الاشرف شعبان[1](٧٦٤- ٧٧٨هـ / ١٣٦٣- ١٣٧٦م) ، وليس ذلك فقط ، بل كان لها كلمة علي الأمراء، وكذلك " **خوند شيرين** " التي كانت ذات كلمة وسلطة أثناء سلطنة ابنها السلطان الملك فرج (٨٠١- ٨٠٨هـ / ١٣٩٩- ١٤٠٥م)[2] ، وكذلك " **خوند زينب** " احدي زوجات السلطان أينال (٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٣- ١٤٦١م) التي كانت تدبر شئون الملك من عزل وولاية ، وكانت نافذة الكلمة[3] . هنا يجب علينا أن نوضح نقطة هامة ، وهي اهتمام السلاطين بنسائهن فلم يكن السلاطين والأمراء يبخلن على نسائهن بالمال والمتاع، فقد ذكر خليل بن شاهين في كتابة " زبدة كشف المماليك " أنه " لو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتجنا إلى عدة مجلدات ، وقد بلغنا أن إحدى زوجات السلاطين بلغت ثروتها بعد وفاتها ستمائة ألف دينار "[4]

١- الأشرف أبو المفاخر شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولد سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣م وولي الملك في يوم الثلاثاء ١٥ شعبان ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م ؛ انظر **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ط٢، ج١ ، سنة ١٩٩٤ ، ص ١٨٢ .

٢- **ابن حجر** : إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج١ ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، دائرة الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص٤١٠ .

٣- **ابن اياس** : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ١٨٩ .

٤- **بن شاهين** - خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م) : زبدة كشف الممالك باريس ١٨٩٤، ص١٢١.

أما عن الثروة الطائلة التي تركتها "**خوند**[1] **زهرة** " ابنة السلطان الناصر[2] محمد بن قلاوون " ، وزوجة الأمير" طاز فمنها قيقاب مرصع بلغت قيمته أربعين ألف درهم" [3].
كما كان بعض السلاطين يصحبون نساءهن في نزهاتهم الخلوية وعندئذ يخرج الحريم السلطاني على خيول في محطات مغطاة بالحرير ويحيط بها ساتر الأمراء والمماليك والخدام وتخلى الطرق من الناس، وهو ما رواه لنا المقريزي أنه عندما إصطحب السلطان الناصر محمد في إحدى المرات حريمه من القلعة إلى الجيزة " أخلى الطريق من الناس وأغلقت الحوانيت ونزلت خوند طغاي زوجة السلطان والأمير أيدغمش ماش يقود عنان فرسها بيده وحولها ساتر الخدام مشاه فقد ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل" .[4]

أما فيما يتعلق بخروج نساء السلاطين و أمهاتهم إلى الحج، فنجد أن السلطان كان يهتم بهذا الحدث فيجهزهن بجهاز عظيم ، فكانت تسافر في برج كبير على

---

١ - **خوند** : انظر الألقاب بهذا البحث ، ص ٢٣

٢- **الناصر** : استعمل كلقب ، وكان يقصد به الناصر لدين الله ، وقد شاع استعماله في عصر المماليك فأطلق على الناصر محمد ابن قلاوون والسلطان حسن والسلطان شعبان والسلطان فرج والسلطان أبو النصر شيخ ، (**انظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ** والوثائق والآثار،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ ، ص ٥٢٧- ٥٢٨).
- تولى الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة ثلاث مرات ، كانت المرة الأولى (٦٩٣ – ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ –١٢٩٤ م) وكان طفلا صغيرا لم يتجاوز تسع سنوات ، والمرة الثانية(٦٩٨ –٧٠٨ هـ /١٢٩٨ –١٣٠٨م) والمرة الثالثة (٧٠٩ –٧٤١هـ/ ١٣٠٩ –١٣٤٠م)، انظر (**سعيد عاشور** : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٦٦ – ٢٧٩ .)

٣- **المقريزي** : السلوك في معرفة دول الملوك ،ق١ ج٢ دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٠ ص٨١٤ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، ت٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)** : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، ط١ ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ – ١٩٧٢ م ، ص١٠٤ . وعن الكتابات وزخارف تلك النقود والدراهم(انظر **رأفت النبراوي النقود الإسلامية منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع ج١** القاهرة ٢٠٠٠م .)

٤- **المقريزي** : السلوك ق١ ج٢ ، ص ٢٤٠.

جانبيها العصائب السلطانية ، وتدق الطبول حولها وتتبعها الجمال محملة بكل أصناف الكماليات في حين يتبعها عدد كبير من الأمراء[1]، ويصف لنا المقريزي موكب حج **"خوند بركة أم السلطان شعبان "بقولة "** في سنة (٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) حجت خوند والدة السلطان في تجمل عظيم ومعها الكوسات[2]، والعصائب السلطانية[3] ، وعدة جمال تحمل الخضر المزروعة ، وفي خدمتها الأمير يشبك العمري والأمير بهادر الجمالي ومائة من المماليك السلطانية "[4]، وعندما وصلت إلى الأراضي المقدسة علي ذلك النحو من الأبهة والعظمة " ، أنفقت بالحرمين الشريفين أموالا كثيرة وعادت إلى القاهرة "[5] ، وأما موكب حج **"خوند جلبان "** زوجة الملك الأشرف[6] برسباي (٨٢٥ -٨٤١ هـ/١٤٢١ -١٤٣٧م)

١- أبو المحاسن ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨، ص٣٥٦ ، النجوم الزاهرة ، ج١١ ، ص ٥٨ .

٢- **الكوسات :** هي الصنوجات النحاسية وتشبه النروس الصغيرة يدق بإحداها على الأخر بإيقاع مخصوص ، ومعها طبول وهي من الرسوم السلطانية ، ويدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة ، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء ، ومرة قبل التسبيح على المآذن وتسمى الدورة بذلك في القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه ، (**القلقشندى- الشيخ أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م**) : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، طابعة دار الكتب المصرية ١٣٣١ - ١٣٣٨هـ / ١٩١٣- ١٩١٩م ، ج٤، ص ٩-١٣.

٣- **العصائب السلطانية :** هي الصحبة من الناس والخيل والطير ، ومن الرجال ما بين العشرة والأربعين (**الشيخ الامام محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي**) : مختار الصحاح ، ط١ ، ١٩٨٨ ، مكتبة لبنان ، ص ١٨٣ .

٤- **المقريزي** : السلوك ق١، ج٣ ، ص ١٧٧.

٥- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٣٥٦ .

٦- **الاشرف :** فعل التفضيل من شريف بمعنى عادي ، وكان ذلك اللقب رفيع القدر في عصر المماليك نظرا لإقبال السلاطين على التلقيب به، وقد واجه ذلك اللقب بعض المشاكل في أواخر عصر المماليك بعد وفاة السلطان الاشرف قايتباي وتولية ابنه محمد وتلقيبه " بالسلطان الناصر " حيث احتجت المماليك الأشرفية وطالبوا السلطان الناصر بتغيير لقبه إلى الاشرف ليصبحوا منتسبين إليه وتنضم إليهم مماليكه الخاصة الناصرية ، وقد ردخ لهم خوفا من الفتنة.(حسن الباشا : الألقاب ، ص ١٦٠-١٦١) .

التي حجت في سنة (٨٣٤هـ / ١٤٣١م) "، وكان معها في خدمتها خشقدم والزيني عبد الباسط ناظر الجيش وغيرهما، في عظمة زائدة ومفرطة"[1] ، وقد قام السلطان بتجهيزها تجهيزا عظيما و" نصب في الودك (الخيمة) المتعلق بها على شاطئ النيل وكان أمرا مهولا ، سافروا بالمحمل من أجلها في ٧ شوال، ورحلوا به من البركة[2] يوم الحادي والعشرين منه قبل العادة بثلاث أيام[3].

ولم يكن تمتع المرأة في عصر سلاطين المماليك بالاحترام والتقدير في حياتها فقط ، بل استمر إلى ما بعد رحيلها إلى العالم الأخر ، فعند وفاة إحدى زوجات السلاطين أو الأمراء ، كانت تشيع في مشهد عظيم وأمامها القضاة الأربعة والأمراء والمقدمين وينزل السلطان و الخليفة وكل موظفي الدولة للصلاة عليها[4] ،كما كان السلطان أو الأمير يقوم بتوزيع الصدقات والأموال الكثيرة على روح الفقيدة[5].

وقد بلغت بعض نساء السلاطين والأمراء وغيرهن مكانا رفيعا في قلوب الناس ، فمثلا عند وفاة **"خوند سكر الجركسية"** في ربيع الأول سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦)، يقول ابن إياس " أنه في ربيع الأول سنة ٩٢٢هـ في يوم الثلاثاء التاسع

١- ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨، ص١٥ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٢ ،مكتبة القدس القاهرة سنة ١٣٥٥هـ، ب ط ، ص ١٧ .

٢ - **البركة** : المقصود بها هنا بركة الحاج ، التي تقع علي مسافة ٢٢ كم شمال القاهرة ، وكانت في العصر المملوكي عبارة عن ارض منخفضة تملأ وقت الفيضان بماء النيل ، عن طريق الخليج الكبير ، وكانت مساحتها خمسمائة فدان ، وقد تمتعت بأهمية كبيرة في تاريخ مصر بحكم موقعها الاستراتيجي الهام بصفتها أول و أخر محطة للذاهبين والعائدين بطريق الحج ، والتجارة للحجاز والشام ، وكذلك متنزها كبيرا ، ومضمارا للرياضة والصيد حتى نهاية العصر العثماني ، وكانت متنزها للخلفاء والملوك والسلاطين والولاة طوال التاريخ الإسلامي والعثماني ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ٢٠٠١م ، ص ١٠٢) .(**محمد الششتاوي سند الرفاعي** : منشآت رعاية الحيوان بالقاهرة في العصرين المملوكي

٣- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج ٨ ، وص ٢٣٥-٢٣٦.

٤- **ابن حجر** : المصدر السابق ، ج٢ ورقة ١٤٠ أ ؛ **المقريزي** : السلوك ، ج٢، ص ١٦٥ ؛ **ابن الصيرفي علي بن داود الجوهري** ت ٩٠٠ هـ /١٤٩٥م) :إنباء الهصر بأبناء العصر ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٠م ص ٧ ، ٥٢ ، ١٨٦ ؛ **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢، ص ١١٤؛ **ابن إياس** : بدائع الزهور . ج٢ ص ٢١٤ ، ج٣ ، ص ١٨ .

٥- **ابن إياس** : بدائع الزهور، ج٣ ، ص١٨

عشرة فيه توفيت خوند جان سكر الجركسية ، مستولدة السلطان ، وهي أم ولده الذي توفى ، وكانت دينة خيرة قليلة الأذى فلما شيع موتها، طلع الخليفة والقضاة الأربعة وسائر الأمراء والأعيان فصلى عليها الخليفة عند باب الستارة ، ونزلوا بها من سلم المدرج ، وكانت جنازتها حافلة ودفنت في مدرسة السلطان مع أولادها ، وكثر عليها الأسف والحزن من الناس"[1].

ويقال انه كان يحتفل أحيانا بمرور أول جمعه على الوفاة فيأمر السلطان بإقامة مائدة حافلة يدعوا إليها الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء والقراء والوعاظ لإحياء الذكرى بآيات من القرآن الكريم[2].

1. ابن إياس جبدائع الزهور ،ج٥ ،ص٢٧- ٢٨.
2- ابن إياس : بدائع الزهور، ج٣ ،ص١٨ .

دور المرأة في الحياة السياسية

نساء السلاطين والأمراء :

تمتعت المرأة في العصر المملوكي بنفوذ كبير لفت إليه انتباه المؤرخين ، فقد كان للمرأة أو بالتحديد لنساء السلاطين والأمراء تأثير كبير على شئون الحكم ، وقد وصل نفوذهن إلى حد المشاركة في إدارة سياسة الدولة ، وخير مثال على ذلك شخصية مثل "**شجر الدر**" ، التي كانت قوة شخصيتها مضرب الأمثال ، لذا وصفها بعض المؤرخين بأنها كانت " **صعبة الخلق قوية البأس**"[1] . وقد لعبت دورا عظيما في إخراج البلاد من أزمة عصيبة ، فقد توفي زوجها الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هـ/ ١٢٤٠- ١٢٤٩ م) أثناء الحرب بين المسلمين والصليبين في المنصورة ، ولولا قوة شخصية **شجر الدر** التي استطاعت بشخصيتها القوية أن تسيطر على مجريات الأمور وتتصرف بحنكة ، حتى لا تعرض جيش المسلمين للهزيمة، وتغير تاريخ مصر والمنطقة بأثرها ، وقد اعتلت **شجر الدر** عرش المملكة وظلت فيه "ثمانين يوما" [2]، وكانت في تلك الفترة القصيرة التي جلست فيها **شجر الدر** على العرش قد أظهرت خلالها كياسة وعظمة وذكاء وافر[3]

1- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص٩١ .
2- المقريزي : الخطط ، مؤسسة حلب : القاهرة ط جديدة بالأفست، ج٢ ، ص ٢٣٧ ؛ خير الدين الزركلي : الأعلام ،المجلد الثالث ، ب ط ، ص١٥٨
3- المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص٣٤٣ ، ص٣٦٢ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ج٣ ، ورقة ١٦٤ ب ؛ العيني(بدر الدين محمود ، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ج٢٧ ص ٣٨٩ ؛ وانظر أيضا سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية. القاهرة ١٩٥٩ ، ص١٤- ٢٢.

تعددت الشخصيات النسائية التي كان لها نفوذ كبير على السلاطين والأمراء، فهناك من كانت تتدخل لحل الخلافات التي تنشب بين السلاطين والأمراء ، مثل أم **السلطان السعيد بركه خان**[1] (٦٧٦ – ٦٧٨ هـ / ١٢٧٧م – ١٢٧٩م) أنه في سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) خرج نائب الشام عن طاعة الملك السعيد فسافر إلية الملك ، وعندما نزل بالشام أقام بالقصر الأبلق ، الذي أنشأه والده ، وأقام في الشام عدة أيام ، ووصلة أن جماعة من الأمراء قد تآمروا علية ، فأمر الملك بالقبض على جماعة منهم ، فلما تحققوا من ذلك خرجوا إلى المرج الأصفر ، وأقاموا به وقد بلغ الملك ذلك فأرسل إليهم بعض الأمراء ليصلحوا بينه وبينهم ، ولكن الأمراء الخارجين رفضوا الصلح ، فعندما بلغ ذلك **"خوند أم الملك السعيد"** ، وكانت قد صحبت ابنها إلى الشام ، ركبت في الحال على فرس وتوجهت إلى الأمراء في المرج الأصفر ، وعندما اجتمعت بالأمراء ، "حاولت الصلح بينهم وبين ابنها إلا أنهم أبوا"[2]

تعددت سلطة نساء السلاطين ذلك بكثير ، حيث أننا نجد أن منهن من وصل بها النفوذ إلى تدبير أمور المملكة من عزل وولاية ، وكانت نافذة الكلمة مثل" **زينب زوجة السلطان الأشرف إينال**"[3](٨٥٧ – ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ –١٤٦١م)، فقد رأت

١- بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة ، ج٩ ، ورقة ٨٩ ب ؛ ابن الفرات : تاريخ بن الفرات ،ج٧ بيروت ١٩٣٦ –١٩٤٢م ، ص ٩٦ ، ص ١٤٢ ؛ ابن خلدون(**عبد الرحمن بن خلدون**، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) : العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ، ح٥ ، القاهرة ١٨٦٧ –١٨٦٨ م ، ص ٣٩٣ ؛ المقريزي السلوك ح١ ص ٦٤٥ ؛ **النويري (شهاب الدين بن عبد الوهاب**، ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ج٤، دار الكتب المصرية ، ورقة ٩٦أ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج١ ، ص ١١٣

- **بركة** : بمعنى النماء والزيادة ، ويستعمل كلقب من ألقاب الصالحين ، وهو من الألقاب المضافة إلى الملوك والسلاطين.(انظر **حسن الباشا** :الألقاب ، ص ٢٢٤) .

٢- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص٣٤٤ .

٣- ابن إياس : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٨٩.

في دولة زوجها العز والعظمة حتى صارت تدبر أمور الدولة من ولاية وعزل ، وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة ، في سعة من المال لم تتزوج غير الأشرف إينال[1] ، ومنهن من كان يقصدها الناس لقضاء حوائجهم مثل" **خوند جلبان**" زوجة السلطان الأشرف برسباي[2] ، ومنهن من لعبت دورا كبيرا في حصول بعض الأمراء على بعض النفوذ والسلطان ، والحصول على الوظائف الهامة في البلاط المملوكي ، مثل " **خوند مغل**"[3] زوجة السلطان الظاهر جقمق[4](٨٤٢-٨٥٧ هـ / ١٤٣٨- ١٤٥٣ م) ، والتي ساعدت أحمد محمد بن العطار في الحصول على وظيفة الدوداريه[5] ، وعندما أمر السلطان جقمق في سنة (٨٤٢ هـ /١٤٣٨ م) بالقبض على سر النديم الحبشية "دادة" الملك العزيز يوسف(٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) ابن السلطان برسباي ، وهم بمعاقبتها، شفعت فيها **"خوند مغل بنت البارزي"** زوجة السلطان وتسلمتها من السلطان من غير عقوبة [6].

لعب الزواج دورا كبيرا في وصول بعض الأمراء إلى النفوذ والسلطة ، وذلك عن طريق الزواج بإحدى بنات السلاطين أو قريباتهم، فقد قيل إنه عندما تزوج الأمير الجاي اليوسفي من **"خوند بركة"** أم السلطان الاشرف شعبان عظمت مكانته

١- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص ١٥٦ -١٥٧.

٢- ابن تغري بردي :المنهل الصافي ، ج٣ ، ورقة ٦ ب ؛ النجوم الزاهرة،ج٦، ص ٨٤٢

٣- **خوند مغل** : هي ابنة محمد ابن محمد ابن عثمان ، خوند الكبرى ابنة القاضي نصر الدين ابن البارزي ، شقيقة الكمال محمد ، ولدت في رمضان سنة ثلاث وثمانمائة وتوفيت في يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ستة وسبعين ، وصلي عليها (**السخاوي : الضوء** ، ج١٢ ، ص ١٢٦- ١٢٧) .

٤- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص ٨٣ .

٥- **الدواداريه** : تنقسم إلي كلمتين دواة وهي ما يكتب منة ، ودار وهي ممسك ، والمقصود بها الموكل بالدواة ، وقد زادت أهمية تلك الوظيفة في فترة المماليك ، وكانت من الوظائف التي يشغلها عسكريون ، القلقشندي (شهاب الدين احمد ابن علي ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : صبح الاعشي في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٩ م ، ج٤ ، ص ١٩ .

٦- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص ٣١٢ -٣١٣

في الدولة، وارتفعت منزلته عند السلطان ووصل إلي نفوذ كبير بفضل ذلك الزواج[1]، ومن هنا نجد أن المماليك اتخذوا من الزواج ورقة رابحة لكي يصلوا بها إلي المناصب المرموقة في الدولة ، والوصول إلي أهدافهم التي لا يستطيعوا الوصول إليها .

الجواري والمحظيات

تخطى نفوذ النساء وسلطانهن طبقة الخوندات وزوجات السلاطين والأمراء، فوصل إلى أن الجواري والمحظيات ، تدخلن في شئون الحكم فمنهن من كانت تتودد للسلطان لرفع الظلم عن أحد التجار أو الشافعة لهم عند السلطان مثل ،

"**الست حدق**" [2] دادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون **ومربيته**[3] ، لما كان لها من مكانة عالية ورفيعة عند السلطان الناصر . وكان الناس يلجأ ون إليها للتوسط لهم لدى السلطان ، فقد حدث أن توسط جماعة من الأمراء الأكابر لجماعة من التجار فلم يسمع لهم السلطان . وتوسطت" **الست مسكه**" ، و"**أم أنوك أم السلطان**(الناصر محمد ابن قلاوون)" لرفع الظلم عن تاجر "ألزمه الأمير شرف الدين استادار[4] القصر السلطاني بألفي دينار ، فطلب السلطان الأستادار وانكر علية ذلك ، وتجهم له ، فانصرف على غير رضي " وكانت الست مسكه بفضل ذكائها وقوة شخصيتها وحنكتها السياسية ، قد استطاعت أن تأخذ البيعة من الأمراء لابن قريبتها(**خوند**

١- ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٢ ، ورقة ٨ب ، ٧١ ب ؛ النجوم ، ج٩ ، ص ٥٨ .
٢- الست حدق وقد عرفت أيضا بالست مسكه وهي من جواري السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت لها مكانة وحظوة عند السلطان (**المقريزي** : السلوك ، ج٢ ، ص ٨٤٢)
٣- **المقريزي** : السلوك ، ج٣ ، ص ٦٠ .
٤- استادار : وهي كلمة مركبة من استا بمعني الأخذ ، ودار بمعني ممسك ، وهو الذي كان يختص في العصر المملوكي بأمر البيوت والخزانات كلها من مطابخ والشربخاناه ، وأمر الحاشية وكان يشغل تلك الوظيفة في قصر السلطان أمير واحد من مقدمي الألوف وثلاثة من أمراء الطبلخاناة وكان للاستادار نائب ، (**حسن الباشا** : الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية ، ج ١ ، ١٩٦٥ م، دار النهضة العربية ، ص ٣٩- ٤٠) .

أشلون) [1] " الناصر محمد " وأصبح سلطانا على مصر ، وظهر إخلاص الست مسكه ووفائها للناصر محمد في كفاحها وسعيها لإعادته إلى العرش عندما خلع من السلطنة ، كما أصبحت قهرمانة القصر يقتدي بها في الأعراس السلطانية ، والمهمات الجليلة في القصر[2] .

وصل الأمر بالخدام والجواري إلى التحكم في أمور المملكة ، في عهد السلطان الكامل شعبان[3] (٧٤٦ -٧٤٧ هـ / ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م) ، وقد روي عن السلطان حسن بن الناصر محمد ، (٧٥٥-٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦١م) أنه عندما بلغه أن الأمير الخاصكي يريد قتله ، أمر السلطان باستدعائه " وهو مع حريمه في خلوة وأمر فنزعت ثيابه كلها " ثم كتف يداه فشفعت فيه إحدى حظايا السلطان، حتى خلى عنه وخلع عليه ، واعتذر إليه "[4] .

كذلك ما قامت به خوند طغاي جارية السلطان الناصر محمد بن قلاوون والتي "بسببها أبطل الناصر عن مكة المكس الذي كان يؤخذ على القمح" [5].

كان لذلك النفوذ الواسع الذي تمتعت به المرأة في عصر سلاطين المماليك سواء كانت زوجات السلاطين أو الأمراء أو ما وصل إلية الأمر من تدخل الجواري والمحظيات في شئون الحكم ، ما أثار بعض الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه ابن تيمية الذي حذر من طاعة النساء لأن " أكثر ما يفسد الملك والدولة النساء " .[6]

١- **طغاي** " هي الخوند الكبرى زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنة الأمير أنوك ، وهي من جملة إماثة فأعتقها وتزوجها وقيل أنها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال . ورأت من السعادة ما لم تراه غيرها من نساء المماليك، ولم يدم السلطان علي محبة امرأة سوها ، وتوفيت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء " (**المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص٤٢٥ - ٤٢٦)
٢- **المقريزي** : السلوك ، ج٢ ، ص ٨٤٢ ؛ **ابن حجر** : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٧ .
٣ - **المقريزي** : السلوك ، ج٢ ، ص ٦٩٢، ٧١٣ .
٤- **المقريزي** : السلوك ، ج٣ ، ص٦٠ .
٥- **ابن حجر** : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، حيدر أباد ١٩٢٩ -١٩٣٢ ، ج ٢، ص٢٢١
٦- **بن تيمية** " تقي الدين احمد ابن عبد الحليم بن تيمية " : مجموعة فتاوي ، ج٢، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ص٧٧ .

ألـــقاب النساء

ظهر تقدير السلاطين والأمراء لنسائهن فيما أغدقن عليهن من ألقاب، والتي كانت تفيض بالاحترام والإجلال لهن ، و تعددت تلك الألقاب مثل بركة الدولة وبركة الملوك والسلاطين ، وجلال[1] النساء ، وخاتون، الجليلة ، سليلة الملوك والسلاطين ، الشريفة ، العفيفة ، وعطية الإسلام وفرع الشجرة [2] الذكية ، وغيرها من الألقاب الأخرى ، التي توضح مدى تقدير السلاطين لنسائهن وزوجاتهن وأخواتهن وبناتهن[3] . وسوف نتعرض بالبحث لبعض تلك الألقاب التي تمتعت بها المرأة في تلك الفترة .

لقب " الجهة"

الجهة في اللغة اسم يدل على الناحية ، وكان يشير إلى المرأة الجليلة كما كان يكنى للرجل العظيم " الجناب "، واستعمل مع أداة التعريف كتب أصل لمؤنث حقيقي ، ويلحق باللقب الصفة وقد أطلق لقب الجهة الكريمة على زوجة الخليفة الأمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ / ١١٠٢- ١١٣١ م) ، وكان لقب الجهة يطلق في نهاية العصر الأيوبي على" شجر الدر" عند الدعاء لها على المنابر فكان يقال " **احفظ اللهم الجهة الشريفة** "[4] ، ومن هنا انتقل إلى العصر المملوكي، وقد استعمل لقب (**الجهة الشريفة**) في خطاب بنت الملك الناصر محمد ابن قلاوون عن والدتها ، وأم أنوك زوجة السلطان الملك الناصر حسن ، ووالده الأشرف شعبان بن حسين عنه[5] .

١- **جلال** : بمعني العظمة وهو من الألقاب المركبة مثل " جلال النساء " وهذا اللقب من ألقاب السيدات ، (**حسن الباشا : الألقاب** ، ص ٢٣٨).

٢- **فرع الشجرة** : من ألقاب الشرفاء ، (**القلقشندي** : صبح الاعشي، ج٦ ، ص ٦٣).

٣- **القلقشندي** : صبح الاعشي : ج ٧ ، ص ١٦٦ .

٤- **المقريزي** : السلوك ، ص ٢٦٢ .

٥- **القلقشندي** : صبح الاعشي ، ج ٦ ، ص ١٧١- ١٧٢ .

وكذلك لقب (**الجهة الكريمة**) أطلق على" **دلشاه** " زوجة الشيخ حسن الكبير ببغداد وكانت صورة الألقاب كالآتي : " الجهة الكريمة المحجبة المصونة العظيمة الخاتونية المعظمة ، سيدة الخواتين زينة النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، قرينة نوين الملوك والسلاطين) ومن هنا نجد أن لقب الجهة كان يخص أميرات البيوت المالكة في العصر المملوكي [1]. وقد أطلق لقب الجهة الشريفة على" **خوند زينب ابنه العلاء**" في نص إنشاء رباط زوجة السلطان إينال[2].

لقب "الحجاب"

ومعناها الستر وهي من الألقاب التي كانت تطلق على الأميرات ونساء القصور ، وكان يوصف بالمناعة فيقال " **الحجاب المنيع** " ، وقد أطلق ذلك اللقب على " **ضيفه خاتون**" ، ابنة السلطان الملك العادل في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م في مدرسة الفردوس في حلب ، وذكر في نفس النص " **الستر الرفيع** " فقيل " **الستر الرفيع ـ الحجاب المنيع** "، وأطلق ذلك اللقب على " **شجر الدر**" في دعاء الخطبة أثناء سلطنتها ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م[3]، وقد ظهر أيضا في نص إنشاء رباط زوجة السلطان إينال كما يلي : " أمرت بإنشاء هذا الرباط المبارك (الجهة) الشريفة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع زينب أبنة العلاء ، جهة مولانا السلطان الأشرف أبو النصر إينال (٨٥٧ ـ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ ـ ١٤٦١ م) " غفر الله له ورحمه "[4].

---

١ - **حسن الباشا** : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٤٨- ٢٤٩

٢ - **سمير عبد المنعم خضري غنيم** : الأربطة الباقية بالقاهرة من العصر المملوكي ٦٨٤ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م . رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ١٢٣

٣- **حسن الباشا** : المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

٤- **سمير غنيم**: المرجع السابق ، ص١٢٣ .

لقب " خوند"

لفظ فارسي عرفته أيضاً اللغة التركية وأصله (**خداوند**) ومعناه السيد أو الأمير ويخاطب الإناث والذكور بمعنى مالك أو صاحب ومنها خوندكى بمعنى الأكبر[1].

وقد استعمل ذلك اللفظ في عصر المماليك كلقب من ألقاب الأميرات وقد ورد في كثير من النقوش المملوكية على سبيل المثال أطلق على" **شقراء بنت الناصر فرج**[2]" (٨٠١ ـ٨١٥ هـ /١٣٩٨ـ ١٤١٢ م) ، وكذلك أطلق **على زوجة الأشرف قايتباي**[3] (٨٧٢ ـ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ ـ١٤٩٥م) في نص (٩٠٥ هـ /١٤٩٩م) في منبر مسجد الأمير أصل باي بالفيوم[4] . ولفظ **خوند** في بعض المواضع يخاطب به السلاطين أنفسهم .[5]

لقب " الـــــدار "

لقب مؤنث بمعنى المثوى أو البيت والديوان ، وكان في البداية يطلق على الخليفة مع إضافة صفة العزيز مثل (**الدار العزيزة**) ، وكان يشير إلى الجليلات من النساء،

١ـ أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص٦٠ .

٢ـ الناصر فرج هو اكبر أبناء الظاهر برقوق ، وخلف والده في الحكم وكان في الثالثة عشر من عمره وكان ذلك سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩ م (**سعيد عاشور** : الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، ١٩٦٩ م ، دار النهضة للطباعة ، ص ٣٠٥) .

٣ـ **الاشرف قايتباي** ظل في الحكم قرابة ٢٩ عاما ، اثبت خلالها انه اقدر السلاطين في ميدان الحرب وأكثرهم خبرة في العالم الخارجي وعرف بشجاعته وحكمته (**سعيد عاشور** : المرجع السابق ، ص ٣٢١) .

٤ـ **حسن الباشا** : المرجع السابق ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

٥ـ **خليل بن شاهين** : زبدة كشف الممالك ، ص١٢١ .

أطلقه العلاء ابن موصلايا صاحب ديوان الإنشاء في عصر الخليفة القائم العباسي على نساء الملوك، وقد وصل إلى عصر المماليك فكان يدل على السيدة بدارها، تنزيها لها عن التصريح باسمها كما هو الحال في غيرها من الألقاب وقد انقسم إلى قسمين بحسب ما يطلق عليه من صفات " **الدار الشريفة** " أو " **الدار الكريمة** " وكان لقب " **الدار العالية** " يطلق على بنت السلطان الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ ـ ١٢٧٧م) وفي نص بتاريخ (٦٧٥ هـ ١٢٧٦م) على شمعدان من النحاس ، جاء فيه " فما عمل برسم الدار العالية ، ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع ، والعصمة الخاتوني دار رشيد السلامش بنت السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي " وكذلك أطلق لقب " الأدر المصونة " **على الأميرة تتر**[1] في نقش بتاريخ شهر رمضان (٦٧١ هـ /١٢٧٢) في مدرسة الأميرة تتر الحجازية ' وكذلك أطلق لقب الادار المحمية المصونة خوند بنت السلطان الناصر فرج زوجة المقام الصارمي سيدي إبراهيم ابن الملك المؤيد[2].

لقب " الـــــدرة "

اللؤلؤة والجمع در و درات وكان يطلق علي المرأة، ويوصف بصفة " المكنونة " وهذا اللقب يشبه المرأة باللؤلؤة المحفوظة من العبث، وقد أطلق لقب الدرة المكنونة على **حدق** أخت السلطان الأشرف في نقش بتاريخ جمادى الآخر (٧٧١هـ/١٣٧٩ م) في مدرسة الملك الأشرف شعبان[3] .

١ـ **تتر الحجازية** "ابنة الملك الناصر محمد ابن قلاوون وزوج الأمير بكتمر الحجازي ومعمرته أي التي عاشت معه طويلا أنجبت منه "(**المقريزي** : السلوك ، ق١ ،ج١ ، ص ٢٥١ ؛ **الصيرفي** (علي بن داود الجوهري ، ت في حدود سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان : القاهرة ١٩٧٠ ـ١٩٧١) ج٢ ، ص ٣٨٠ ،ج١ ، ص ٤٠٩).

٢ـ **الصيرفي** : المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

٣ـ **حسن الباشا** : المرجع السابق ، ص٢٨٧ ـ٢٨٨ .

لقب "الست"

لقب يطلق على المرأة ، وقد أطلق على **"خاتون بنت الصاحب على بن الحسين"** في نص جنائزي في ٦٧١ هـ /١٢٧٢م وأطلق على **" زهرة أخت الأشرف شعبان"** في نقش بتاريخ شهر جمادى الأخر ٧٧١ هـ /١٣٧٩ م في مدرسة الملك الأشرف شعبان وقد كان هذا اللقب من الألقاب التي يدخل معها بعض الألفاظ لتكون ألقاب مركبة مثل ست الستات[١] والست الجليلة وقد أطلق علي **خوند بركه أم السلطان الأشرف شعبان** " الست الجليلة **بركة** أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين" [٢].

١- حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

٢- المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج٣، ص١٩٠؛ أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج ١١ ، ص٥٩

وسوف نفرد الصفحات التالية من البحث للحديث عن بعض الشخصيات النسائية التي ظهرت على مسرح الأحداث ولعبن دوراً بارزاً ومنهن .

شجر الدر ملكة مصر .

تعتبر **" شجر الدر"** أبرز الشخصيات النسائية التي ظهرت على مسرح الأحداث في فترة حكم الأيوبيين ، وانتقالا إلى المماليك و **" شجر الدر"** بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأم ولده خليل[١] ، اشتراها في أيام أبيه وخطبت عنده وكانت معه في البلاد الشامية ، عندما كان مستوليا على الشام لمدة طويلة[٢]، وكانت معه عندما حبسه الملك الناصر داوود ملك الكرك ومعها ابنها خليل أيضا ، وقاست مع الصالح نجم الدين أيوب تلك الأهوال والمحن ، ثم قدمت معه إلي مصر عندما تسلطن[٣] ، ومات ابنها خليل صغيرا ، "وقد كانت **شجر الدر** في خدمة السلطان لا تفارقه حضرا ولا سفرا من شدة حبه لها" [٤] ، وقد كانت **"شجر الدر"** تدبر أمور البلاد أثناء غياب السلطان في الغزوات على أكمل وجه[٥].

لعبت **"شجر الدر"** دوراً عظيما عند وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب في المنصورة ٦٤٧ هـ /١٢٤٩م ، وكانت المعارك دائرة بين الجيوش الأيوبية والفرنجة، وكانت **"شجر الدر** في حضرة السلطان" فأخفت خبر وفاته عن الجيوش واستمرت الأمور على ما يرام وكانت تخبر كل من يريد مقابلة السلطان أنه مريض فلم يصل إليه

١- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ط١، ج٦ ، ص٣٧٣

٢- **نفس المصدر والصفحة** ؛ انظر أيضا الزركلي : الأعلام ، المجلد الثالث ، ص١٥٨

٣- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٣٧٣

٤- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٩٩

٥ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ق١ ، ج١ ، ص٢٩٥ ؛ **انظر أيضا الزركلي :** الأعلام ، المجلد الثالث ، ص١٥٨ .

أحد[1] ، وأرسلت إلى ابنه توران شاه وكان في حصن كيفا[2] فحضر ، وعندما علمت بوصوله إلى القدس انتقلت هي إلى القاهرة[3] ، و بإخفاء "**شجر الدر**" لخبر وفاة السلطان حمت الجيوش الإسلامية من التفكك في فترة حرجة جدا ، كما أنها حافظت على عرش السلطنة حتى حضور توران شاه ، الذي لم يحمد لها ذلك الموقف العظيم فمجرد وصوله أخذ يهددها ويطلب منها الأموال والجواهر ، مما جعلها تشعر بالخطر منه[4] ، وقد توجس المماليك أيضا الخطر من توران شاه ، فاتفقوا على الفتك به، وبعد قتله ، قاموا بتولية "**شجر الدر**" في السلطنة وخطب لها على المنابر ، وضربت السكة باسمها، وأقامت عز الدين ايبك وزير زوجها وزيرا لها ، وكانت علامتها على المراسيم " **أم خليل** " وعلى السكة " المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين "[5] ، وكان لقب المستعصمية نسبة للخليفة المستعصم ، تمسحا فيه لتكتسب **شجر الدر** شرعية لحكمها وعندما تم الإتفاق على تولية "**شجر الدر**" عرش السلطنة حضر القاضي تاج الدين بن بنت الأعز وبايعها على السلطنة على كره منه ، كما قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في مقالة له كتبها بمناسبة تولية "**شجر الدر**" وذكر فيها" أن الله قد ابتلى المسلمين بولاية امرأة عليهم وكانت توليتها في يوم

١- ابو المحاسن ابن تغري بردي : المصدر السابق . ص٣٧٤؛ انظر أيضا الزركلي : الأعلام . ص١٥٨ .

٢- **حصن كيفا** : ويقال كيبا ، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وهي كانت ذات جانبين وعلى جانبيها قنطرة (**الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي** : معجم البلدان ، ج٢ ، دار صادر بيروت ، ص ٢٦٥).

٣- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٢٣٧ ؛ **انظر أيضا الزركلي** : المصدر نفسه ، ص١٥٨

٤- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص٢٣٧ ؛ **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة،ج ٦، ص٣٧٣ ؛ انظر أيضا **الزركلي** : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

٥- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٢٣٧ ؛ **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة،ج ٦، ص٣٧٤؛ **انظر أيضا الزركلي** : المرجع السابق ، ص١٥٨

الخميس ثاني صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة"[1] ، وكان يخطب لها على منابر مصر وأعمالها ويقول بعد الدعاء للخليفة " واحفظ اللهم الجهة الصالحيه ، ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجليل والستر الجميل والدة المرحوم خليل "[2]، وبمجرد علم الخليفة المستعصم ٦٤٠- ٦٥٧ هـ / ١٢٤٢- ١٢٥٨م ، بخبر تولية أهل مصر شئونهم لامرأة أرسل إليهم " أعلمونا إن كان ما بقى عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل إليكم من يصلح لها أما سمعتم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يصلح قوم ولوا أمرهم امرأة "وعندما بلغ ذلك "**شجر الدر**" جمعت الأمراء والقضاة وخلعت نفسها من السلطنة " ولم تستمر سلطنتها سوى ثلاثة أشهر إلا أياما"[3]. وترى الباحثة أن هذا التصرف يدل على الذكاء الشديد الذي تمتعت به شجر الدر ، كما يدل على حسن تصرفها حيث أنها لم تقف أمام رغبة الشعب والخليفة في أن يحكم البلاد رجل ، وفي نفس الوقت ظلت مسيطرة على الحكم من خلال زوجها عز الدين ايبك ، وتعتبر الفترة التي حكمت فيها"**شجر الدر**" البلاد هي التي نقلت السلطنة من بوتقة بنى أيوب إلى بوتقة المماليك ، حيث أنه بتنازل" **شجر الدر**" عن السلطنة للأمير عز الدين أيبك التركماني بعد زواجهما أصبحت البلاد تحت السيطرة الفعلية للمماليك[4] ، وعلى الرغم من تنازل" **شجر الدر**" عن العرش فإنها احتفظت بسيطرتها على عز الدين أيبك وألزمته بطلاق زوجته الأولى وأم ولده على[5] .

وبحلول سنة أربع وخمسين وستمائة دبت الفتن بين عز الدين أيبك وبين زوجته "**شجر الدر**" ، حيث أنها كانت دائما ما تقول له " لولا أنا ما وصلت

١- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٢٣٧ ؛ **ابن اياس** : بدائع الزهور ، ج١ ، ص٢٧٦

٢- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٣٧٤ ؛ **ابن إياس** : المصدر السابق ، ص٢٨٦

٣- **ابن إياس** : المصدر نفسه ، ص٢٨٧ (لم يستقر أمرها في السلطنة غير ثمانين يوما . **الزركلي** : الأعلام ، المجلد الثالث ، ص١٥٨)

٤- **المقريزي** : المصدر السابق ، ص٢٣٧ ؛ **ابن اياس** : المصدر السابق ، ص٢٨٧ .

٤- **ابن اياس** : المصدر السابق ، ص٢٩٣ ؛ **انظر أيضا الزركلي** : الأعلام ، ص١٥٨.

٥- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : المصدر السابق ص٣٧٥؛ **ابن اياس** : المصدر السابق ، ص٢٩٣

أنت للسلطنة " وكانت "**شجر الدر**" شديدة الغيرة فعندما بلغها أن عز الدين أيبك أرسل ليخطب بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فصار بينهم "وحشة من كل وجه"[1]، وعندما ازداد الأمر سوءا بين **شجر الدر** و عز الدين ايبك وأصبحت حياتهما معا في مكان واحد صعبة ، انتقل للإقامة في قصره بمناظر اللوق ، وهي تشرف على البحر عند المقس ، فأقام بها أياما غضبا من "شجر الدر" ، فأرسلت إليه القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز ، فتلطف به حتى طلع إلى القلعة فقابلته وقبلت يده فقطن منها الرضا ، ثم دبرت له "**شجر الدر**" خمسة من الخدم وأمرتهم بقتله إذا دخل الحمام ، وبالفعل فعندما دخل الحمام دخل عليه الخدم ومعهم سيوف مسلولة، و عندما أدركهم الملك المعز استجار " **بشجر الدر**" و قبل يدها فقالت للخدم : اتركوه ، فأغلظ عليها بعض الخدم وقالوا لها إذا تركناه لم يبق عليك ولا علينا ، فقتلوه ونقلوه إلى فراشه[2] . وقيل في مقتل عز الدين ايبك وجه آخر، وهو أن "**شجر الدر**" لما غارت غيرة رتبت له سنجر الجوهري مملوك الفارس أقطاي ، فدخل عليه الحمام ولكمه ورماه والزم الخدم معاونته ، وبقيت" **شجر الدر**" تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرع إليها إلى أن مات ، وانطوت الأخبار عن الناس في تلك الليلة . وقد ظلت" **شجر الدر**" بدار السلطنة ومعها الذين قتلوا الملك المعز أيبك ، و حالت الأمراء الصالحة بينها وبين المماليك البحرية المعزية حماية لها وخوفا من انتقامهم منها لأنها خشداشيتهم[3] ، فأمنتها المماليك البحرية " ويوم الاثنين التاسع والعشرين أخرجت من دار السلطنة إلى البرج الأحمر، فحبست به ومعها بعض جواريها ، وقبض على الخدم وقسم الأمراء جواريها "[4]، و قبض

---

١. أبو المحاسن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ٣٧٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ق١ ، ج١ ، ص٢٩٣ .
٢- **ابن إياس** : المصدر السابق ، ص٢٩٣ - ٢٩٤.
٣- خشداشية : (الزمالة) هي الرابطة التي تربط بين المماليك في وظيفة واحدة ، والذين ينتمون إلى أستاذ واحد وهي رابطة تربط بينهم كأنهم إخوة من أب واحد (انظر **سعيد عاشور** : تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ م ، ص٤٠١ ؛ **قاسم عبده قاسم** : عصر سلاطين المماليك السياسي والاجتماعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٠ م ، ص١٤٠) .
٤ - أبو المحاسن ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ص٣٧٦ - ٣٧٧

الأمير على بن عز الدين ايبك على "**شجر الدر**" ثم سلمها إلى أمه ، " فأمرت جواريها أن يقتلوها بالقباقيب والنعال فقتلوها ، وبعد موتها سحبوها من رجلها وألقوها في الخندق الموجود خلف القلعة وهي عريانة ، وليست في وسطها غير اللباس فقط ، فظلت ملقاة في الخندق ثلاث أيام لم تدفن إلى أن نزل بعض الحرافيش إلى الخندق وقطع تكه(وهي رباط يربط به ما يستر العورة على وسط المرأة) لباسها وكان به أكرة لؤلؤ فسبحان من يعز ويذل" ، وبعد ثلاثة أيام نقلت إلى المدرسة التي بجوار بيت الخليفة فدفنت بها[1] .

وتنسب إلى "**شجر الدر**" مرتبه خاتون التي في قاعة الأعمدة ، وكذلك ينسب إليها نوبة خاتون التي تدور في القلعة بعد العشاء بالطبل والخليلية[2] ، وكانت "**شجر الدر**" ذات عقل وحزم " كاتبه قارئة عارفة بأمور المملكة وكان لها معروف بأمور المملكة وكان لها بر ومعروف وإيثار ، وأوقاف على جهات بر و صدقه . وقد نالت من الدنيا ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها"[3] ، وقيل انه من دلائل قوة شخصيتها أنها عندما علمت بان نهايتها قد اقتربت ، أحضرت ما لديها من جواهر ثمينة وأتلفتها ، "وكسرتها في الهاون حتى لا يكون لغيرها"[4] .

كانت"**شجر الدر** بارعة الجمال والحسن تركية ذات شهامة وإقدام وجرأة" [5] وهي من ناحية الأصل والنشأة أقرب إلى المماليك مما جعل المؤرخين يعتبرونها أولى سلاطين المماليك الترك وانه بتوليتها الحكم في (٦٤٨ هـ /١٢٥٠م) بدأت دولة سلاطين المماليك في مصر وقد استمرت تلك الدولة حوالي قرنين ونصف[6] .

وبالنظر إلى أصل **شجر الدر** وأنها في الأصل من المماليك وكانت جارية عند الصالح نجم الدين أيوب ، وانه أعتقها وتزوجها فهي تنتمي إلى طبقة المماليك مما جعل الباحثة تتفق مع الرأي الذي يقول أنها أول سلاطين المماليك .

١- **ابن إياس** : بدائع الزهور ، ق١ ، ج١ ، ص٢٩٤ - ٢٩٥ .
٢- **ابن إياس** : المصدر السابق ، ص٢٨٦ .
٣- **ابن إياس** : المصدر السابق ، ص٢٨٦ ؛ انظر أيضا **الزركلي** : الأعلام ، المجلد الثالث ، ص١٥٨.
٤- **ابن كثير** : المصدر السابق ، ص١٩٩.
٥- **اليافعي (الامام أبي محمد ابن عبد الله ابن أسعد ابن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعي المكي)** : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٤ ، ط١ ، مطبعة دار المعارف القطامية ، الكائن بمدينة حيدر أباد ، سنة ١٣٣٩ هـ ، ص١٣٧ .
٦- **سعيد عاشور** : تاريخ مصر الإسلامية ، ص٣٩٧ .

بركه خاتون

بركة خاتون خوند والدة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين وزوجة الأتابك الجاي اليوسفي ، وتزوجته في حياة ابنها الملك الأشرف ، "فلم يعظم أمر الجاي إلا بزواجه منها ، وصار له ميزة على أكابر الأمراء"[1].

وكانت من أعظم نساء عصرها دينا وقد عرف عنها حبها للخير والبر والمعروف والصدقة ، وهي من النساء اللاتي تمتعن بقدر من الجمال والكرم . وبر وصدقه [2].

حجت خوند والدة السلطان سنة ٧٧٠ هـ / ١٣١٨م" في موكب عظيم ومعها الكوسات و العصائب السلطانية وعدة جمال ، تحمل الخضر المزروعة وفي خدمتها الأمير يشبك العمري ، والأمير بها دار الجمالي ، و مائة من المماليك السلطانية"[3] ، وقد توجهت إلي الحج وهي في موكب كبير ، وعادت إلى القاهرة وفي يوم الثلاثاء سادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وسبعين ، ونزل السلطان ووالدته معه وهي مريضة إلى الروضة تجاه مصر القديمة بمنظرة الأمير طشتمر الدوادار ، أي قبل أن تكمل الحج ، فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وكان معه جميع الأمراء وطلع يوم الخميس إلى القلعة "واستمرت أم السلطان مريضة إلى أن ماتت في ذي الحجة"[4].

١- ابو المحاسن ابن تغري بردي : المنهل ، ج ٣ ،ص ٣٥٦ ؛ النجوم ج١١ ، ص ٥٨ .

٢- المقريزي : السلوك ق ١ ، ج٣ ، ص١٧٧ .

٣- أبو المحاسن ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ .

٤- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم ج١١ ، ص ٥٨ " أما المقريزي فيذكر أن وفاة خوند بركة يوم الثلاثاء آخر ذي القعدة " (المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ج١ ، ص ٤٨) .

وهي في عصمة الجاي اليوسفي ودفنت بمدرستها التي أنشأتها بخط التبانة[1] ، خارج القاهرة وتعرف هذه المدرسة بمدرسة أم السلطان ، وحزن ابنها عليها حزنا شديدا[2].

كان الأشرف شديد الحب لامه لذ أكثر من البر على روحها بعد وفاتها ، وأراد الأشرف أن يزوج الجاي اليوسفي زوج أمه من ابنته ، ولكن بعد أخذ رأي الفقهاء فقيل أنها لا تحل له ،فعوضه عنها بسرية له وكان يحبها اسمها " **بستان** " فأعتقها وزوجها له[3] ،وقد وقع خلاف بين السلطان الأشرف وبين الجاي اليوسفي بسبب تركة **"خوند بركه"** وبسببها خرج الجاي عن طاعة السلطان[4] ، ومن الصدفة العجيبة البيتان اللذان عملهما الأديب شهاب الدين السعدي الأعرج بعد وفاة **"خوند بركة "**وتفاءل بهما علي الجاي اليوسفي :

في مستهل العشر من ذي الحجة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره ويكون في عاشوراء موت اليوسفي[5]

كان شهاب الدين السعدي يكره الجاي اليوسفي ، كما يكن الحب والتقدير لبركه خاتون ، فعندما كان يترحم علي خوند بركة في العاشر من ذي الحجة ، وتمني أن يلحق بها اليوسفي في عاشوراء ، أي العاشر من المحرم ، أي بعدها بشهر تقريبا .
وقد تركت خوند بركة العديد من المنشآت التي سوف نتناولها في الجزء الخاص بالآثار .

١.خط التبانة : كان يشتمل قديما على المنطقة التي تمتد من باب الوزير إلى الدرب الأحمر وهذه المنطقة يتوسطها شارع باب الوزير وشارع التبانة والدرب الأحمر وعرف بالتبانة لأنه كان به السوق الذي يباع فيه التبن في الزمن الماضي. أما شارع التبانة فيطلق على الطريق الذي يمتد من شارع باب الوزير إلى شارع الدرب الأحمر ، (**علي مبارك : الخطط التوفيقية** ، ج٢ ، ص ١٠٢)

٢- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم ، ج ١١ ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

٣.ابن حجر : المصدر السابق ص ٤٨ -٤٩.

٤- ابن حجر : نفسه ؛ بن تغري بردي : النجوم ج١١ ، ص٥٨ ؛ المنهل ج٣ ، ص ٣٥٧ .

٥- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم ، ج ١١ ، ص ٥٨ - ٥٩ ؛ المنهل الصافي ، ج٣ ، ص ٣٥٧ .

خوند شيرين

الست الكبرى" **شيرين**" والدة السلطان الملك الناصر فرج وزوجة السلطان الملك الظاهر برقوق وهي "رومية الجنس"[1]، من معتقات السلطان الملك الظاهر وكانت" **شيرين**" بكر وعرفت" **بالست المحجبة**"[2] ، وعندما تسلطن ابنها الملك الناصر فرج صارت خوند الكبرى وسكنت قاعة العواميد بقلعة الجبل بعد أن تحولت منها "**خوند أرد** "زوجة سيدها(الملك الظاهر برقوق) ، ولم تظل كثيرا فقد الزمها المرض الفراش وكثر الحديث بسبب مرضها واتهم جماعة بسحرها[3]، وظن ابنها أن بعض الخوندات زوجات أبيه قد دبروا لها ذلك حقدا لما تمتعت به من جمال وسلطة ونفوذ وحشمة وكرم ورجاحة عقل وتواضع ، وحب للخير والمعروف، فقد جددت بمكة رباط الخوزي ووقفت عليه وقفا وأصلحت ما قد تهدم منه[4]، وقيل "**خوند شيرين أخت أبي المحاسن ابن تغري بردي** " و كانت ذات سلطة وكلمه في سلطنة ابنها فقد شفعت لدي السلطان للعفو عن أخيها وظلت وراءه حتى أجاب لها طلبها[5] ، " توفيت **خوند شيرين** في ليلة السبت أول ذي الحجة

١- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم ، ج ١٣ ، ص١٩ ؛ **ابن حجر العسقلاني** ، إنباء الغمر ، ص ١٦٤ ؛ **الصيرفي** ، نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

٢- **الصيرفي** : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

٣- وقيل أنها سحرت واتهمت جارية من جواريها بذلك ، فضربت ضربا شديداً واتهمت الجارية رجلا نصرانيا كاتبا ، فعوقب بالضرب ولكنه لم يقر بشيء فمات في سجن القلعة وماتت الجارية أيضا ، **الصيرفي** : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ ؛ **ابن حجر العسقلاني** : المصدر السابق ، ص١٦٤ .

٤- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ١٠٦ ، **ابن حجر** : إنباء الغمر ، ج٤ ، ص ١٦٤.

٥- **أبو المحاسن ابن تغري البردي** : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٢١٣ - ٢١٦ .

(٨٠٢هـ/يوليو ١٣٩٩م) ، ودفنت في المدرسة الظاهرية البرقوقيه بين القصرين "[1]، وحضر ولدها الناصر للصلاة عليها بباب القله من القلعة ومشي سائر أمراء الدولة وأعيانها أمام نعشها من القلعة إلي بين القصرين وكانت أم ولد للملك الظاهر برقوق[2] .

١- **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ، ص١٩ ؛ **الصيرفي** : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦٩ .

٢- **ابن تغري بردي** : المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ١٩.

تندو ابنة حسين ابن اويس

كانت بارعة الجمال جاءت مع عمها أحمد ابن اويس إلي مصر فتزوجها الظاهر برقوق[1] ، تم عقد الزواج في يوم الأربعاء التاسع ربيع الآخر ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٤م ، وكان "مبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار وكان صرف الدينار إذ ذاك ستة وعشرين درهما ونصف درهم وبني عليها في ليلة الخميس عاشره"[2].

جاء إلي القاهرة السلطان شاه ولد جلال الدين حسن ابن اويس في ربيع الأخر سنة (٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥ م)، وهو ابن أخو أحمد بن أويس ، فطلق السلطان تندو بنت اويس وزوجها ابن عمها شاه ، وكان أبوها صاحب تبريز [3] .

وعندما رجعوا إلي بغداد ومات أحمد بن اويس تولي بدلا منه في السلطنة شاه فدبرت لقتل تندو ابنة اويس ، فحاصرها محمد شاة ابن قرا يوسف حوالي سنه ، فخرجت من الدولة حتى صارت إلي واسط ثم ملكت نستر ، وأقاموها ومعها محمود ابن شاه فدبرت عليه أيضا حتى قتل لأنه ابن غيرها ،" واستقلت بالمملكة مده وذلك في سنة تسع عشرة وثمانمائة (١٤١٦م)، وجذبت العرب بالبصرة وصار في مملكتها الجزيرة وواسط[4] يدعي لها علي منابرها وتضرب السكة باسمها إلي أن ماتت في سنة (٨٢٢ هـ/١٤١٩ م) فأقاموا بعدها ابنها اويس وتحارب هو وأخوه يوسف فقتل اويس في الحرب بعد سبع سنين ".[5]

١- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٦٠ ؛ **ابن حجر** : إنباء الغمر ، ج٧ ، ص٣١٦

٢- **ابن حجر** : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٩٥ ؛ **المقريزي** : السلوك ، ق٢ ، ج٣ ، ص ٨٠٧

٣- **ابن حجر** : المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٤٥ - ٢٤٦ .(**تبريز** : هي اشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ، ذات أسوار محكمة بالأجر والجص ، وفي وسطها عدة انهار جارية والبساتين تحيط بها ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، ج٢ ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ م ، ص١٣ .)

٤- **واسط** : هي مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة (**ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٤٧)

٥- **السخاوي** : المصدر السابق ، ج ١٢، ص ١٦- ١٧؛ **ابن حجر**: المصدر نفسه ، ج ٧ ،ص٣٦٦.

خوند جلبان بنت عبد الله الجاركسية

هي **زوجة الملك الأشرف برسباي**، وقد صارت خوند الكبري ، وصاحبة القاعة في أيامه إلي أن ماتت ، وأم **ولده الملك العزيز يوسف**" استولدها الملك العزيز يوسف ثم تزوجها بعد وفاة زوجته خوند الكبري ، وأم ولده المقام[1] الناصري محمد[2] ".

اشتراها الملك الأشرف في أوائل سلطنته ، "وتزوجها في الخامس عشر من جمادي الآخر سنة سبعة وعشرين وثمانمائة للهجرة" ، فأقامت بعد وفاة خوند الكبري أياما وعقد عليها ورسم لها بالسكن في قاعة العواميد علي عادة من تقدمها من الخوندات[3] ، "وحظيت عنده ونالتها السعادة وعظمت حرمتها" في الدولة وقصدها الناس لقضاء حوائجهم ، " وبعث السلطان يطلب إخوتها وأقاربها من بلاد الجاركس (الاتحاد السوفيتي) ، فقدموا بعد مدة شيئا بعد شيء ، وكانوا عدة كثيرة ويزيدون علي عشرة أنفس"[4] فقربهم الملك الأشرف وأنعم عليهم بالوظائف والإقطاعات والرواتب، و"حجت خوند جلبان في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة(٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م) و معها في خدمتها خشقدم الزمام والزيني عبد الباسط ناظر الجيش وغيرهما في عظمة زائدة مفرطة"[5]،جهزها السلطان تجهيزا عظيما، ونصب في الودك(الخيمة)

---

١ -**المقام** : اسم في اللغة يدل علي موضع القيام ، وهو يدل علي صاحب المكان تعظيما له عن التفوه باسمه ، وفي فترة حكم المماليك اختص بالسلاطين ، وأصبح من أرفع الألقاب . (**حسن الباشا** : الألقاب ، ص ٤٨٢- ٤٨٣) .

٢- **السخاوي** : الضوء اللامع ،ج١٢، ص١٧؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي**:**المنهل الصافي** ج٥ ،ص ١٥ .

٣- **ابن تغري بردي** : المنهل الصافي ، ج٥ ، ص١٤ . .

٤- **أبو المحاسن بن تغري بردي** : **المنهل الصافي** ، ج٥ ، ص١٥ .

- جاءت والدتها ، ثم زوجة والدها ، ضرة أمها ، وأخوتها الرجال وهم بيبرس وأخته وهم غير أشقتها من زوجة والدها المذكورة ، ثم حكم وقاني باي وهما أشقتها ، وأختها لصل وأختها أرز ومعها عدة أولاد وعدة بنات وعدة بنات وزوجها تبعها ، وحضر إلي القلعة ، وهم أيضا أشقتها أيضا ومن أشقتها أيضا أخوها أيا يزيد كان قد قدم القاهرة في أيام حكم المؤيد(٨١٥- ٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م) شيخ ، (أبو المحاسن ابن تغري بردي : المصدر السابق، ج٥ ، ص١٥).

٥- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢، ص١٧؛ أبو المحاسن ابن تغري بردي:**المنهل الصافي** ، ج٥ ، ص١٥

المتعلق بها علي شاطئ النيل وكان أمرا مهولا و" سافروا بالمحمل من أجلها في سبع من شوال (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م) ورحلوا بها من البركة يوم الحادي والعشرين منه قبل العادة بثلاث أيام" [١]، وقضت المناسك وعادت واستمرت في عزها إلي أن ماتت مسمومة بعد أن طال مرضها[٢] ، وتوفيت **خوند جلبان** زوجة الملك الأشرف برسباي ، و أم ولده الملك العزيز يوسف في يوم الجمعة[٣] الثاني من شوال سنة ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥ م ، بعد مرض طويل ودفنت بتربة السلطان (الملك) الأشرف بالصحراء خارج الباب المحروق ، "وكانت جميلة عاقلة حسنة التدبير"[٤] ، كما أنها كانت من عظماء النساء[٥] ، وإذا عاشت خوند جلبان حتى تسلطن ابنها العزيز لدبرت ملكه أحسن تدبير[٦] ، وقد "خلفت من الأمتعة والأقمشة والملابس والنقد شيئا كثيرا جدا يقرب من ستين ألف دينار" [٧] ، أو " سبعين ألف دينار " [٨]

١- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
٢- **ابن حجر** : المصدر نفسة ، ص ٢٣٥ـ ٢٣٦
- قيل أنها ماتت بعلة الصرع ، وذلك في يوم الجمعة أو الخميس ثاني شوال سنة تسع وثلاثين ، (**السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٧ ؛ **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٨ ، ص٣٩٦) .
٣- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٧؛ **ابن تغري بردي** : المنهل الصافي، ج٥ ، ص١٥
٤- **ابن تغري بردي** : النجوم ، ج١٥ ، ص٢٠٣ .
٥- **ابن تغري بردي** : المنهل الصافي ، ج٥ ، ص١٦ .
٦- **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ،ج١٥ ، ص٢٠٣ ، المنهل الصافي ، ج٥ ، ص١٦ ؛ **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٧ .
٧- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٧ .
٨- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٨ ، ص٣٩٦ .

خوند مغل بنت البارزي

هي **مغل** بنت محمد ابن محمد ابن عثمان خوند الكبري ابنة القاضي ناصر الدين ابن البارزي "ولدت في رمضان سنة ثلاث وثمانمائة" ، وكانت تتمتع بقدر كبير من الجمال فتزوجها ابن الشهاب محمود ، لكنه مات قبل أن يدخل بها ، ثم تزوجت بعده العلم داود ابن الكويز بكرا ، علي الرغم من عدم موافقة والدها لكون المؤيد أمر بذلك ، ثم تزوجها بعده الظاهر جقمق في أوائل الدولة الأشرفية [١] .

طلعت "**مغل بنت البارزي**" زوج السلطان إلي القلعة في ليلة الجمعة ربيع الاول٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م بعد العشاء" بعد أن خرجت من بيتها في محفة عند الغروب ، وحولها المشاعل والشموع [٢] وحولها خمسة من الطواشية[٣]، و كثير من النساء علي الحمير ، إلي أن استقرت في القلعة" [٤] ، وكانت أول من تزوج السلطان في أول أيام دولته و" تزوجها قبل سنة ثلاثين وطلقها في سنة اثنين وخمسين "[٥]، وولدت له **خديجه** وغيرها ، وحظيت عنده ثم تدهورت مكانتها بعدما تسلطن وفارقها واستمرت علي مكانتها وعظمتها حتى ماتت بعد أن حجت مرارا[٦] ، سافرت في سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م إلي

١- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٢٦ .
٢- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٩ ، ص٤٠ ؛ **ابن إياس** : بدائع الزهور ، ج٢ ، ص٢٠٠ .
٣- **الطواشية** : لقب عام للخصيان من الغلمان ، وفي عصر المماليك كان يطلق علي جند الأمراء .(انظر **حسن الباشا** : الألقاب ، ص ٣٨٢)
٤- **ابن حجر** : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٠ .
٥- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص٤٦٤ .
- في جمادى الأول سنة (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) حنق السلطان علي زوجته مغل بنت البارزي فطلقها ونزلت من القلعة إلي بيت أخيها الكمال الدين الذي بالخراطين ، وكان يقال عنها أنها سحرت سور باي التي ماتت،(**ابن إياس** : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٦٣ ، ص٢٦٤) .
٦- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٢٦ .

الحجاز ومعها أيضا زوجة السلطان(الظاهر جمقق) بنت ابن دلغا[1] "وكانت آخر حجتها في سنة إحدى وسبعين في الركب الرجبي وتصدقت في الحرمين الشريفين بثلاثة آلاف دينار" ، وأمرت بتفريقها علي الفقراء والمحتاجين ، وأكثرت من البر ، وأوصت بفعل ذلك بعد موتها ، كما زارت بيت المقدس وهي علي مكانتها الرفيعة وعظمتها والديانة الوافرة [2]، خير دليل علي منزلة **"خوند بنت البارزي"** عند السلطان ، أنه في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة ٨٤٢ هـ /١٤٣٨ م، قبض السلطان علي **سر النديم الحبشية** دادة الملك العزيز يوسف بعدما كبس عليها بعدة أماكن وقد عوقب بسببها كثير من الناس فلم يتعرض لها السلطان بسوء حتى أعلمته أن الملك العزيز مختبئ بالقاهرة ، وعندما هم السلطان بمعاقبتها شفعت فيها **خوند بنت البارزي** وتسلمتها من السلطان من غير عقوبة ونامت عندها ، وعندما قبض علي الملك العزيز يوسف فرح السلطان بذلك فرحا كبيرا ثم أخذ السلطان (الملك العزيز) وأدخله إلي زوجته **خوند البارزيه** بقاعة العواميد (القاعة الرئيسية بالقلعة)، وأسلمها العزيز وأمرها أن تجعله في المخدع المعد لمبيت السلطان بقاعة العواميد المذكورة وأن تتولي أكله وشربه، وحاجاته بنفسها فأقام العزيز علي ذلك مده ، إلي أن نقله السلطان ليلة الأربعاء من ذي القعدة إلي مكان بالحوش[3] . والأرجح انه فعلا ذلك خشية من أن يفلت أمر العزيز من يده و، وان يخرج عن طاعته ويطالب بالعرش .

١- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم ، ج١٥ ، ص ٣٧٢ .

٢- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٢٦ .

٣- أبو المحاسن ابن تغري بردي : النجوم ، ج١٥ ، ص٣١٢ - ٣١٣ ، ٣١٥ .

كانت خوند البارزيه أو بنت البارزي دينه خيره ولها بر ومعروف وهي التي عمرت جامع الشيخ مدين بالمقس و أوقفت عليه أوقافا كثيرة وكانت تحب فعل الخير[1] .

ماتت خوند البارزيه بعد أن فقدت ابنتها في يوم الثلاثاء الخامس من ذي القعدة سنة ستة وسبعين(٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وصلي عليها في سبيل المؤمني ، وشهدها السلطان "ودفنت بحوشهم بجوار ضريح إمامنا الشافعي، ولم يبق في الخوندات من يوازيها أصلا وديانه وحشمه وكرما عفا الله عنها ورحمها" علي حد تعبير السخاوي [2] .

١- **ابن إياس** : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٧٠ .

٢- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٢٦ ، ١٢٧ .

الحياة الاجتماعية

الـــــزواج

الزواج هو البنية الأساسية لبناء الأسرة السليمة ، والأسرة هي العمود الفقري للمجتمع ، وقد شرعت جميع الأديان السماوية الزواج كنظام اجتماعي وضع لمصلحة الفرد والأسرة والمجتمع ، ولحفظ كرامة كل من الرجل والمرأة ، والزواج حماية للرجل والمرأة من الفتنة والوقوع في الرذيلة .

وقد شرع الإسلام الزواج لحماية المجتمع ووضع شروطا لإتمامه للمحافظة على حقوق كلا الطرفين ، ومن أهم هذه الحقوق التي منحها الدين الإسلامي للمرأة حقها في الموافقة على الزواج ، وعند عقد القران كان لابد أن يدفع العريس للعروس المهر أو الصداق الذي كان شرطاً لإقامة الزواج ، وجرت العادة أن يدفع العريس جزء من المهر مقدماً قبل عقد القران ، ويسمي الباقي بمؤخر الصداق[1] ، وقد أتت كلمات متعددة في القرآن الكريم والحديث الشريف تدل على المهر ، مثل قوله تعالى " **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** "[2] ، "**وآتوهن أجورهن فريضة** "[3] ، وفي حديث لرسول الله ﷺ أن رجلا أراد أن يتزوج ولم يكن معه ما يقدمه مهرا للمرأة التي يريد الزواج منها فقال له الرسول ﷺ " **أمهرها هذا الخاتم** " ، وقد جمع الفقهاء الأسماء السبع للصداق في بيت الشعر الآتي :

صداق ومهر نحلة وفريضة حبا وأجر ثم عقر علايق

ولم يحدد الإسلام قيمة المهر ، حيث تختلف قيمته حسب الحالة الاجتماعية والفترة الزمنية .[4]

١- ابن كثير : تفسير القرآن ، المجلد الأول ، ص٤٥١-٤٦٦ ؛ **سعاد ماهر** : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥ ، ص ٣٦ .
٢- القرآن الكريم : سورة النساء ، آية ٤ .
٣ - القرآن الكريم : سورة النساء ، آية ٢٤ .
٤- ابن كثير : تفسير القران ، المجلد الأول ، ص ٤٥٢ – ٤٥٣ ؛ **احمد الشامي** : الحضارة الإسلامية وانتشارها وتأثيرها في الحضارة الأوربية ، مطابع الهدايا ، ١٩٩٩م، ص ١٤٦.

لم تمنح الفتاة في عصر المماليك حق اختيار الزوج أو الموافقة علية ، وكان الرأي الأول والأخير لوا لدها، و ربما بمشاركة أمها في ذلك الزواج[1]، كان أفراد طبقة المماليك يقتصرون على أنفسهم ولا يختلطون بالشعب، وكان لهم حرية اختيار زوجاتهم من بين بنات جنسهم اللآتي كن يجلبن إلى مصر بواسطة تجار الرقيق[2]

والحقيقة أن الزواج عند طبقة المماليك لم يكن يخضع لأي اعتبارات ، وكانوا يحرصون على مصاهرة بعضهم البعض ، كما حرصوا علي عدم الزواج من طبقات الشعب المصري ، فقد كان الزواج من زوجات من غير جنسهم زيجات لا يطول عمرها مثل زواج السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠م " **بخو ند طولبيه**" إحدى الأميرات المغوليات[3] ، ولذا لم يدم طويلا حيث سرعان ما هجرها السلطان[4] ، وكانت صلات النسب بين المماليك قوية ومتينة فقد ذكر المقريزي أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون "زوج إحدى عشر ابنة من مماليكه"[5] مما يدل علي أن المماليك كانوا يفضلون أن يتزوجوا من بعضهم البعض ، وعن زيجات المماليك نذكر زواج السلطان الملك المنصور[6] قلاوون ٦٧٨ – ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ –١٢٩٠ م من "**خوند أشلون**" بنت الأمير نكاى وهي أم الملك الناصر محمد بن قلاوون[7]، وكذلك زواج

١- السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك : بولاق ١٨٩٦م، ص٣٩١ ؛ انظر أيضا **طاهر الطناحي** : ألف ليلة وليلة القاهرة ١٩٥٨ هـ ،ج١ ، ص٢٦٥ .
٢- بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ،ج٩،ص١٣٨.
٣- **المقريزي** : السلوك ج٢، ص ٢٠٥ ؛ **ابن حجر** : الدرر الكامنة ،ج٢، ص ٢٢٨ ؛ **العيني** : عقد الجمان ، ج٣٢ ، ورقة ٢٠٥-٢٠٨ .
٤- **المقريزي** : السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ؛ **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : المنهل الصافي ج١ ، ص١٦٧ .
٥- **المقريزي** : السلوك ق ١ ، ج٢ ، ص ٥٣٦ .
٦- المنصور لقب يشير إلي أن صاحبه مؤيد من الله لان النصر من عند الله ، واستعمل في عصر المماليك من باب التفاؤل ، (**حسن الباشا** : الألقاب ، ص ٥١٣) .
٧- **المقريزي** : السلوك ق٣ ، ج١ ، ص٧٠٩ ؛ ابن اياس :بدائع الزهور ، ج١، ص٣٥١

الأمير الأتابكي[1] منكلي بغا الشمسي في يوم الخميس الرابع من رجب ٧٦٩ هـ/ ١٣٧٧م من" **خوند سارة**" بنت حسين بن محمد بن قلاوون وأخت السلطان الأشرف شعبان[2]. وزواج السلطان برقوق (٧٨٤-٧٩١ هـ/١٣٨٢ ـ ١٣٨٩م) من" **فاطمة ابنة الأمير منجك اليوسفي**"[3].

وزواج المقر[4] السيفي نوروز الحافظي بأخت الملك الناصر فرج،وهي بنت الملك الظاهر برقوق، ودخل عليها في العشرين من محرم (٨٠٤ هـ / ١٤٠٣م) [5]، وزواج الأمير منطاش من "**ستيتة بنت الملك الأشرف**" وأخت السلطان المنصور قلاوون [6].

لم يحاول المماليك الزواج من المصريات بل كانوا يختارون زوجاتهم من بنات صنفهم ، كما رسم السلاطين للقضاة والشهود أن لا يعقد أحد منهم قران مملوك من المماليك إلا بإذنه، ويستثنى من ذلك حالات الاختلال التي ظهرت في أيام السلطان الظاهر برقوق ، عندما صرح للمماليك سكن القاهرة والاختلاط بأهلها " فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا النساء من أهل المدينة وأخلدوا إلى البطالة "[7]. هنا ترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى أن أصل المماليك ليسوا أحرارا ، وأنهم لم يرغبوا في الاحتكاك بالشعب حتى لا يتسبب ذلك في أزمة مع المصريين في وقت كانوا يريدون فيه تأييد الشعب .

١- **الأتابك** : لقب من ألقاب الوظائف التي استعملت كألقاب فخرية ، وهو لفظ مركب من "اتا " بمعني أب ، و "بك "بمعني أمير ، وهذا اللقب يطلق على القائد الاعلى للجيش في العصر المملوكي ، (حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ١٢٤) .

٢- **المقريزي** : السلوك ، ق٣ ، ج١ ، ص١٥٧ ؛ **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم ، ج١١ ،ص ٤٩ .

٣- **المقريزي** : الخطط ، ج٣ ، ص٥١٣ .

٤ ـ المقر أصلة في اللغة موضع الاستقرار ، وقد استعمل في عصر المماليك ليشير إلى صاحب المكان تعظيما له عن التقوة باسمة ولم يقتصر على السلاطين بل استعمل لكبار الأمراء وكان يلي في المرتبة تنازليا لقب "المقام " ، (**حسن الباشا** : المرجع السابق ،ص٤٨٩).

٥- **ابن حجر** : إنباء الغمر ، ج٢ ، ص ٣٥٠ .

٦- **ابن حجر** : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١ .

٧ - **المقريزي** : الخطط ، ج٣ ، ص٢٤٤

اعتادت طبقة المماليك دفع مبالغ باهظة كمهر لنسائهم في ذلك العصر ، ويدل ذلك على المكانة الرفيعة التي احتلتها المرأة ، فقد أوضح لنا المقريزي أنه " عند عقد قران الملك الصالح على بن السلطان على خوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه عقد القران على خمسة آلاف عينا عجل منها ألف دينار "[1]. فقد كان يتم الاتفاق عند عقد القران يتفق على المهر الذي يدفعه العريس للعروس ، ويكون المهر حسب الحالة الاجتماعية للعروسين ، وكان يدفع من المهر جزء في البداية يسمي مقدم الصداق ، والباقي مؤخر صداق .

وعند زواج السلطان برقوق من "**خوند تندى** " بنت حسين ابن اويس في يوم الأربعاء تاسع ربيع الأخر ٧٩٦ هـ /١٣٩٥م " كان مبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار ، وكان صرف الدينار في ذلك الوقت ستة وعشرون درهما ونصف درهم"[2] ، مما يدل على أن الدينار كان عالي الثمن ، وان الحالة الاقتصادية كانت في حالة رواج ، وقد تزوج الأمير بشتاك رأس نوبة[3]" **خوند سارة** " أخت الأشرف شعبان على " صداق جملته خمسة عشر ألف دينار مصرية وأربعة مائة ألف درهم فضة"[4] .

١- **المقريزي** : السلوك ، ق٣ ، ج١ ، ص ٧١٠

٢- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ **المقريزي** : السلوك ، ق٢ ، ج٣ ، ص٨٠٧

٣- **راس نوبة** : من الوظائف التي ترد كثير في الكتابات ، والمقصود بالرأس هنا الاعلي ، والنوبة المرة تلو الاخري وهي الوظيفة الثالثة من الوظائف التي يشغلها العسكريون في حضرة السلطان في عصر المماليك البالغ عددهم خمس وعشرون وظيفة ويقوم من يعمل بها بالحكم في المماليك السلطانية ، (**القلقشندي** : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٥٥) .

٤- **المقريزي** : السلوك ، ق١، ج ٣، ص ١٧٠؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي** :المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص١٧٥

كانت العادة عند عقد قران أو زواج إحدى بنات السلاطين أو الأمراء، أو الأعيان أن تكتب لها خطبة صداق حسب مكانة صاحبها (صاحب العقد)[1] ، كما أن جهاز العروس يدل على مركزها فعلى سبيل المثال كان جهاز **"خوند ستيتة"** ابنه السلطان شعبان قد " حمل على خمسمائة حمال وعشرة قطر(صف) بغال" ومشي الحجاب والعسكر معه[2]، وعندما عقد للسلطان الظاهر برقوق على **" فاطمة ابنه الأميرة منجك اليوسفي"** ، حمل جهازها إلى القلعة " وكان قيمته ثماني مائة ألف مثقال ذهبا تحمله ثلاثمائة حمال وعشر أطباق زركشي وسبعون بغلا " ، والأمير أيد كار الحاجب[3] ماشي أمام الجهاز هو والأمير بهادر الإستادار ، والأمير قردم الحسني رأس نوبة ، والأمير يونس الدوادار والأمير قرقماش الخازندار فكان يوما مشهودا[4].

وعندما عقد للاتابكي جانبلاط (٩٠٥ ـ ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠-١٥٠١م) على **"خوند أصل باي"** الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه ٩٠٤ ـ ٩٠٥ هـ ١٤٩٨ ـ ١٥٠٠ م " نزل جهازها من القلعة ، وشق من القاهرة من صحوة النهار إلى الظهر وتوجهوا به إلى الأزبكية فكان عدد الحمالين أربعمائة حمال والبغال نحو من مائتين بغل ، خرجت له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان به من التحف والأمتعة ما يصعب وصفه"[5].

١- القلقشندي : صبح الاعشي ، ج١ ، ص٣٠٠ .

٢-ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص٣٥٠.

٣- الحاجب اسم الفاعل من الحجب ، وهو المنع من الدخول وهو في أصلة اسم وظيفة يطلق على من يقف بباب الإمام يبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن ،وصار هذا اللقب في عصر المماليك اسما لمن يقف بين يدي السلطان ونحوه من المواكب لتبليغة مطالب الرعية ويتصدي للفصل في المظالم التي تتعلق بأمور شرعية ، (**حسن الباشا** : الفنون ، ج ١ ، ص ٢٥١) .

٤- **المقريزي** : السلوك ، ق ٢ ، ج٣ ، ص ٥١٤ ـ ٥١٥ .

٥- ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ٤٢٩ .

تميزت تلك الأفراح المملوكية بالإسراف والبذخ الشديد ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر فرح ابنه الأمير بكتمر الساقي[1] على السلطان محمد بن قلاوون فقد أمر " بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي إلى الدور السلطانية " ، وأقيم الفرح سبعة أيام بلياليها ، واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه فكان أمرا عظيما ، وفي الليلة السابعه من الفرح جلس السلطان على باب القصر وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم يقدمون الهدايا، و"ذبح في ذلك اليوم الغنم والبقر والأرز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا ، وعمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار" وبلغت قيمه ما حمله الأمير بكتمر الساقي مع ابنته من الشوار (الجهاز) ألف ألف دينار مصرية "[2] . وذلك الفرح

١- الساقي من الوظائف التي تتيح لصاحبها الترقي إلى اعلى المناصب ، وكانت مهمة الساقي في عصر المماليك الإشراف على مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط ، وربما أطلق عليه الساقي لان وظيفته في بادئ الأمر كانت تقتصر على سقي المشروب ، أو ربما لان سقي المشروب هو آخر عمله الذي يختتم به مهنته ، **القلقشندي** : صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

٢- المقريزي : السلوك ق ١ ج٢ ،ص٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن كثير(**عماد الدين أبو الفداء إسماعيل عمر الدمشقي** ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : البداية والنهاية في التاريخ ، ج١٤ ،القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، ص ١٥٧ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٤ ، القاهرة ١٩٠٧ / ١٩٠٨ ، ص١٠٦ .

كانت العادة عند عقد قران أو زواج إحدى بنات السلاطين أو الأمراء، أو الأعيان أن تكتب لها خطبة صداق حسب مكانة صاحبها (صاحب العقد)[1] ، كما أن جهاز العروس يدل على مركزها فعلى سبيل المثال كان جهاز **"خوند ستيتة"** ابنه السلطان شعبان قد " حمل على خمسمائة حمال وعشرة قطر(صف) بغال" ومشي الحجاب والعسكر معه[2]، وعندما عقد للسلطان الظاهر برقوق على **" فاطمة ابنه الأميرة منجك اليوسفي"** ، حمل جهازها إلى القلعة " وكان قيمته ثماني مائة ألف مثقال ذهبا نحمله ثلاثمائة حمال وعشر أطباق زركشي وسبعون بغلا " ، والأمير أيد كار الحاجب[3] ماشي أمام الجهاز هو والأمير بهادر الإستادار ، والأمير قردم الحسني رأس نوبة ، والأمير يونس الدوادار والأمير قرقماش الخازندار فكان يوما مشهودا[4].

وعندما عقد للاتابكي جانبلاط (٩٠٥ ـ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠-١٥٠١م) على **"خوند أصل باي"** الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه ٩٠٤ ـ ٩٠٥ هـ ١٤٩٨ ـ١٥٠٠ م "نزل جهازها من القلعة ، وشق من القاهرة من صحوة النهار إلى الظهر وتوجهوا به إلى الأزبكية فكان عدد الحمالين أربعمائة حمال والبغال نحو من مائتين بغل ، خرجت له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان به من التحف والأمتعة مايصعب وصفه"[5].

---

١ - القلقشندي : صبح الاعشي ، ج١ ، ص٣٠٠ .

٢ -ابن حجر : انباء الغمر ، ج ٢ ، ص٣٥٠.

٣ - الحاجب اسم الفاعل من الحجب ، وهو المنع من الدخول وهو في أصلة اسم وظيفة يطلق علي من يقف بباب الإمام يبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن ،وسار هذا اللقب في عصر المماليك اسما لمن يقف بين يدي السلطان ونحوه من المواكب ليبلغة مطالب الرعية ويتصدي للفصل في المظالم التي تتعلق بأمور شرعية ، (**حسن الباشا** : الفنون ، ج ١ ، ص ١٥١) .

٤ - **المقريزي** : السلوك ، ق ٢ ، ج٣ ، ص ٥١٤ ـ ٥١٥ .

٥ - **ابن اياس** : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ٤٢٩ .

تميزت تلك الأفراح المملوكية بالإسراف والبذخ الشديد ، ومنها علي سبيل المثال لا الحصر فرح ابنه الأمير بكتمر الساقي[1] علي السلطان محمد بن قلاوون فقد أمر " بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي إلى الدور السلطانية " ، وأقيم الفرح سبعة أيام بلياليها ، واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه فكان أمرا عظيما ، وفي الليلة السابعه من الفرح جلس السلطان على باب القصر وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم يقدمون الهدايا، و"ذبح في ذلك اليوم الغنم والبقر والأرز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا ، وعمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار" وبلغت قيمه ما حمله الأمير بكتمر الساقي مع أبنته من الشوار (الجهاز) ألف ألف دينار مصرية "[2] . وذلك الفرح

١- الساقي من الوظائف التي تتيح لصاحبها الترقي إلي اعلي المناصب ، وكانت مهمة الساقي في عصر المماليك الإشراف علي مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط ، وربما أطلق عليه الساقي لان وظيفته في بادئ الأمر كانت تقتصر علي سقي المشروب ، أو ربما لان سقي المشروب هو آخر عمله الذي يختتم به مهنته ، **القلقشندي** : صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

٢- **المقريزي** : السلوك ق ١ ج٢ ،ص٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن كثير(عماد الدين ابو الفداء إسماعيل عمر الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : البداية والنهاية في التاريخ ، ج١٤ ،القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، ص ١٥٧ ؛ ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٤ ، القاهرة ١٩٠٧ / ١٩٠٨ ، ص١٠٦ .

تري الباحثة أن شغف المماليك بالزواج بأكثر من واحدة ربما رجع إلي إحساسهم بالقلة ورغبتهم في زيادة أعدادهم ، والدليل علي ذلك حرصهم علي الزواج من بنات جنسهم .

كان الأمير سيف الدين كراي إذا سافر اصطحب معه جوارية " فكان له اربع زوجات وثلاثون حظية من جوارية " . وعلى الرغم من أن تلك الظاهرة قد شاعت في ذلك العصر ، فإننا نجد فئة قليلة من الرجال قد رفضوا تلك الظاهرة واكتفوا بزوجة واحدة، مثل السلطان الأشرف إينال الذي تزوج بـ " **خوند زينب**[1] بنت خاصبك ، في إمرته ولم ينفك عنها ولا بعد سلطنته حتى مات ولم يتزوج عليها ولا تسرى وكل أولاده المؤيد أحمد وغيره منها بحيث انفرد عن سائر الملوك بذلك ، كما انفردت عن سائر الخوندات بالمزيد في نفوذ الكلمة ووفرة الحرمة " [2]

والسؤال الذي يطرح نفسه هل تقبلت المرأة في ذلك العصر هذا الوضع، بما عرف عنها من غيرتها على الرجل ، وأن تشاركها في زوجها امرأة أخرى أو الحظايا والجواري ؟ نستطيع القول أن المرأة في تلك الفترة كانت قد اعتادت على ذلك الوضع وقبلته، ولكننا لا نستطيع أن نقول أن جميعهن وافقن على ذلك، فمنهن من دفعها الحقد وغيرتها على زوجها إلى حد قتله،مثلما فعلت " **شجر الدر** " بعز الدين ايبك ٦٤٨-٦٥٥ هـ /١٢٥٠-١٢٥٧ م ، عندما علمت بخطبته لبنت الأمير لؤلؤ حاكم الموصل ، " فرتبت له سنجر الجوهري ، مملوك الفارس أقطاي ، " فدخل علية الحمام ولكمه ورماه والزم الخدم بمعاونته ، وبقيت **شجر الدر** تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرع لها إلى أن مات"[3] وقد تعدت الغيرة من بين طبقة الخوندات

١- **خوند زينب** أم الملك المؤيد أحمد وزوجة الأشراف إينال وكانت من أجل الخوندات قدرا، وراث في دولة زوجها الأشرف إينال غاية العز والعظمة ، حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل ، وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة في سعه من المال ولم تتزوج بعد الأشرف إينال وتوفيت في جمادى الأولي سنة٨٨٤ هـ / (**ابن إياس** : بدائع الزهور ج ٣ ، ص ١٥٦) .

٢- **السخاوي** : الضوء اللامع ج١٢ ص٤٤ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ج٢ ،ص٦٤ ، ص١٨٩.

٣- **أبو المحاسن ابن تغري بردي** : النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

والأميرات إلى طبقة الجواري والمحظيات فنجد أن شخصا اشترى جارية لخدمته فتملكت الجارية الغيرة من سيدتها فعمدت إلى قتلها ليخلو لها الجو مع سيدها[1]. ربما كان ذلك السلوك المشين نتيجة للمكانة التي أعطاها السلاطين والأمراء للجواري والمحظيات ، مما جعلهن يفعلن أي شي لتحظي بحب سيدها بمفردها ، حتى لو كان ذلك السبيل هو القتل ، حيث أن من تلد منهن من سيدها تصبح أم ولد ، وبعد موته تصبح حرة .

فعندما توفيت خوند الكبرى " **خوند شيرين** [2]" والدة السلطان الملك الناصر فرج اتهم جارية من جواريها بأنها سحرت لها ، فضربت الجارية ضربا شديدا ، فاتهمت رجلا نصرانيا كاتبا ، فعوقب بضرب شديد ولم يقر بشئ فمات بسجن القلعة وماتت الجارية أيضا .[3]

وكانت المرأة في ذلك العصر مثلها مثل النساء في كل عصر وزمان ، ومكان، ومع كل ما وصل إليه العالم من تقدم فالمرأة دائما بحاجة إلي من يحميها . ومعظم النساء يتزوجن بعد وفاة أزواجهن أو بعد طلاقهن ، نري أن الأمير منجك اليوسفي تزوج "**بخوند بركة** " أم السلطان الاشرف شعبان في سلطنه ابنها[4]، وكذلك نجد أن السلطان طومان باي تزوج فاطمة بنت العلاي ابن خاصبك زوجة السلطان أشرف قايتباي.[5]

وإذا كان هناك من لم تستطع أن تعيش بدون زواج ، فقد كانت هناك أيضا من رفضت الزواج بعد وفاة أزواجهن أو طلاقهن مثل " **غازية خاتون** " ابنة السلطان المنصور قلاوون[6] ، " زينب بنت خاصبك" زوجة السلطان اينال التي لم تتزوج بعد وفاته [7].

١- **المقريزي** : السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٧٢ ؛ **ابن إياس** : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص١٣٤ .

٢- **خوند شيرين** والدة السلطان الملك الناصر فرج وزوجة السلطان الملك الظاهر برقوق توفيت يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ٨٠٢ هـ/ ودفنت بمدرسة الظاهر برقوق بين القصرين (الصرفي : نزهة النفوس : ج٢ ، ص٦٩ ؛ بن تغري بردي : النجوم ج١٣ ، ص ١٩ ؛ **بن حجر** : أنباء الغمر ، ج٤ ص ١٦٤) ؛ **قال بن تغري بردي في كتابة النجوم، ج١٣، ص١٩** : "أنها بنت عبد الله الرومية" .

٣- **الصيرفي** : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٩ .

٤- **المقريزي** : السلوك، ج٣ ، ص٢١٠-٢١٢ ؛ **بن حجر** : الدرر الكامنة ،ج ١ ، ص٤٧٠ ، ص٤٧٥ ، أنباء الغمر، ج ١،ص٤٨؛ **بن تغري بردي** : النجوم ، ج ١١، ص ٣٨٠ ، المنهل الصافي ، ج٣ ،ص ٣٥٥.

٥- **ابن إياس** : المصدر السابق، ج٣ ، ص ٤٦٩ .

٦- **ابن تغري بردي** : النجوم ، ج٧ ، ص٢٧٢ .

٧- **إياس** : المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٥٧.

الأســـــــــرة

العلاقة الأسرية

تقوم البنية الأساسية للمجتمع الإسلامي علي أسس وأخلاقيات تختلف عن غيرها من المجتمعات الأخرى ، فالرجل و المرأة شريكان في بناء أسرة مترابطة يسود الحب والتفاهم بين أفرادها، فالأسرة هي الركيزة الأساسية لأي مجتمع سليم البنية .

وعلي الرغم من أن الاسره هي العمود الفقري للمجتمع ، فإننا لم نجد في عصر سلاطين المماليك روابط أسرية قوية تجمع أفراد الأسرة علي الحب والتفاهم فقد حاول المماليك تكوين أسر إلا أن التفكك والسطحية كانت تطفو علي سطح تلك العلاقات الأسرية ، مما يجعلنا نتساءل عن أسباب ذلك التفكك والجمود ، الذي كان يسود الأسرة آنذاك . ونخلص إلي أنه نتيجة لتعدد الزوجات أو لكثرة الجواري والمحظيات ، اللاتي كن يأخذن جانبا كبيرا من اهتمام السلاطين والأمراء نري أن ذلك الأمر أثر علي علاقة الأخيرين بنسائهم وأبنائهم ، أو لأن نشأة المماليك بطبيعتها وعلاقة السلاطين والأمراء بمماليكهم كانت تحتل المكانة الأكثر أهمية ، فقد كانوا يجلبون المماليك صغارا ، فكان السلاطين والأمراء يشرفون عليهم في كافة شئون حياتهم من غذاء ومسكن وملبس بأنفسهم ، كما أنهم كانوا يتناولون غذاءهم مع مماليكهم ، فقد" كانت الروابط بين السلاطين ومماليكهم أقوي من الروابط الأسرية وكانت تسمي بالأستاذية" [1]،أما الروابط بين المماليك بعضهم ببعض فكانت قوية

١- **المقريزي** : الخطط ، ج١ ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

- **الأستاذية** : هي الرابطة التي تربط بين المملوك وسيده أي أستاذه الذي اشتراه من الرقيق وهو صغير وتعهد بالتربية والرعاية حتي يكبر ثم اعتقه. (انظر **سعيد عاشور** : تاريخ مصر الإسلامية ، ص٤٠٠).

جدا وهي رابطة الخشداشية وكان نتيجة ذلك الاهتمام الكبير الذي لاقاه المماليك من أسيادهم، أن كان ولاؤهم الأول والأخير لأستاذهم[1] .

أثرت العلاقة بين المماليك وبعضهم علي العلاقات الأسرية لأن ذلك الوقت الذي كان المماليك يقضونه مع بعضهم كان من وقت الأسرة ، وكان ذلك من أسباب تفكك الأسرة في تلك الفترة و بالإضافة إلي ذلك فهناك عامل آخر ساعد علي ذلك التفكك في أواصر الأسرة، وهو ظهور عادة سيئة انتشرت في ذلك العصر وهي الشذوذ الجنسي الذي اثر تأثيرا واضحا علي الحياة الزوجية ، وقد كان من آثار ذلك "أن لجأت النساء إلى التشبه بالرجال في لبس ملبسهن لاستمالة قلوبهم" [2]

و رغم تفشي تلك المساوئ ، والتفكك الذي ساد جو الأسرة المملوكية ، فإن ذلك لم يمنع من وجود عدد من النساء اللاتي كن مثالا للوفاء والإخلاص لأزواجهن مثل "**غازية خاتون**" ابنة السلطان المنصور قلاوون ، التي حزنت علي وفاة زوجها السعيد بركة ٦٧٦ـ ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٧ ـ١٢٧٩ م حزنا شديدا ولم تتزوج بعده [3] .

١- **سعيد عاشور** : تاريخ مصر الإسلامية ، ص٤٠٠ ـ٤٠١ .

٢- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٤.

٣- **ابن الفرات** : تاريخ بن الفرات، ج٧ ، ص١٦٦ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ،ج٧ ، ص٢٠٢.

تعتبر الأم هي العمود الفقري للأسرة، فكما أعطي الإسلام للمرأة حقوقها فقد فرض عليها واجباتها فهي كامرأة مسلمة لها مكانتها في المجتمع يقع عليها عبء تربية النشء، فهي المدرسة التي تغرس القيم ، وتهذب النفوس وتقوم سلوك الأطفال، لذا أوصي الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم بالأم في قوله تعالي : " **ووصينا الإنسان بوالدية حملته أمه وهنا علي وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك** "[1] ، كما أوصي الرسول ﷺ بالأم أيضا ففي احد الأحاديث النبوية " **جاء رجل إلي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك** " [2]

أما عن تربية الأطفال في الأسرة المملوكية فكان يقع أيضا علي عاتق المرأة التي تهتم بأطفالها ، وتسهر علي راحتهم وخاصة زوجات السلاطين والأمراء ، الذين كانوا يحبون أبناءهم ويخافون عليهم خوفا كبيرا بسبب ما يوجد في تلك الطبقة من صراعات علي الحكم ، فقد قامت بعض السيدات باغتيال بعض الأشخاص خوفا علي أبنائهن من تلك الصراعات، مثلما فعلت **الخاتون أم بركه خان** باغتيالها للأمير بيلبك ، عندما وصل إلي سمعها أنه يعمل علي عزل ابنها السعيد بركه من سلطنة الديار المصرية [3] وكذلك خوند أم السلطان الناصر محمد بن قلاوون التي خرجت من الكرك تاركه الديار والسلطنة لتوفر لابنها الهدوء ، و الأمان بعيدا عن التآمر علي العرش، فذهب إليها الأمراء بعد سلطنة السلطان لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦

١- القرآن الكريم : سورة لقمان ، آية ١٤ .
٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ ، تصحيح وتعليق : موسي محمد علي ، وعزت علي عطية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٨٩ .
٣- مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩١١م، ص٢٨٩- ٢٩٠ .

-١٢٩٨م ، ليحملوا الناصر للديار وتنصيبه سلطانا علي البلاد ولكنها امتنعت فما زالوا بها حتى وافقت علي طلبهم وسلمت إليهم ولدها الناصر محمد[1].

حظيت الأم في تلك الفترة بمزيد من الاحترام والتقدير من جانب أبنائها لما كانت تحيطهم به من اهتمام وحب وخوف عليهم ، فكان السلطان الأشرف شعبان "يحب أمه حبا شديدا ، لذلك كان يكثر لها البر وكان لا يمكنه مخالفتها في رأي أو مشورة " [2] ، وكذلك حزن السلطان فرج بن برقوق علي وفاة أمه خوند شرين " واتهم جماعة من الخوندات بأنهم سحروها حسدا وبغضا لأنها سارت سيرة حسنة جميلة "[3] ، وقد انتشر السحر بين نساء المماليك في تلك الفترة بصورة واسعة ، وكان الحريم السلطاني[4] يهتمون بالسحر للأسف ، فقد كانت الخوندات وزوجات السلاطين يكدن لبعضهن ، وكان ذلك نتيجة تعدد الزوجات ، وكثرة الجواري والمحظيات فإذا توفيت خوند الكبرى اتهم السلطان خوند الثانية بأنها سحرت لها[5].

١- العيني(بدر الدين محمود . ت ٨٥٢هـ / ١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، حوادث وتراجم ٦٤٨-٦٦٤هـ/ ١٢٥٠-١٢٦٥م ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ج٢٨ ، ص ١٧٦ .
٢- ابن حجر : إنباء الغمر : ج ١، ص ٤١ .
٣- أبو المحاسن ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج١، ص٢٨١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص٧٠
٤- الحريم السلطاني : كان يحتوي علي عدة قاعات تحيط بها البساتين والأشجار والطيور والحيوانات الجميلة ، فقد خصصت لكل واحدة من زوجات السلطان الأربع قاعة خاصة بها ، وأحيطت كل واحدة منهن بعدد من الوصيفات . كما خصصت لكل واحدة منهن أربعة طواشية (خصيان) بمثابة حرس دائم لها ولا يفارقها في أي مكان تذهب إليه ، فإذا رزق السلطان بولد ذكر من إحدى زوجاته دقت البشائر بالقلعة وانعم علي الأمراء بالخلع (سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٤٤١- ٤٤٢) .
٥- أبو المحاسن ابن تغري بردي : منتخبات من حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور ، كاليفورنيا ١٩٣٠-١٩٦٨ م ، ص ٢٢٦ .

الزينة

تعتبر نساء مصر " من أرق نساء الدنيا طبعا وأحلاهن صورة " كما وصفهن ابن ظهيرة[1] . وقد تفننت المرأة في عصر المماليك في إظهار جمالها ورقتها، كما حرصت علي أن " تأخذ شعر وجهها وجسدها بالتخفيف وشعر حواجبها بالمساواة والزينة" [2] . وكذلك اهتمت نساء السلاطين والأمراء أن يظهرن في أبهي صورة ، كما اهتموا بتزيين العيون والحواجب بالكحل وتبخير الكعوب بالبخور المخلوط بالعنبر وتخضيب الأيدي بالحناء[3] . وقد أشار ابن تغري بردى عندما تحدث عن مقتل **"خوند بنت صروق[4]"** مطلقة السلطان فرج بن برقوق أن" أصابعها عند موتها كانت مقمعة بالحناء"[5] .

شمل الترف كافة نواحي الحياة في تلك الفترة مما انعكس على أدوات التجميل والزينة ، التي هي وثيقة الصلة بالترف والرفاهية ومنها الملابس والحلي، والمكاحل وغيرها من أدوات الزينة مما أقبلت عليه المرأة في تلك الفترة .

١- **بن ظهيرة** : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، (تحقيق ونشر مصطفى السقا وكامل المهندس) ،القاهرة ١٩٦١، ص ٨٠ .

٢- ابن الحاج - أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي ، **(ت ٧٣٧ هـ ١٣٣٧ م) :** المدخل ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م، ج٢ ، ص١٦٧ ،ج٤ ، ص١٠٧.

٣- **سعيد عاشور :** المجتمع المصري ، ص١٢٧ .

٤- **خوند بنت صروق** زوج السلطان الملك الظاهر فرج بن الظاهر برقوق وكان طلقها وهجرها . وعندما وشي إليه الواشون أنها علي علاقة بالأمير شهاب الدين بن الطبلاوي ، أرسل في طلبها وقتلها وكان ذلك في سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١م (**أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم ج١٣، ص١٣٠- ١٣١؛ **الصيرفي :** نزهة النفوس، ج٢، ص٣٠١) .

٥- **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم، ج ٦ ، ص ٢٥٤ .

اختلفت معايير الجمال من عصر إلى عصر ومن مكان إلى آخر حسب العادات والتقاليد واختلاف الحضارات ، وقد اعتنت المرأة في ذلك العصر بسمنتها، وبدانتها حتى تنال إعجاب الرجال ، مما أثار حفيظة ابن الحاج على نساء تلك الفترة لما فعلن من حماقات للمحافظة على بدانتهن مثل " إفطارهن في شهر رمضان المعظم قدره لغير عذر شرعي " كما سعت بعض النساء إلى عمل فظيع لطلب السمنة " وذلك أن بعضهن يأكلن مرارة الآدمي لأن من تستعملها منهن يكثر أكلها وقل أن تشبع بسبب ذلك ..... ويزيد حسنها ويغتبط الرجال بها " . [1]ربما كان هذا الكلام من باب المبالغة ، ليدل علي مدي اهتمام النساء بجمالهن مهما كانت التضحيات ، وكذلك مدي رغبتهن في لفت أنظار الرجال وإرضائهم

الأمشاط

وكان لاهتمام المرأة في تلك الفترة بتصفيف الشعر وابتكار كافة الوسائل لإظهار جمالهن ، أن اهتموا بالأمشاط والتي كانت تصنع من السن[2] أو القرن أو الأبنوس أو الخشب[3]؛ ويحتوي متحف الفن الإسلامي على عدد كبير من تلك الأمشاط، وكانت الأمشاط المصنوعة من العاج[4] قاصرة على طبقة المماليك لارتفاع أسعارها ، وكانت أشكالها ومقاساتها طولا وعرضا وأسنان المشط من جهتين ، جهة للأسنان الرفيعة الحادة والجهة الأخرى للأسنان السميكة القوية ، أما الجزء الأوسط المحصور بين الأسنان فتزينة من الوجهين زخارف مختلفة بالطلاء أو بالحفر البارز أو الغائر بأشكال نباتية أو رسوم حيوانية وطيور وأسماك ، أو زخارف هندسية تشير إلى الوظائف المملوكية للسلاطين والأمراء ، كما تشتمل على بعض الألقاب الخاصة بالنساء[5].

١- **ابن الحاج :** المدخل ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٥ .

٢- **السن (العاج) :** كان بعض الصناع يستخدم العظم بدلا من السن في تطعيم الحشوات ، ويمكن التمييز بينهم باستخدام الزيت الذي يترك أثرا واضحا علي حشوات العظم ، ومن مميزات السن انه ناعم الملمس ، بينما العظم ملئ بالخلايا التي تظهر علي شكل ثقوب صغيرة جدا (**انظر نعمت أبو بكر** : دراسات اثارية سلامية ، المجلد الأول ١٩٧٨م ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٢م ، ص١٤٣ .

٣- انظر الملاحق ، لوحه رقم (١)

٤- انظر الملاحق ، لوحه رقم (٢)

٥- **سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ٧٠٩٠، ٤٩٣٢ .**

المرآة

المرآة عبارة عن قرص مستدير مصنوع من البرونز والصلب ، وأحيانا يكون لها مقبض مصنوع من نفس القطعة مع القرص أو يكون مضافا إليه ، وللمرآة وجهان وجه مصقول يعكس صور الأشياء ووجه عليه زخارف بارزة من عناصر آدمية[1] أو حيوانية أو نباتية أو هندسية أو كتابية[2] ، وكان الوجه غير المصقول يقسم إلى عدة دوائر ذات مركز واحد وتزخرف كل دائرة بإحدى العناصر السابقة[3] وتوجد مرآة محفوظة في متحف الفن الإسلامي وهي من البرونز على ظهرها زخارف نباتية ، وعلى وجهها المصقول كتابات قرآنية وأخرى سحرية[4] الأمر الذي يدل على أنها كانت تستعمل كتميمة تقي صاحبتها من الحسد[5].

المكاحل :

وهي من معدات التجميل التي نالت عناية المرأة ، وكانت تستعمل في الأغراض المختلفة للتجميل مثل رموش العين والحواجب ، وللمكاحل مهما اختلفت مادتها مرود[6] ينغمس فيها ، وقد اختلفت مداد تلك المراود عن نوع المكاحل ، وأحيانا تكون المكحلة من العاج ومرودها من الخشب والعكس و قد تكون المكحلة من الزجاج ، ومرودها من البلور وكان المرود يغمس في الماء قبل غمسه في المكحلة حتى يتعلق بها الكحل المسحوق ليسهل استعماله . ومن أجمل تلك المكاحل واحدة محفوظة في متحف الفن الإسلامي مصنوعة من العاج[7]، و" في أعلاها تجويف لتخزين الكحل غطاء الشكل ينتهي من أعلى بسلسلة من المعدن ليعلق فيها المرود الذي خصص له تجويف آخر أضيق من السابق بجوار المكحلة ، أما قاعدتها فذات شكل كأس مقلوب وبدنها ذو شكل منشوري مسدس الأضلاع ، ومكسو بطبقة رقيقة من الفسيفساء تتألف من قطع صغيرة من الأبنوس والسن تؤلف في مجموعها أشكال هندسية رائعة ، ويعرف هذا الأسلوب من الزخرفة بالترصيع وشاع استعماله في العصر المملوكي الثاني" .[8]

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٣)
٢- احمد ممدوح : أدوات التجميل ، ص ٦٩ .
٣- سجلات متحف الفن الإسلامي ، مرآة ، رقم سجل ١٥٣٣٣ .
٤- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٤)
٥- سجلات متحف الفن الإسلامي ، مرآة ، رقم سجل ١٥٣٢٧ .
٦- المرود عبارة عن عود صغير من الخشب أو العظم ، أو المعدن يبلل طرفه وينغمس في المسحوق (انظر امتثال محمود مرسي : دراسات اثارية إسلامية ، المجلد الرابع ، القاهرة ١٩٩١، ص ٤٢).
٧- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٥).
٨- سجلات متحف الفن الإسلامي ، رقم سجل ٤٠٥٠ .

الملابس :

تعتبر الملابس إحدى أدوات الزينة ، وهي مرآة للتطور الحضاري لأي عصر من العصور ، إذ أنها تلقي الضوء على مستوى الحياة الاقتصادية وذلك من خلال الأنواع التي استعملت في تلك الملابس ، فتدلنا إلى ما وصلت إليه تلك الفترة من تقدم ورقي ، كما كانت الملابس عرضه للتبديل والتغيير من وقت لأخر، طبقا للأذواق والبيئة والأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وعندما نتحدث عن ملابس المرأة في العصر المملوكي فإننا سوف نبدأ من الملابس الداخلية :

السروال

اسم مشتق من الكلمة الفارسية (شلوار) ، وكان يستعمل للرجال والنساء، وقد اختلفت أشكاله فهو أحيانا ضيق ويصل إلى القدمين ، وأحيانا واسع وكان السروال يلبس على الجسد ويربط بالتكه ، وكان هناك نوع منه سمي المئزر[1] وكان يصل إلى الركبتين وهو يشبه ما كان محتم على الرجال ارتداؤه في الحمامات العامة[2] ، أما عن سعره فقد" كان يباع بستة دراهم مؤيدية"[3]. وقد استعملت النساء نوع من السراويل الطويلة ، وسمي السروال في العصر المملوكي والآن " اللباس " ، بعد

١- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص٥٤٠ ؛انظر أيضا تريمان عبد الكريم : المرأة في مصر في العصر الفاطمي ، ص١٥٣ ـ ١٥٤
٢- محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١ ،ط١ ، سنة ١٣٤٨ هـ ؛ مطبعة السعادة ؛القاهرة ؛ص٢٨٤ ؛ المقريزي : السلوك ق١ ،ج٤،ص ٣٤١ ؛ أبو المحاسن بن تغرى بردى : المنهل الصافي ج٣، ص ١٨٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٣١٠ .
٣- ashtor , le Evolution des prix dans le proche-orient a la basse époque , JESHO, IV (1961) , pp 42

مقتل " شجر الدر" أولى سلاطين تلك الدولة، " ألقت جواري عز الدين ايبك جسدها في الخندق الموجود خلف القلعة ، وهي عريانة وليس في وسطها غير لباسها ، فظلت ملقاة في الخندق ثلاثة أيام حتى نزل إليها الحرافيش وقطعوا تكة اللباس وكان به أكرة لؤلؤ ونافحة (رائحة) مسك " [1]، هذا إلي جانب ما رواه المقريزي عن أن الظاهر بيبرس قطع أيدي جماعة من نواب المقدمين والخفراء "لأن بعض المقدمين أمسك بامرأة وعراها من سروالها" [2].

القميص :

وهو ما يلبس فوق وكان يصنع من أقمشة رقيقة، وقد ظهر في العصر المملوكي نوع من القمصان أطلق عليه اسم " بهطلة " كانت أكمامه متسعة جدا[3] "بلغ اتساع أكمامها إلى ثلاثة أذرع ، وثمنه ألف درهم فما فوق" ، وذلك دلالة علي أهمية لبس ذلك القميص وقد أبطلها الوزير منجك[4] ، أما عن ثمن القميص فقد وصلت تكلفة أحد قمصان خوند زينب زوجة السلطان اينال مثلا "ما يفوق الإثنى عشر ألف درهم"[5].

١- ابن اياس : بدائع الزهور ، ق١ ،ج١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

٢- المقريزي : السلوك ، ق١، ج١ ، ص٥٤٠ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج٢٧ ، ص ٥١٩ .

٣- ماير : الملابس المملوكية ؛ ترجمة صالح الشيتي : القاهرة سنة ١٩٧٢، ص ١٢٣ .

٤- المقريزي : السلوك، ق١، ج٢، ص ٨١٠ .

٥- محمد مصطفي زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور لابن اياس ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٥١.

الثوب :

وهو عبارة عن رداء واسع مسترسل[1] ، يرتدي فوق الملابس الداخلية ، فقد اهتمت بأناقته طبقة المماليك وكانت الملابس تختلف من فترة إلى أخرى ، وتتأثر بحركة الاكتشافات الأثرية ، ففي أواخر القرن التاسع الهجري ، الرابع عشر الميلادي تم اكتشاف عمودين كبيرين في قصر الزمرد أحد القصور الفاطمية في الجهة الشرقية بالقاهرة ، وقد أحدث ذلك الاكتشاف ضجة كبيرة فقد أثر على الملابس ، فأخذوا من الرسومات التي عليهما أشكال بعض الملابس ، كما اخذوا عنها ثوب يشبه العمود في طولها ، وكان هذا الثوب يكسب الجسم جمالا ورقة ، وأحيانا يكشف عن تفاصيله وكان ذلك الثوب من الحرير، وعرف باسم " جر العمود " [2] . عاب ابن الحاج على نساء تلك الفترة ارتداءهن الأثواب القصيرة ذات الأكمام القصيرة المتسعة التي تظهر مفاتن المرأة وجسمها وكذلك عدم لبسهن السراويل ، حيث "كن يقفن على باب الريح و الأسطح فمن يلتفت أو يرفع رأسه يرى عوراتهن " [3] ،أما عن ثمن الثوب فكان باهظا فقد " بلغ تكلفة ثوب صنع خصيصا لخوند جلبان(زوجة الملك الاشرف برسباي) من أجل حفل ختان ابنها الملك العزيز يوسف ولي العهد مبلغ ثلاثين ألف دينار "[4].

١- ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢٥ ؛ نريمان عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

٢- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٢٤٥.

٣- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٤٤ .

٤- أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج ٦ ، ص ٧٣٩ .

أغطية الرأس :

من تلك الأغطية التي استعملتها النساء كغطاء للرأس :

العصابة

وهي عبارة عن شال أو قطعة من القماش على شكل مثلث تلف حول الرأس ويكون طرفها للوراء ، وكانت العصائب تزركش ويكتب عليها بالخيوط الذهبية ، ويوجد مثال لها على طبق من الخزف ذي البريق المعدني محفوظ في متحف الفن الإسلامي [1]، وكانت عصائب طبقة المماليك تطرز بالزخارف الجميلة ، وتزين بالذهب واللؤلؤ . وقيل أن احدي تلك العصائب بلغ ثمنها مبلغا مغالي فيه من المال فقد " بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية"[2] .

الشاش

وهو من أغطية الرأس وهي " عصابة تلبسها المرأة يكون أولها عند جبينها وأخرها عند ظهرها وشكلها مثل سنم الجمل ، ويبلغ طولها نحو ذراع وارتفاعها ربع ذراع ، وكن يبالغن في زخرفتها بالذهب واللؤلؤ ، وقد وصفها ابن تغري بردي " وقد رأيت أن هذا الشاش المذكور وكان علي صفة الحلي الذي تحلى به العروس بل كان أكثر تعبا في تعديله "[3] .

١- أحمد ممدوح حمدي : معدات التجميل ، بمتحف الفن الإسلامي ، القاهرة ١٩٥٩ م، ص ٢٣.

٢- المقريزي : السلوك ق١ ، ج٢ ، ص٤٧٣ ، ج٣ ، ص ٨٧٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ ؛ الشوكاني : البدر الطالع ، ج١ ، ص ٨٧.

٣- أبو المحاسن بن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .

الشربوش

وهو أشبه بالتاج مثلث الشكل ، كان يوضع علي رأس المرأة بدون عمامة ، وقد أشار المقريزي علي سوق الشربشين ويباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان والأمراء والوزراء والقضاة ، وعرف بهذا الاسم نسبة إلي الشرابيش ، وقد أبطل الشربوش في الدولة الجركسية ، وحل محله الطواقي ذات الألوان الخضراء والحمراء والزرقاء ، وقد أقبلت النساء علي ارتدائها ، وقد علل لنا المقريزي سبب إقبال نساء المماليك علي تلك الطواقي الجركسية " أنه ساد في أهل الدولة محبة الذكور ، فقصد نساؤهم التشبه بالذكور ليستملن قلوب رجالهن فاقتدي بفعلهن في ذلك نساء البلد" ، كما حاول تبرير استعمال النساء لتلك الطواقي بما حل بالناس من الفقر " مما اضطر النساء إلي ترك لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير ، ولبسن هذه الطواقي" ،ثم عاد المقريزي فقال إن النساء بالغن في عملها من الذهب والحرير وإقبالهن علي لبسها . ويبدو أن ذلك قد اقتصر علي نساء السلاطين والأمراء[1].

المقنعة

وهي من الحجب التي كانت تضعها النساء فوق وجوهها وعرف بالقناع[2] (البرقع الآن). وكان يصنع من قماش الموسلين وتثبت تحت إزار[3] المرأة وبعد أن تلف وجهها تماما، والطرحة التي توضع فوق الرأس ، كانت تنسدل على الوجه فتخفيه عن أعين الرجال الفضوليين[4] ، وقد" تفاوتت أسعار الطرحة والمقنعة في

١- المقريزي : الخطط ، ج ٢، ص ١٠٤ .

٢-ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ١٤٥ ؛ المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص ٤٣٢.

٣- الإزار : ملاءة فضفاضة كانت ترتديها نساء عصر المماليك ، وكانت بالنسبة للمسلمات ذات اللون الأبيض .(ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢٦)

٤- المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص ٤٣٢.

تلك الفترة بين الخمسة والعشرين ألف دينار "[1]،وقد استجدت المقنعة في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون" وبلغ ثمنها العشرة آلاف دينار وربما أقل من ذلك"[2] ،" وقيل أن حاكم الشام قدم لابنته زوجه السلطان الناصر محمد مقنعة وطرحة ، بسبعة آلاف دينار "[3] ، وكان ذلك النوع من الطرح قاصرا على نساء طبقة المماليك نظرا لأثمانها الباهظة .

المنديل (القناع)

وهو من حجب الوجه ويوجد منه نوعان ، النوع الأول وهو" عبارة عن منديل أبيض وأسود ويسمى بالبرقع وهو يغطى الوجه كله إلى ما تحت العينين" [4]، وقد شاع استعماله بين عامة الشعب ، أما النوع الثاني فهو أشبه بشبكة سوداء كانت تغطي الوجه كله ، وقد اقتصرت على نساء الطبقة العليا ونساء الأثرياء[5].

١- **المقريزي** : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص ٥٣٦ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم ، ج ٩، ص ١٨٧، المنهل الصافي ، ج٣ ، ص ١٩٣ .

٢- **المقريزي** : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص٥٣٦ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم** ، ج ٩ ، ص١٧٦ .

٣- **المقريزي** : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص٤٣٣ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي : المنهل** ، ج٣ ، ص ١٩٣ .

٤- **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم ، ج٩ ،ص١٦٨ ؛ **ابن ظهيرة:الفضائل الباهرة** ، ص ٨٤ .

٥- **ماير** : الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ .

الحلى

أقبلت عليه المرأة منذ العصور الوسطي والقديمة ، ولقد اشتهرت مصر الفرعونية بصناعة الحلي ، وعرفت المرأة الأقراط والتيجان والعقود ولم يكن التزين بتلك الأنواع قاصرا على النساء بل شارك فيها الرجال أيضا [1]. وقد استخدم في صناعة الحلي معدن الذهب والفضة وكانت تطعم بالأحجار الكريمة واستمر ذلك حتى وقتنا الحالي [2].

وكانت الحلي من أهم معدات التجميل التي لا غنى عنها للمرأة في مصر المملوكية ومنذ عصر الفراعنة ، ولكن المعلومات التي وصلت إلينا نادرة جداً ، ولعل هذا راجع إلى أن معظم المؤرخين لم يروا تلك الحلي والجواهر التي كتبوا عنها ، ربما لأنها كانت محفوظة في خزائن لم يستطيعوا الوصول إليها ، أو لأنها كانت خاصة بزينة الخوندات وزوجات الأمراء والمحظيات والجواري .

وقد وصلتنا من العصر المملوكي" دلاية ذهبية عليها كتابة بالخط النسخ وزخارف المينا متعددة الألوان والمينا عبارة عن مادة زجاجية نصف شفافة تذاب وتستخدم في زخرفة المعادن كالذهب والفضة والنحاس" ، وعرفت العصور الوسطي طريقتين لزخرفة الحلي بالمينا ، الأولى ونطلق عليها المينا ذات الفصوص وفيها تصب المينا في حواجز رقيقة ذهبية تلصق على المعدن ، والطريقة الثانية تعرف بالحفر وفيها توضع المينا في تجاويف حضرت خصيصا لها على صحيفة من المعدن ثم تسوى في النار ، وقد شاعت تلك الطريقة في عصر المماليك ربما لأنها لم تكن تتطلب تعبا أو مهارة كبيرة مثل الطريقة الأولى[3].

١- **عبد الرحمن زكي** : الحلي في التاريخ والفن ، من سلسلة المكتبة الثقافية ، عدد رقم ١٢٦ ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٤٩ .

٢- **الشربيني** : هز القحوف ،ج٢ ، ص ٧٥ .

٣- **الشربيني** : هز القحوف ،ج٢ ، ص ٦٠ .

كما اهتمت النساء بلبس الأساور[1] التي كانت تصنع من الذهب المفرغ أو المجدول ، والتي كان طرفاها ينتهيان برؤوس حيوانية مثل الأسد أو التنين ، كما اهتموا بلبس الخواتم من الذهب والفضة المملوءة بالفصوص الثمينة[2] ، وقد حرصت النساء عل لبس الأقراطْ الذهبية ، فقد وصلنا إحدى تلك الأقراط التي ترجع إلى العصر المملوكي ، وهو قرط كبير من الذهب محفوظ في متحف الفن الإسلامي وهو "على شكل دائرة يتوسطها شريط مستطيل به زخارف ذات أشكال نباتية وهندسية مفرغة ، وتتدلى من أسفله حليتين تكتنفان دائرة صغيرة بها زخارف مخرومة"[3].

الأحذية

أما عن أحذية النساء في تلك الفترة فكانت تشبه أحذية الرجال المعروفة بالخف من حيث أشكالها وخفتها وفخامتها وكانت تصنع من جلد ملون[4] ، وكان يغالى في تزيينها وزخرفتها وأطلق عليها اسم " الأخفاف المثمنة "[5] ، وكان يلبس

١- انظر الملاحق ، لوحه رقم (٦) .
٢- المقريزي : السلوك ، ج٢ ، ص ٥٢٨.
٣- أحمد ممدوح : المرجع السابق ، ص١٣٣.
٤- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٥.
٥- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٢٢ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص١٩٣

فوق تلك الأخفاف أحذية قصيرة تعرف باسم (سرا موزة)[1] وتعني النعل واصلها فارسي معناها رأس الخف[2] ، وكانت تلبس خارج المنزل ، وقد استجدت للنساء في عصر الناصر محمد "الأوطية المرصعة"[3] وكانت النساء يحصلن علي الأحذية والأخفاف من "سوق الأخفافيين"[4] .

أما عن القباقيب الخشبية فقد" تميزت بقوائمها المرتفعة إلى ما يقرب من التسع بوصات"[5] . وكانت هذه القباقيب مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة أو بالصدف والعاج والأبنوس، وقد تكون مرسومة برسوم اللاكية[6]. وكانت تستخدم في المنازل عند الاستحمام ، واستخدمتها المرأة لإظهار مفاتن الأقدام التي كانت تنقش بأشكال بديعية من الحناء[7] .

١- سرموزة: لفظ فارسي يتكون من مقطعين ، سر بمعني رأس ، وموزة بمعني خف ، أي رأس الخف (المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٥) .
٢- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٥.
٣- المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج٢ ، ص٥٣٦ .
٤- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٥
٥- lane (Edward) , the manners and customs of the modern Egyptians, London ,1966 , p 46
٦- المقريزي : السلوك ، ق١ ، ج٢، ص٨١٤، ج٣، ص٢٠٣ ؛ أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج٥ ، ص١٠٤ ؛ انظر أيضا أحمد ممدوح : معدات التجميل ، ص٥٣ .
٧- سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص١٢٧ .

ولقد لعبت القباقيب دوراً تاريخياً في دولة المماليك ، فجاءت نهاية أول سلاطين تلك الدولة من النساء من الرجال بالقباقيب ، فكانت وفاة عز الدين ايبك على يد "شجر الدر" بالقباقيب ، كذلك جاءت نهاية "شجر الدر" على يد جواري ايبك بالقباقيب أيضا[1] ، أما عن أسعار تلك القباقيب فقد وصلت أن" قيمة ثلاثة قباقيب نسائيه فيها اثنان مرصعان بالجواهر بلغت ما يقرب من مائة وخمسين ألف درهم في غضون القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي أي ما يساوي ثمانين ألف مثقال من الذهب"[2] .

وبعد أستعراض أحوال نساء القصر، ودورهن في كافة شئون الحياة وتأثيرهن علي أزواجهن أو أبنائهن، وما تمتعن به من نفوذ وسلطه، سوف نتحدث في الفصل الثاني عن الشريحة الأخرى من المجتمع في تلك الفترة وهي طبقة العامة المؤلفة من الشعب المصري ، لكي نعرف هل كان للمرأة المصرية دور في الحياة العامة وما تأثيرها في حياة الرجل والمجتمع .

١- **ابن اياس** : بدائع الزهور ، ق١ ، ج١ ، ص٢٩٣- ٢٩٥ .
٢- **المقريزي** : السلوك ، ق١، ج٣ ، ص٢٠٣ ؛ **ابن حجر** : أنباء الغمر، ج١ ، ص٣٤ .

الفصل الثاني

◉ مكانة نساء طبقة العامة

- حرية المرأة

- عمل المرأة ووظائفها

- الخاطبة - الدلالة - الداية أو القابلة
- الدادة أو المرضعة - الغاسلة - المعلمة
- البلانة - الماشطة - الصانعة

- المغاني

- خديجة الرحابية - خوبي العوادة
- عزيزة بنت السطوحي - خديجة أم خوخة
- الريسة بدرية بنت جريعة - ضيفة الحموية
- بياض - هيفة اللذيذة - اتفاق

- البغايا

◉ الحياة الأسرية

تخطيط المنازل - الحياة المنزلية - طعام الأسرة
العلاقة الزوجية - دور الأم

الاحتفالات العائلية

الزواج - النفاس والولادة - الختان

أدوات الزينة

الملابس – القميص – السـروال (اللباس) - الثوب

أغطية الرأس

العمامة – الطرطور – الطاقية – البخنق

الحجب

البرقع – النقاب

الحلي

الأحذية

مكانة نساء طبقة العامة

تمتعت المرأة المصرية في المجتمع المملوكي بنصيب كبير من الاحترام والإجلال ، الذي لم يقتصر على طبقة المماليك فمن الأدلة التي تشير إلي ذلك التقدير الألقاب العديدة التي أطلقها الناس على نسائهم وبناتهم ، مثل **ست الخلق وست الحكام وست الناس وست القضاة ، ومت الكل.، وست الأعداء** ، وذلك من باب " الفخر والتزكية والثناء والتعظيم "[1] كذلك إذا خرجت إحدى السيدات إلى الطريق ، و"كان زوجها متنذرا فكان يحضر لها حمارا يقوده مكارى ويتبعها خادما "[2].

يتضح ذلك أيضا من وصف السخاوى "**لآمنه ابنة على بن أبي بكر البويطي**"، إحدى النساء المعاصرات بأنها " ذات رياسة وقناعة وإتقان " . وأنها عند موتها شيعت " في مشهد جميل "[3] ، كما أن الشعراني لم يتمالك مشاعره تجاه زوجته ، وهو من علماء الدين المحافظين وأثني عليها ثناءا فياضا ، وأخذ يمدح في قصائده جمال أخلاقها وحسن سلوكها[4] ، يقال أن بعض القضاة في عصر سلاطين المماليك كان "إذا تحاكم إليهم رجل وامرأته نصر المرأة على الرجل مما يثير الرجال على القاضي فيضربونه بالنعال وينهبوا بيته "[5] ، و لم يكن ذلك التصرف شائعا ، ولكنه كان يحدث من عدد قليل جدا في بعض الأحيان التي يشعرون فيها بالظلم .

وليس معنى ذلك أن المرأة في تلك الفترة كانت في وضع احترام وتقدير مستمر، بل كانت مثلها مثل المرأة في أي وقت، أحيانا تنال الرضا والتقدير، وأحيانا تنال العقاب والمذلة ، فنفس المصادر التي حملت لنا عبارات الإجلال والتقدير حملت

١- **ابن الحاج** : المدخل : ح٤ ، ص ٢٣٨
٢- **سيرة الظاهر بيبرس** ح٧ ، ص ٢٦ ؛ انظر أيضا **سعيد عاشور** : المجتمع المصري ، ص٣١ .
٣- **السخاوي** : الضوء اللامع : ح١٢ ، ص٤
٤- **الشعراني** : لواقح الأنوار، ص ٤٣ .
٥- **ابن حجر** : الدرر الكامنة ، ح٢ ، ص ٤٢ .

أيضا إشارات يفهم منها أن المرأة كانت " محل الازدراء والاستخفاف "[1] ، حيث " لم يتورع بعض السلاطين عن ضرب امرأة والتشهير بها على حمار في الطريق العام وفي عنقها زنجيرا "(أي في عنقها سلسلة حديد ثقيلة)[2].

فرضت على المرأة في تلك الفترة الكثير من القيود الاجتماعية ، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعبر عن نفسها وان تساهم بنصيب وافر في الحياة الاجتماعية والعامة، فهناك العديد من النساء اللاتي شاركن في الحياتين العلمية والدينية ، ومنهن من إشتغلن بالنحو ونظم الشعر ، مثل " **فاطمة بنت القاضي كمال الدين محمود بن شرين الحنفي المدعوة بستيتة** "[3]، و" **مؤمنة بنت الشيخ محمد بن على بن البيطار المقري**" و"**عائشة**[4]**بنت يوسف بن أحمد بن ناصر وهي بنت الباعونى المعروفة بالباعونية**"، والتي توفيت عام ٩٢٢ هـ /١٥١٦م وكانت بارعة في تحصيل العلم ونظم الشعر [5].

١- **سعيد عاشور** : المرجع السابق ص ١٣١ .

٢- **المقريزي** : السلوك ، ح١ ، ص ٦٦٤ ، ٦٩٢ ، ٨٧٩ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم : ح٩ ، ص ١٣٧ ؛ **ابن إياس** : بدائع الزهور ، ج ٢، ص ٣٠٧ - ٣٧١

٣- **الشوكاني** :البدر الطالع ، ح٢ ، ص ٢٥ ؛ **السخاوي** : الضوء اللامع ؛ ج١٢ ص ١٠٧ ؛ انظر أيضا **كحالة** : أعلام النساء ، ج٤ ؛ ص١٠٢ .

٤- ولدت عائشة سادس المحرم سنة ٨٥٥ بالقاهرة نشأت وتعلمت الكتابة وتزوجت الناصر محمد بن الظنبغا وأستولدها أولادا ثم مات عنها فتزوجت على بن محمد بن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق فإستولدها ولها نظم وحسن فهم وحجت كثيرا ومن نظمها قصيدة كتبتها السخاوي مطلعها : وقفا واسمعا منى حديث أحبتي فأوصاف معناهم عن الحسن جلت

ولها مكاتبات إلي جماعة من الأدباء والأعيان والأكابر ومن ذلك أن الشهاب المنصوري كتب إلي الزيني سالم بيتين هما :

أيا سيد قد حسن الخالق اسمه وجمله الله بالخلق عالما
أعن بيد فيها أياد لسائل ولا تخشن حسادا فإنك سالما .

فقالت هي في هذا المعني ارتجالا :

أيا سيد اعم الخلائق بره وإحسانه فرض بضعاف لازم
اعن سائلا يأتيك والدمع سائل ولا تخشن من سوء فانك سالم

وكان ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ففضلوا ما قالته علي ما قاله الشهاب واعترف الشهاب بذلك واستمرت بنظم الشعر حتى ماتت في سنة ٩٤١ هـ بالقاهرة ودفنت بالقرافة (**الشوكاني** : البدر الطالع ، ج٢ ، ص ٢٥- ٢٦) .

٥- **الشوكاني** : البدر الطالع ، ج٢ ، ص ٢٥- ٢٦

كما أن هناك الكثير ممن إشتغلن بالفقه والحديث مثل " **أم زينب فاطمة بنت عباس**" شيخة رباط البغدادية " و كانت فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابده واعظه حريصة على النفع والتذكير وانتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر ، وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس "[1] ، وكان يذهب إليها الكثير من الناس ، للاستفادة من علمها ، وكانت من النساء العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتنكر أحوال أهل البدع وكانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ووصفها بالفضيلة والعلم ، وأنها كانت متمكنة في الفقه ، فتحضر أكثر من معني مما جعله يستعد لها قبل لقائها لما كانت تطرحه عليه من أسئلة وما كانت تتمتع به من سرعة بديهة وفهم [2] ، " توفيت العالمة الفقيهة الزاهدة القانتة سيدة نساء زمانها الواعظة في ذي الحجة بمصر سنة(٧١٥ هـ/ ١٣١٥م)، وشيعت في مشهد كبير وخرج وراءها كثير من الناس"[3].

أما النساء اللاتي اشتهرن في الحديث إلى جانب الفقهاء فمنهن علي سبيل المثال لا الحصر " **ست الوزراء الشيخة المعمرة الصالحة المسندة أم عبد الله بنت القاضي شمس الدين عمر بن العلامة شيخ الحنابلة وجيه الدين أسعد بن المنجا ابن أبي البركات التنوخية الدمشقية الحنبلية** "، ولدت في دمشق(٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) ، وسمعت صحيح البخاري ، وعمرت دهرا وروت الكثير ، وطلبت للحضور إلى الديار المصرية ، وحجت مرتين وتزوجت أربع مرات، كان رابعهم نجم الدين عبد الرحمن سيد الشيرازي وكان لها ثلاث بنات وروت الصحيح مرات بدمشق والقاهرة وقرأ عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي مسند الشافعي ، وهي آخر من حدث بالكتاب وكانت ثابتة ، طويلة الروح ، فهي من النساء اللاتي تمتعن بحب العلم والصبر علي توصيله للناس ، سمع منها صلاح الدين العلائي وابن قاضي الزيدانى والكثير غيرهم ، وتوفيت سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م ، رحمها الله تعالى[4] .

١- **بن الفرات**: تاريخ ابن الفرات، ج٤ ، ص ٧٢ ؛ **المقريزي** ، الخطط ، ج٢ ، ص ٤٢٨ ؛ **اليافعي** : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط١ ، ج ٢ مطبعة دار المعارف ، القطامية ، الكائن بمدينة حيدر أباد سنة ١٣٣٩ هـ، ص ٢٥٤

٢- **ابن كثير** ، البداية والنهاية ، ط٤ ، ج١٤ ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٧٢

٣- **اليافعي** : مرآه الجنان ، ج ٤ ، ص ٢٥٤

٤- **أبو المحاسن بن تغري بردي** : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .

وممن برعن في العلم أيضا الشريفة " **فاطمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحي**" وهي مشهورة بالعلم ولها مع والدها مراجعات في مسألة الخضباه (**الحناء**) بالعصفر فقال أن **فاطمة** ترجع إلى نفسها في استنباط الإحكام وهذا يدل على أنها كانت بارعة في العلم وأن الإمام لا يقول هذا من فراغ بل حقيقي وكان" زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيم يصعب عليه من مسائل لما لها من علم وافر وإذا ضايقه التلاميذ في بحث دخل إليها فسألها ورجع للصواب فيخرج بذلك إليهم فيقولون له هذا ليس منك هذا من وراء حجاب ".[1]

دأبت الكثيرات من النساء على التنقل بين الشام و مصر كشأن الفقهاء في ذلك العصر، للسماع من كبار المحدثين والعلماء[2] ، ولم يأنف بعض كبار الفقهاء في هذا العصر من الاعتراف بأنهم درسوا على يد بعض الشهيرات، وسمعوا منهن وحصلوا على إجازات منهن[3] مثل " **رقية بنت العفيف عبد السلام بن محمد بن مزروع**" [4] ، و"**أم الخير ابنه الإمام فخر الدين ابن الإمام عفيف الدين المصرية ثم البصرية المدنية**" ولدت سنة ست وعشرين وسبعمائة وسمع منها الأئمة[5]، و" حدثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام مثل الختيني ، وابن المصري ، وابن سيد الناس من المصريين وغيرهم من الشاميين،وماتت في صفر سنة خمس عشر وثمانمائة (٨١٥ هـ / ١٤١٢م) عن سبع وثمانين سنة" [6].

١- **الشوكاني** : البدر الطالع ، ج٢ ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .
٢- **المقريزي** : السلوك ، ج٢ ، ص ٣٦٩ ؛**انظر أيضا عبد الوهاب حمودة** : صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ص٣٣ .
٣- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١١٩ ؛ **انظر أيضا عبد الوهاب حموده** : المرجع السابق ، ص٣٣ .
٤- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٧ ، ص٨٥ ؛ **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٣٦ .
٥- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٣٦ .
٦- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٧ ، ص٨٥ ؛ **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص٣٦ .

ويصف لنا السخاوي تزاحم طلبة العلم في عصره على" **أنس ابنة عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبي طالب بن علي بن سيدهم أم الكرم ابنة الكريمي**" ولدت سنة ثمانين وسبعمائة ، أجاز لها أبو هريرة ابن الذهبي وأبو الخير ابن العلائي ، وحجت بصحبة زوجها، ثم بمفردها في حياته . وقرأ عليها الفضلاء وكانت تحتفل بذلك وتكرم الجماعة غالبا، و" خرجت لها أربعين حديثا عن أربعين شيخا، وكانت من النساء اللائي تمتعن بقدر من الرياسة والمكانة الرفيعة والكرم، وكانت محبة لفعل الخير ومجابة الدعاء ، يقال أنها رأت ليلة القدر، وماتت في ربيع الأول سنة سبع وستين وثمانمائة(١٤٦٢م) وصلي عليها بجامع المارداني" [1]

كذلك ذكر لنا السخاوي أسماء كثيرات ممن أجزن له، مثل " **أمنة ابنه الشمسى محمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن بلال العدوى القاهري المالكي**" ، ولدت قريبا من سنة عشر وثمانمائة بالقاهرة ، ونشأت في كنف أبويها وزوجها ، كان أبوها فاضلا خيرا، ولم يلبث أن مات وتزوجها الوالد (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي) واستولدها عدة أولاد وشملتها إجازة غير واحد من المعتبرين بل سمعت على شيخنا (السخاوي) وغيره، و"عرف عنها حبها للمعروف والخير وكانت محافظة علي الصلوات والصوم، كانت صافية النفس وعندها سرعة بديهة، وماتت في ليلة الخميس السادس عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وثمانمائة ٨٩٧ هـ /١٤٦٣م بالبطن" [2].

وقد ظهر واضحا في عصر المماليك إقبال النساء على مجالس العلم والدين فحرصت كثيرات منهن على الذهاب إلى المساجد ، حيث كن يجلسن في مكان منفرد بعيدا عن الرجال لسماع الدروس الدينية[3]، فنجد بعض الفقهاء والوعاظ الذين خصوا النساء دون الرجال بعلمهم مثل الفقيه العلامة أبو العباس أحمد[4] وحجتهم في ذلك أن النساء لا يجدن من يعلمهن، وان أزواجهن لا يهتمون

١- **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص١٠ ـ ١١ .
٢- **السخاوي** : المصدر نفسه . ج١٢ ، ص ٤ ـ ٥
٣- **ابن الحاج** : المدخل : ج٢ ، ص ٢١٩ ؛**انظر أيضا سعيد عاشور** : مصرفي عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٧٧ـ ١٧٨ ؛ **عبد الوهاب حموده** : المرجع السابق ، من ٣٣ .
٤- **السخاوي** : المصدر السابق : ج٢ ، ص ١١١

بتعليمهن ، ولذلك يجب العناية بهن حتى تعرف كل منهن أحكام دينها وان تعرف ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات نحو زوجها وأقاربها وجيرانها ، ولم يقتصر تعليم النساء علي الرجال بل كانت هناك العديد من الشخصيات النسائية ، اللاتي تخصصن في وعظ النساء وتعليمهن وتحفيظهن القرآن[1] ، وكانت تعقد مجالس خصيصا لوعظ النساء، ويقوم بالوعظ فيها واعظات كن على درجة عالية من العلم، والاقتدار مثل **"ست الخطباء بنت القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي "** المولودة بالقاهرة وحدثت بمصر والشام و" توفيت بالقاهرة في حمادي الآخر ٧٧٣ هـ / ديسمبر ١٣٧٢ م ، **" وست الوزراء"** قد سمعت من والدها ، وغيره وحدثت أيضا بدمشق ومصر . و**" أسماء بنت الفخر إبراهيم "** التي كانت تلقن النسوة القرآن الكريم ، وكانت تجتهد فيه وتعمل كل ما يقربها من الله توفيت سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م وكذلك **" عائشة بنت إبراهيم "** المتوفاة سنة ٧٤١ هـ /١٣٤١م وكانت تحفظ القرآن وتلقنه للنساء ، و**" فاطمة بنت عياش بن أبي الفتح البغدادي** [2] **أم زينب "** الواعظة فقد " كانت علي قدر كبير من الفقه والعلم ، و انتفع بها أهل دمشق لصدقها في وعظها وقناعتها وعندما تحولت للقاهرة انتفع بها الكثير من الناس وارتفع قدرها ، توفيت ليلة عرفه سنة ٧١٥ هـ / ٣١٤ م "[3] وهي صاحبة رباط البغدادية [4].

اتخذت بعض النساء طريق التصوف، ولبسن الخرق المرقعة ، كما كان يفعل المتصوفة من الرجال ، وأطلق عليهن الشيخات أو الفقيرات [5] ، وكان معظم هؤلاء النساء من الأرامل والمطلقات اللاتي أقمن في الأربطة والخانقاوات ، لما بها من

١- **ابن حجر** : الدرر الكامنة ، ج١، ص ٣٦٠ .
٢- **ابن حجر** : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٣٦٠ ؛ ج٢ ،ص ١٣ ؛ ج٣ ، ص ٢٢٦.
٣- **اليافعي** : مرآة الجنان،ج٤، ص ٢٥٤ ؛ انظر أيضا **أحمد لطفي نصار** : وسائل الترفيه ص٤٠ - ٤١
٤- " كان ذلك الرباط داخل الدرب الأصفر واقع تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير حيث كان المتجر ، ويقال رواق البغدادية أنشأته الست الجليلة تذكار باي خاتون ابنه الملك الظاهر بيبرس البندقداري في سنة ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م ، (**السخاوي** : الضوء اللامع ، ح ١٢ ، ص ١٤٢ ؛**ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج٣ ،ص ٢٢٦ - ٢٢٧) .
٥- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ح٢ ،ورقة ٨٤١ ؛ انظر أيضا **سعيد عاشور** : المرجع السابق ص ١٧٨ ؛ **عبد الوهاب حموده** : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

الانضباط والمواظبة على وظائف العبادة[1] تحت رئاسة شيخاتهن[2] وكن يلبسن الصوف[3] "مثل الشيخة الصالحة **زينب بنت أبي البركات البغدادية** صاحبة رباط البغدادية الذي كان مودعا للأرامل"[4] أي تعيش فيه سويا، وكان من باب الحرص على الأخلاق أن خادمة الزوايا والمتصوفة تتشدد مع النساء اللاتي يعشن في الرباط ، ومن تخرج علي النظام كانت الخادمة تؤدبها بالطريقة التي تراها [5].

وكان اتجاه النساء للتصوف سببا في الحملة القوية التي وجهت إليهن من ابن الحاج ، حيث شبههن بالمسيحيات بالأديرة وقد عاب عليهن رفع أصواتهن بالذكر وقال انه من العجيب أن هؤلاء الشيخات عند عمل الذكر في مكان يدفعن الرسم المقرر لضمان المغاني[6].

حرية المرأة

تمتعت المرأة في فترة حكم سلاطين المماليك بقسط كبير من الحرية ، فقد كان نشاط المرأة في شوارع المدينة، وأسواقها ومتنزهاتها كبيرا ، ووضح ذلك في مجالس الخلاعة بالقاهرة التي امتلأت بالنساء إلى جانب الرجال[7] ، كانت النساء في مصر في تلك الفترة يتمتعن بقدر كبير من الحرية ، حيث أن بعضهن كن يتغيبن عن منازلهن معظم أوقات النهار دون اللوم من أزواجهن[8] . وكانت المرأة تذهب إلى الأسواق لشراء ما يلزمها وغالبا ما كانت تشتري لزوجها

١- **المقريزي** : الخطط : ج٢ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .
٢- **المقريزي** : السلوك :ج٢ ، ص ٢٦٩ ؛ الخطط ،ج٤ ، ص ٢٩٢؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي**:النجوم الزاهرة ،ج ٥ ، ص ٢٦١ .
٣- **ابن الحاج** : المدخل ، ج٢ ، ص ١٤١- ١٤٢ .
٤- **ابن حجر** : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧
٥- **ابن الحاج** : المدخل ، ج٢ ، ص ١٤١-١٤٢
٦- **ابن الحاج** : المدخل : ج٢ ، ص ١٤١ - ١٤٢
٧- **الجويري** : (**عبد الرحيم الشهير بعبد الرحمن ابن أبي بكر**) : المختار في كشف الأسرار . دمشق ١٨٨٤ ، ص ٣٥
٨- **schefer** ; le voyage d'outremer de jean thenaud,paris, 1864, p. 33

ما يحتاج إليه من لباسه [1] . وإذا لم يكن للمرأة شئ في السوق فإنها كانت تخرج إلى الحمامات العامة[2] ، حيث يجتمع النساء ليتناقلوا أخبار البيوت والناس [3]، وفي الحمامات تكشف المرأة عوراتها للبلانه " والنساء في هذا المقام أشد تهالكا من الرجال[4] " فتأخذ المرأة معها أفخر ثيابها وحليها لتلبسها بعد الاستحمام" فتقع المفاخرة والمباهاه "[5]

كما تخرج المرأة أيضا إلى شاطئ النيل وغيرها من أماكن اللهو والراحة مما يكشف ستر حياتها ويختلط النساء بالرجال " مما أثار حفيظة رجال الدين والفقهاء ، فنادوا بعدم خروج النساء على هذا الوجه المبتذل" [6] .

واعتادت النساء الذهاب إلى المقابر والقرافات في الليالي المقمرة ، وليالي المواسم ، والأعياد وليالي الجمع من كل أسبوع ، ومعهم الريحان والزهور كالياسمين وغيره [7] ، ومعهم الأصدقاء والأهل ويقمن الولائم مع أبنائهن وأزواجهن[8] ،وكان ذلك من مظهر الحرية التي تمتعت بها النساء في تلك الفترة ، وكانوا يقمن الغناء والرقص

١- ابن الحاج : المدخل ، ج٢ ،ص ٥٥ ؛ انظر أيضا سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٤٠

٢- سعيد عاشور : مصر في عصر المماليك البحرية ، ص ١٧٨؛ المجتمع المصري ، ص١٤٠

٣- سعيد عاشور : مصر في عصر المماليك البحرية ، ص ١٧٨.

٤- ابن الاخوة : معالم القربة ،ص ١٥٧ .

٥- ابن الحاج : المدخل ، ج٣ ،ص١٧٣ .

٦- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ،ص ٢٧٢ ، ج ٢،ص ٣٣١ .

٧- أحمد عبد الرازق : المرأة في مصر المملوكية ، ص ٤٩ ؛

Schefer ,l e voyage d'outremer , p,51

٨- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص ٧٤

ويختلط النساء بالرجال[1] مما جعل الدولة تشدد في منع خروج النساء للمقابر[2]، "وفي عام ٨٣٣هـ / ١٤٣٥ م ، أشهر النداء بالقاهرة ومصر بمنع النساء يوم العيد من الذهاب إلى المقابر وغيرها من الترب وهدد أي مكارى اركب امرأة بالشنق فلم يتجرأ أحد أن يفعل ذلك " [3]. ساد التسيب في هذة الفترة حيث كثر خروج النساء إلي الشوارع ، والخروج في كافة المناسبات كما كثر اختلاط الرجال بالنساء ، مما أثار الفقهاء، وجعل الدولة تقف عند هذا الوضع لتحد من خروج النساء، وان دل ذلك الوضع علي شيء إنما يدل علي منح النساء قدر كبير من الحرية لم يحسن استخدامه، بل اهتممن أكثر بالخروج للتنزه والراحة والاحتفالات .

هذا عن نساء المدن أما المرأة في الريف، فكانت كما هي اليوم فهي تقوم بما لا يقل جهدا ومشقة عن نصيب زوجها فهي تجلب المياه من النهر والترعة وتغسل الملابس فيها وتعمل " جواليس الجلة ليلبسو بيوتهم وأفرانهم " وكذلك إرضاع أطفالها وإعداد الطعام لزوجها ، وكانت تقوم بوقيد الفرن وعمل الخبز " وتدميس الفول وطبيخ البيسار وتقمير البتاو "[4] . الفلاحة في عصر المماليك مثل الآن فهي التي يقف بجوار زوجها وتعاونه في كافة أعباء الحقل، إلي جانب تربية الأبناء والإشراف علي كل شئ في المنزل ، وبذلك كان يومها مشحونا بالأعمال الهامة ، مما جعل المرأة الريفية لم تحظ بنفس النصيب من الرفاهية التي تمتعت به المرأة في المدن.

١- المقريزي : الخطط : ج ٢ ، ص ٤٤٣.

٢- ابن الحاج : المدخل ، ج٢ ، ص ١٧ - ٢٣

٣- الصيرفي : نزهه النفوس والأبدان ، ج١ ، ص ٣٣٤ .

٤- الشربيني : هز القحوف ، ص ٥٤

عمل المرأة ووظائفها

عملت النساء في العصر المملوكي في العديد من المهن ، وإن كانت بعيدة عن وظائف الدولة التي صارت حكرا على النخب العسكرية من المماليك وأرباب العمائم من علماء ورجال الأزهر ، وبعض وجوه التجار .

حتى وظائف القصر التي تولتها النساء فقد شغلت بالجواري دون الحرائر من المصريات و" من اشهر الجواري في البلاط المملوكي السيدتان حدق، ومسكة جواري السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون واللتان أصبحتا قهرمانتين لبيت السلطان وذاع صيتهما وشهرتهما" [1]. وقد أشرت فيما سبق أن حدق ومسكة اسمان لشخصية واحدة

أما بالنسبة للنساء العاديات فان المصريات في الريف اقتصر دورهن على الإسهام في أعمال الحقل ، وتربية الماشية والدواجن ، وإنتاج أنواع مختلفة من منتجات الألبان، وغزل النسيج والخيوط ، والتجارة في الأسواق الدائمة أو الأسبوعية ، وهى مميزة للريف المصري حتى نصف قرن مضى[2] . و من المهن التي مارستها المرأة في العصر المملوكي :

الخاطبة :

لعبت الخاطبة دورا هاما في مشاريع الزواج في تلك الفترة وقد صور ابن دنيال دور الخاطبة فقال إن راغب الزواج يقصد الخاطبة لأنها " تعرف كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة " حيث يتاح لها دخول البيوت بحجة بيع الطيب والبخور وغيرها من لوازم النساء مما يتيح لها معرفة أسرار الحريم ، نظرا لظروف

١- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها ن ح ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
٢- السيوطي (جلال الدين عبد الحمن ابن أبي بكر ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة إدارة الوطن بمصر ، ١٢٢٩هـ ، ج٢ ، ص٣٣٣ ؛ انظر أيضا سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٤٠

العصر التي كانت لا تتيح للرجل رؤية الفتاة التي يريد أن يتزوجها كما يحدث الآن، فتستطيع أن توفق للعريس العروس المناسبة التي تتفق مع رغباته ومطالبه [1].

الدلالة :

وهى التي تبيع السلع ليس في الأسواق ، ولكن أثناء مرورهن على المنازل ولكل حي دلالاته اللاتي يوثق بهن . فقد ورد في إحدى وثائق دير سانت كاترين ذكر امرأة كانت تعمل دلالة [2] ، وكانت مهنة الدلالة مهمة للسيدات المسلمات من الطبقات العليا اللاتي لا يستطعن الخروج إلى السوق لشراء ما يلزمهن ، وقد عملت المرأة المسلمة إلى جانب الذمية في تلك المهنة ، وكانت تلك المهنة تدر دخلا كبيرا لمن تقوم بها[3] . ولا تزال هذه المهنة موجودة إلي الآن .

الداية أو القابلة :

وهى من الأعمال التي ظهرت عند نساء عصر سلاطين المماليك، وكانت الداية تحضر كرسي الولادة إلى بيت السيدة التي تنتظر الولادة قبلها بيومين أو ثلاثة أيام. وهو ذو شكل خاص تجلس عليه المرة أثناء عملية الولادة وكان يغطى بشال أو منشفة مطرزة ويزين ببعض الزهور والورود ويوضع أمام منزل الحامل إعلانا عن قرب موعد وصول مولودها[4] . ولا يزال كرسي الولادة موجود إلي الآن .

ومن عادات المصريين المحببة وقوفهم بجوار بعضهم البعض في كل المناسبات السارة وغير السارة، فكان من المعتاد أن يتبادل الجيران الزيارات والتهاني أو التعازي كما هو متعارف عليه حتى الآن خصوصا في الريف والمناطق الشعبية [5].

١- ابن دنيال الموصلي: خيال الظل وتمثيليات ابن دنيال ، دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٣٩ - ٤٩ .
٢- Goitein: the cairo geniza as asurce for the history , II , p461 .
٣- Goitein: med, soc , III , p 352 .
٤- Edward lane : the manners and customs the modern Egyptians .Landon , 1966,p.504
٥- ابن الحاج : المدخل ، ج٣ ، ص ٢٨٧ .

الدادة أو المرضعة :

استأثرت الجواري بمثل هذه المهن[1] ، في تربية أولاد وبنات السلاطين والأمراء في الآدر الشريفة [2] ، ولكن كان هناك مكان للمرأة المصرية في هذا المضمار في بيوت أهل اليسر والثراء من طبقة التجار وكبار العلماء.[3]

الغاسلة :

تقوم صاحبة هذه المهنة بتغسيل وتكفين المتوفيات ، وقد أوجب الفقهاء على من تقوم بهذه المهنة أن تحذر من دخول الماء إلى تجويف البدن، وان لا تنظر إلى عورة الميتة ، وأن تكون مؤتمنه على ما تطلع عليه من الأسرار أثناء عملها ، وكأن يسمح للغاسلة التحرك أثناء المنع من الخروج في الطرقات ، وخاصة في أوقات الأوبئة وكثرة الوفيات[4] ، فعندما " فرض حظر التجول في شعبان عام٨٤١ هـ/١٤٣٧م على جميع النساء" ، وأن من تخرج سوف تقتل، امتنع عامة النساء من الخروج للطرقات[5] ، و كانت الغاسلة تتحرك بين الشوارع لتؤدي مهمتها بعد أن تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطه في الأزر حتى يعلم أنها غاسله" [6] وكانت الغاسلة تأخذ إلي جانب أجرها ثياب المتوفيه وفرشها[7]

١- ابن الحاج : المدخل ، ج٣ ،ص ٢٨٥ .
٢- ابن شاهين : زبده كشف المماليك ، ص ١٢٢
٣- ابن الحاج : المدخل ، ج٣ ،ص ٢٨٥ .
٤- ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٢ ،ص١٨٢ .
٥- المقريزي : السلوك ،ج٤ ،ص ١٠٣٢ ؛ أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج٦ ، ص ٧٦٠.
٦- ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ،ص ١٨٢
٧- المقريزي : اتعاظ الحنفا، تحقيق جمال الشيال ، ١٩٤٨ ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

المعلمة

ربما اقتصر هذا العمل على الذميات ، وكانت المعلمة تعلم الفتيات شغل الإبرة وفن التطريز ، وهو تزيين المنسوجات بخيوط ملونة على هيئة زخارف هندسية ونباتية وكتابية مختلفة مثل "**ابنه محمد بن أبي بكر عثمان السخاوي** " توفيت سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م ، فكانت تتقن فن التطريز والخياطة ، وما أشبه ذلك . والتف حولها بنات جيرانها لكي يتعلمن منها فنون الإبرة والتطريز ، وهي من المهارات الضرورية لبنات عامة الأسر وهي تدر دخلا لا بأس به [1]

وهناك ثلاث مهن اختصت بها النساء فقط ، وهي تتصل جميعا بنظافة المرأة وزينتها وهي : -

البلانة :

هي من الوظائف الرئيسية في الحمامات ، في الأيام المخصصة للنساء ، فهي تحل محل الحلاق والمزين الخاص بالرجال ، وهي تقوم بتحفيف النساء في الحمامات العامة[2] ، أي نزع الشعر الزائد من وجوه النساء ومختلف أجزاء الجسم ، ويعرف هذا في العصور الوسطى بالتحفيف ، ولم يكن هذا معروفا في أوروبا، أما النساء اللاتي لديهن حمامات في دورهن ولا يرتدن الحمامات العامة، فكانت البلانات تذهب إلى زيارتهن بالمنازل في المناسبات والأفراح[3] .

١-تريمان عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٨٠ -٨١ ؛ Goitein: med, soc , III , p 185
٢-محمد ابن الحسن الشيباني : السير الكبير ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .
٣-أولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليله وليله " ترجمة احمد صيلحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ١٠٢ .

الماشطة

وهي من المهن المرتبطة بالحمام، وكانت الماشطة تزور النساء في منازلهن[1]، وكانت تقوم بتجميل وتزيين النساء في الحمامات العامة ، وتعير الفقيرات منهن الثياب والحلي في مناسبات الزواج والزفاف[2]،وأعمال الماشطة تقارب أعمال الكوافيرة في العصر الحديث.

الصانعة

كانت تقوم بوشم النساء ، وكانت تجوب شوارع المدينة " حاملة مخلاة وضعت فيها أدواتها وأظهرت حول جيدها الطوق[3] والشنوف[4] المحلاه [5]، وغرزت عصابتها بكلاليب الإبر" التي كانت تستخدم في الوشم وقد حدد الفقهاء أن تكون الصانعة من المسلمات من غير الشابات اللاتى يمشين مكشوفات الوجوه متبرجات خوفا أن تكتسب المرأة منهن بعض خصا لهن المذمومة شرعا[6] . وقد حرم الإسلام الوشم لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال " لعن الواصلة والمستوصله والواشمة والمستوشمة " والوشم يكون في الخدود والشفة وغيرها من أجزاء الجسم[7]

١ـ **أبو الفضائل** : النهج السديد ، ط١ ، ص ٤٦٧ ؛ **العيني** : عقد الجمان ، ج٢٧ ، ص ٥٠٩
القويري : نهاية الأرب ، ح٤ ، ص ٢٥ .
٢ـ **المقريزي** : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٥٣١ .
٣ـ **الطوق** : حلي يجعل في العنق ، وكل شئ استدار فهو طوق ، لسان العرب ، ج٤ ،ص٢٧٢٥
٤ـ **الشنوف** : الشنف هو القرط الاعلي ، (**ابن دنيال** : خيال الظل ، حاشية ، ص٢١٦)
٥ـ **المحلاه** : الشيء الذي يحلى ويزين ويوضع في أجمل صورة، لسان العرب ،ج٦، ص٤١٤٩
٦ـ **ابن الحاج** : المدخل ، ج٤ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛**الشعراني (عبد الوهاب الشعراني ، ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)** : لواقع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، طبع المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢١هـ ، ج٢ ، ص٢١١
٧ـ محمود ابن الحميل : تحفة العروس ، ص ٣٥٩ .

و منذ فجر التاريخ ونحن نعرف أن النساء يبعن الأواني الفخارية ، ضمن منتجات الريف في الأسواق ، وقد تحدث أكثر من مؤرخ عن عمل النساء في تلك الصناعة ، وجاء عصر المماليك بالبراهين على عمل المرأة في صناعة الأواني الفخارية والخزفية ، وقد اعتاد أصحاب أفران الخزف على توقيعات أوانيهم الخزفية بأسمائهم ، لأنها بمثابة العلامة التجارية والضمان لجودة المنتجات ، وقد عثر على طبق من الخزف في أطلال الفسطاط، وهو ينسب للعصر المملوكي ويحمل كتابة من الخارج نصها عمل "خديجة " أي انه من عمل امرأة ، كما عملت بعض النساء بغزل النسيج وبيعه حيث كن يدخلن المسجد " ويجلسن فيه لانتظار بيع غزلهن "[1] كما سجلت المرأة نجاحا طيبا في العمل بتدريس العلوم الدينية لنساء عصرها[2] .

المغاني

ومن المهن التي اشتغلت بها النساء منذ العصر الفاطمي ، أعمال الموسيقى والغناء . وقد شجع السلاطين المغنين والمغنيات ، "ووصف أبو المحاسن ابن تغري بردى أحد علماء الأزهر في ذلك العصر بأنه اشتهر بالتقشف والبعد عن متع الدنيا ولكن مع ميل إلى سماع المغاني والرقص واللهو[3] . و روى عن أحد الفقهاء أنه سمع بمغنية شهيرة تغني في مكان معين فترك شيخه بعد الصلاة وتسلل خفية للاستماع إليها ، فلما عرف شيخه سبب غيابة قال له عند عودته " أمرها عندي حفيف[4]" أي انه شغوف بسمعها وحب غناءها ، مما يدل على أن الغناء قد لاقي إعجاب الجميع حتى علماء الدين .

١.**ابن الحاج** : المدخل ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .
٢. **ابن حجر** : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٢٢٨ ، ٢٥٠
٣. **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ١٣٦
٤.**الادفوى** : الطالع السعيد ، ص ٣٢٦ .

وفرضت الدولة على المغنين والمغنيات في ذلك العصر ضريبة ، عرفت باسم "ضمان المغاني " فكانت مصدرا كبيرا للأموال بالنسبة للدولة[1] ، وقد أبطل ضمان المغاني في عهد السلطان الظاهر بيبرس حيث ارتبط بإبطال البغاء[2] .

وقد عرف عن السلطان الصالح إسماعيل أبو الناصر محمد ابن قلاوون (٧٤٣ هـ / ١٣٤٣ م) ، حبه للجواري ، وقد أفرط في حبه **"لاتفاق العوادة "** وفي العطاء لها . وقد أعيد في أيام الملك الكامل شعبان بن الناصر " ضمان الملاعيب وعدة مكوس " ، كما شاعت محبته الزائدة **"لاتفاق العوادة "** التي قيل أن "عصابتها التي على رأسها بلغت مائة ألف دينار" ، وقد أحبها السلطان المظفر حاجي أيضا ، وصارت محظيته ، وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد أبطل ضمان المغاني ، لما فيه من المفاسد والقبايح من أسوان للعريش وكانت كل مغنية تحمل للضمنة قطيعة ، وقد ظهر الغناء الديني ، و شاع في عصر المماليك ، خصوصا عند الخروج للحج أو العودة منه، فعندما خرجت **" خوند فاطمة زوجة السلطان الأشرف قايتباي "** (٨٧٩ هـ /١٤٧٥م)للحج ، وعند عودتها منه لقاها المغاني بالطارات[3] .

ومن أشهر المغنيات اللاتي ظهرن في عصر المماليك :

١- خديجة الرحابيه

وهي من أعيان مغاني مصر " وكان أصلها من مغاني العرب"[4] ، ارتفع شأنها، وحظيت عند كبار رجال الدولة في مصر[5]، وكانت جميلة الشكل حسنة الغناء ، فتنت كثيرا من الناس حتى قال فيها أحد الشعراء :

١ - **السيوطي :** حسن المحاضره ، ج٢ ، ص ٢٠٦ .
٢- **السيوطي :** حسن المحاضره ، ج٢ ، ص ٢٠٦ ؛ **ابن كثير :** البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٢٥٤ ؛ **ابن عبد الظاهر :** سيرة الظاهر ، ج ٣ ، ص ١١٦٠.
٣- **ابن اياس :** بدائع الزهور ، ج٢ ، ص ١٥٦ .
٤- **ابن اياس:** بدائع الزهور ،ج٣،ص١٨٥؛ **انظر أيضا لطفي احمد نصار:** وسائل الترفيه ، ص ١٤٢
٥- **السخاوي :** الضوء ، ج١٢ ، ص ٣٣ - ٣٤؛ **ابن اياس :** المصدر السابق ، ص ٣٠ ؛ **انظر أيضا احمد لطفي :** المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

رحابية تخفي الشموع جمالا — لها حسن إنشاد تزين مقالها
وقد خايلت بالبدر ليلة تسمه — فما زال من عيني وقلبي خيالها[1]

وقد سميت بالرحابية ، وكان ممن يتردد عليها محمد بن سالم الأزبكي كتب لها:

إن تمنعت يامهاه عن الوصل — فإني والله حلوا الوصال
لست نزلا ولست فظا غليظا — لا ولا في الوجود شئ مثالي[2]

وكان محمد ابن سالم ينشدها في هذه الأبيات لكي ترضي عنه وتبادله مشاعر الحب وكان يمدح نفسه ،ويصف لها أخلاقه وينفي عن نفسه الصفات السيئة حتى يصل إلي طلبه .

وقد صودرت أموالها مرة بعد أخرى [3] ففي سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١ م) ، "قبض بشبك والى القاهرة عليها ، واتهمها بأنها أفسدت أعيان الناس ، وأمر بضربها نحو من خمسين عصاه، وقرر عليها مبلغ وأمر بأن لا تغني ولا تحضر في مقام، وماتت بعد أن مرضت فترة "[4] ، وكان لها من العمر دون الثلاثين سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م فتأسف عليها الكثير من الناس[5] .

١- **ابن إياس** :بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ١٨٥ ؛ **انظر أيضا لطفي أحمد** :المرجع السابق ،ص ١٤٢ .
٢- **السخاوي :** الضوء اللامع ، ج١٢ ، ص ٣٣ .
٣- **السخاوي** : المصدر نفسه ، ص ٣٣ .
٤- **ابن اياس** : بدائع الزهور ج٣ ،ص ١٨٦.
٥- **السخاوي :** الضوء ج١٢ ، ص٣٣ ؛**ابن اياس** : بدائع الزهور ،ج٣، ص١٨٦ .

٢- خوبي العوادة

يبدو من اسمها أنها من أصل تركي أو إيراني ، و" لم يدخل مصر مثلها في الغناء وضرب العود"[١]، اشتراها بكتمر الساقي "بعشرة آلاف دينار مصرية" ، وبعد موت بكتمر كسرت عودها حزنا عليه ، فاشتراها الناصر بشتاك "بستة آلاف دينار" فلم تنل عنده مكانة كبيرة ، وماتت بعد الأربعين [٢] .

٣- عزيزة بنت السطوحي

كانت من أعيان مغاني مصر ، "كان صوتها جميلا وبرعت في النشيد ، ولم تكن هناك من تماثلها فيه ، كذلك تميزت بفصاحة في إعراب الشعر ، فلم يخلقها أحد من النساء المغاني" ، ورثت من الأعيان وأرباب الدول غاية العز والعظمة ، ما لم تنل هذه المكانة غيرها من أرباب الفن ، و"ماتت وهي في الثمانين" في أوائل شوال سنة ٩٠٦هـ/ابريل ١٥٠٠ م، وكان لها بمصر شهرة زائدة وقال فيها احد الشعراء:

فتاة تزهت طرفي فيها — شغفت مسمعي بجوهر فيها
منذ زارت محبها وتغنت — كاد يرمى بنفسه من أبيها[٣] .

ويقول عنها الشاعر في الأبيات أنه كان يسعد برؤيتها ويتمتع بجمالها كما يتمتع بصوتها الجميل وانه منذ رآها أول مرة وهو يحبها ويحب غناءها .

٤- خديجة أم خوخه

كانت من كبار مغاني المشهورين ، ولها في الفن اليد الطولي توفيت سنة ٩١٨ هـ /١٥١٢م [٤]

١- ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٤٥٨ ، ج ٢ ، ص ٩٥ ؛ أبو المحاسن ابن تغري بردي : المنهل ، ج٢ ، ص ٧٤ ؛ انظر أيضا كحالة : أعلام النساء ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
٢- ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص ٤٥٨
٣- ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٨
٤- wiet: journal d un bourgeois , I , p,241 .

٥- الريسة بدرية بنت جريعه

كانت من أعيان المغاني أيضا ولها شهرة واسعة بينهن[١]

٦- ضيفة الحموية

هي التي أنشدت في السلطان الناصر محمد بن قلاوون قائله

ولقد نذرت بأن رأيتك سالما — ونظرت وجهك أن أصوم شهورا
حذرا عليك من الزمان وغدره — حتى تعود مؤيدا منصورا [٢]

كانت تتمني ضيفه الحمويه في هذه الأبيات عودة الناصر محمد سالما ونذرت إذا رأته أن تصوم شهرا ، فكانت تخشي عليه من الغدر ، وتمنت عودة منصورا .

٧- بياض

وعرفت أيضا باسم " **قومة** "وكانت بارعة في الغناء ، ويأنس بها الناس في مجالسهم فلما علم السلطان الناصر بها ، طلبها واحتفى بها وأصبحت من محظياته ، وولدت له ابنه أحمد ، ثم تزوجها الأمير بكتمر بعد ذلك في حياة الناصر ، وقد نالت شهرة واسعة في تلك الفترة[٣] .

٨- هيفة اللذيذة

كانت رئيسة المغنيات في عهد السلطان الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ / ١٥٠١- ١٥١٦م) [٤] ومن الطريف أن البعض يعلل اسمها هذا فيقول ، قد يكون هيفاء ثم خففت هيفة ، وهو يعنى السذاجة ، ويبدو أنه كان لقبا وليس اسما حقيقيا لها ' وقد "حققت هيفة ثروة كبيرة في عصرها مما أثار خصومها ، فحقدوا عليها ووشوا بها عند السلطان، فأمر في رمضان سنة ٩١٨ هـ/ نوفمبر ١٥١٢م بالقبض عليها وعوقبت بالضرب أكثر من مرة، وقرر عليها خمسة آلاف دينار فباعت الحلي وجميع ما تملك ، فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ترد في كل شهر مائة دينار على كل جامكة" [٥]

١- wiet: journal d un bourgeois , I , p,241 .
٢- ابن ايبك الدوداري (أبو بكر عبد الله بن ايبك الدوداري ، ت بعد ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م) : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق اولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م ،ج ٩ ، ص ١٤٧ .
٣- لطفي احمد : وسائل الترفيه ، ص ١٥٣ .
٤- ابن اياس : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٨٥ ؛ انظر أيضا لطفي احمد : المرجع نفسه ، ص ١٥٣
٥- ابن اياس : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٨٥
-جامكا : كلمة مؤلفة من لفظين فارسيين هما جامك بمعنى مركب، ودار بمعنى ممسك ، وهي بمعني المختص بتوزيع المرتبات علي المماليك (حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص٣٤٧)

٩- اتـفاق

استأثر بها الناصر محمد أنوك ابن محمد بن قلاوون في قصره ، فقد نشأت عند ضامنة المغاني ببلبيس ، ثم انتقلت إلى ضامنة المغاني بمصر ، فعلمتها ضرب العود على يد المعلم عيد علي العجمي فبرعت وتفوقت فيه ، وعندما قدمتها الضامنة لبيت الناصر حظيت عند ابنه الصالح إسماعيل ، وتعلق بها وولدت منه وشغف بها بعده أخوه الكامل ، وولدت منه أيضا ، وقال المؤرخون إن المغنية اتفاق لم تكن جميلة بل كانت بارعة في الغناء [١].

البـغـايـا

لم يتبق من المهن المشهورة والتي احترفتها النساء في عصر المماليك ، سوى الإشارة إلى البغايا ، وكن يسمين" بنات الخطأ والخواطئ" [٢]، و"كان لهن لبس خاص بهن وهو الملاءات والطرح وفي أرجلهن خلاخيل من أديم أحمر"[٣] ، وقد اعترفت بهم الدولة وفرضت عليهن ضريبة ، كما جعلت الدولة لهم ضامنة تعرف ضامنة المغاني ، تسجل عندها محترفة البغاء اسمها التي تقوم بدفع مال للدولة مقابل أن تتولى جمع ضريبة المغاني ، التي كانت تجمعها من النساء البغايا في مقابل أن تحميهن الدولة[٤] ، و"كانت البغايا تقف في الأسواق تحت أعين المارة" [٥].

١- **لطفي أحمد :** وسائل الترفيه : ص ١٥٢

٢- **ابن اياس :** بدائع الزهور . ج١ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ج٢ ، ص٤١ ؛ **السخاوي :** الضوء، ج١٢، ص٧٤ ؛ انظر أيضا **زكي مبارك :** التصوف، ج١، ص ٣٨١ ؛ **عبد المنعم ماجد :** نظم دولة سلاطين المماليك ، ص١١٧.

٣- **المقريزي :** الخطط ، ج٢ ، ص ٩٦ ؛

Ahmed Abd EL razeq : la femme , p p . 79-80

٤- **حسن الباشا :** الفنون والوظائف ، ج٢ ، ص ٧٢٨ .

٥- **المقريزي :** السلوك ، ج٤ ، ص ٣١٢ .

وقد أدى ذلك التساهل من جانب الحكومة مع البغايا إلى التجاهر بالزنا ، وشرب الخمر حتى " لو مر غريب بتلك المواضع دون أن يقصد الزنا – لازما أن يأتي بغيا من تلك البغايا ويكره على ذلك "[١]

وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من البغاء في البلاد ، فأبطل المكوس المقررة على البغايا ومنع البغاء في القاهرة وسائر البلاد[٢] ، حتى يتزوجن و" أمر ألا تزيد مهورهن عن أربعمائة درهم ، يعجل منها مائتان رغبة في تسهيل زواجهن"[٣] . كانت تلك الخطوة جادة من جانب السلطان الظاهر بيبرس للحد من البغاء ولتشجيع الناس علي الزواج وتيسيره عليهم .

١- **لطفي أحمد :** وسائل الترفيه ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٢- **السيوطي:** حسن المحاضره ، ج٢ ، ص ٢٠٩؛ **ابن كثير :** البداية والنهاية ،ج١٣،ص ٢٥٤ ؛ **ابن عبد الظاهر :** سيرة الظاهر ، ج٣ ، ص ١١٦٠

٣- **تاريخ بن الفرات :** ج١٣ ، ص ٤٣ ؛ **المقريزي :** السلوك ، ج٢ ، ص ٥٧٨

الحياة الأسرية

تخطيط المنازل

اهتم سلاطين المماليك اهتماما خاصا بقصورهم ومنازلهم، وكذلك اهتم أهل مصر بتشييد المنازل وتأثيثها وتزويدها بكل وسائل الراحة ، وقد بدت منازلهم في مظهرها الخارجي بسيطة ومن الداخل مرتبة ومقسمة إلى حجرات مزينة، على خير صورة[1]،وقد راعي المصريون في بناء منازلهم في تلك الفترة حجاب المرأة ، أثناء تخطيطهم لتلك البيوت حتى لا يتمكن أي شخص خارج المنزل أن يرى من بداخل المنزل ، ويظهر ذلك في مدخل المنزل الملتوي وفي نظام المشربيات[2] على النوافذ[3] ، وامتد استخدام تلك المشربيات للنوافذ المطلة علي فناء الدار من الداخل ، لتحمي من خلفها الزوجة من عيون الغرباء أثناء زيارتهم لزوجها[4] ، و" كان من باب حرص الرجل علي زوجته من أعين المتطفلين ، في البيوت الصغيرة التي كانت تفتقر إلي غرف استقبال، كان الرجل الذي يدخل يصفق بيده قائلا " يا ساتر " حتى تتواري النساء عن طريقه "[5].

١- سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١١٣ .

٢- اتخذت المشربيات لتلطيف البيوت وإدخال النسيم داخل البيت وتمكين أهل الدار رؤية من بالخارج دون أن يراهم أحد ؛ (سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١١٣) ؛ المشربية تحريف مشربه بمعنى غرفة عالية أو المكان الذي يشرب منه نظرا لأنه كان يصنع من خارجات صغيرة مستديرة أو مثمنه تركب خارج المشربية وتوضع عليها القلل لتبريدها ، (زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٤٧) .

٣- سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١١٣ .

٤- زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٠ ؛ محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية (سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٨ م ،) ، ص ٣٤٢ .

٥- أولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليله وليله " ترجمة احمد صبلحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م ، ص ١٠٢ .

ولكن ليس معنى ذلك حبس أهل المنزل، فعلى الرغم من حرارة الجو في الشوارع فإن الجو داخل المنزل كان يتميز بأنه معتدل لطيف ، ويرجع ذلك إلي فن العمارة والبناء ، وقد قسمت المنازل إلى قسمين الأرضي للرجال ، وعرف (السلاملك) والعلوي خاص بالحريم ، وعرف بـ (الحرملك) ولهما مداخل ثانوية خاصة بالنساء حتى لا يراهم الزوار[1] ،وجرت العادة أنه " عند بناء دار جديدة ، يحتفل بافتتاح تلك الدار احتفالا عظيما يتناسب مع مكانته وثروته ويعمل وليمة يدعو إليها الأهل والأصدقاء والجيران" [2] .

الحياة المنزلية

أما عن الحياة الأسرية داخل المنازل ،والعلاقة بين أفراد الأسرة وبعضهم ، فإن نظام الأسرة عند عامة الشعب من تجار وعلماء وعوام لم يتغير من حيث مركز الأب بين زوجته و أبنائه واحترامهم له[3]، حتى الآن، فكان الرجل يقضي معظم يومه خارج المنزل في عمله ، ويعود عند غروب الشمس إلي منزله " حيث يتصافى مع زوجته ويتم نهاره في بيته[4] " أما المرأة فتقوم بشئون المنزل ، ففي الأسر الميسورة الحال والغنية كانت تتحفظ في خروج نسائهم إلي الأسواق ، فهناك من تقوم بخدمتهن من الجواري [5]، أما بالنسبة للأسر الفقيرة كانت المرأة تقوم بتربية الطيور في المنزل ومنهن من ترسل بيض الدجاج والاوز والبط للتفريخ في معامل التفريخ الصناعي التي كانت منتشرة في تلك الفترة ، فيوضع البيض في أفران خاصة " توقد بنار تحاكي نار الطبيعة في حضانة الدجاجة للبيض .... "[6] ، ثم تحضرها بعد التفريخ لتربيها في المنزل[7] .

١- محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٨م ، ص ٤٣٢-٤٣٣ .

٢ - القويري : الإلمام بالإعلام ، ج٢ ، ص ٢١٦ ؛ المقريزي : الخطط : ج٣ ، ص ٨٦ .

٣سعيد عاشور : المجتمع المصري : ص ١١٤.

٤- سيرة الظاهر بيبرس : ص ٦٢ .

٥- أولج فولكف: المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

٦- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ٣٣٣ ؛ أولج فولكف: المرجع السابق ، ص ١١٠

٧- علي السيد علي : "القاهرة في عيون الرحالة الأوربيين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ،" مجلة فكر للدراسات والأبحاث ، العدد ١٣ ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧٥ .

كانت المرأة ترتدي الثياب الرقيقة عند عودة زوجها من الخارج لتظهر أمام زوجها في صورة كلها فتنة وإغراء[1] ، وقد نصح الفقهاء النساء بالتزيين داخل المنزل أمام الزوج " حتى يطيب قلبه[2] " كما أخذ عليهن عنايتهن بالزينة عند الخروج من المنازل وإهمال أنفسهن أمام أزواجهن[3].

طعام الأسرة

اعتادت غالبية الأسر المصرية شراء ما يحتاجون إليه من الأطعمة من الأسواق التي كانت تفيض بجميع أنواع الطعام المطهيه ، وغير المطهيه حيث كان يوجد كثير من الخبازين والشوايين[4]، واللبانين والبواردين[5]، والخضريين والنقاقين[6] والكبوديين[7] والجزارين، وقلايين السمك وقلايين الزلابية والحلونيين[8]وكان الطباخين يمارسون مهنتهم في الطرقات ليلا ونهارا ، وكان طعامهم فائق الجودة مما جعل الناس يفضلون شراء الطعام من الاسواق[9] ، وكان هناك العديد من العادات التي ارتبطت بالطعام ، ولعل من أهمها أن لا تشارك الزوجة والأبناء الأب الطعام في وعاء واحد بل " للرجل طعام خاص به وزبدية خاصة به وكوز خاص به "[10] ، وربما كان ذلك من باب احترام مكانة الأب ، ولا تزال هذة

---

١ - schefer : Voyage du manifique , p.21

٢- السيوطي : الإيضاح في علم النكاح ، ص ٥ - ٦ .

٣- ابن تغري بردي : النجوم : ج٥ ، ص ٨٠ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ، ص ١٥٨؛ سيرة الظاهر بيبرس ، ج٢٠ ، ص ٥٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ١٨٤.

٤- الشوايين : من يقومون بشي الحيوانات ، انظر (ابن الأخوة : محمد بن محمد بن احمد القرشي) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) : معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، وصديق احمد عيسي ، الهيئه المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م ، ص١٥٦ - ١٥٧ .

٥- البواردين : هم تجار المشيات " الطرشي " الذي كان يتألف من اللفت والكرنب والباذنجان والرجلة ، (ابن الأخوة : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٠) .

٦- النقاقين : هم من يقومون بإعداد نوعا من السجق يصنع من لحم الضأن ، (ابن الأخوة : المصدر نفسه ، ص ١٥٨).

٧- الكبوديين : هم بائعو الكبده بعد طهيها ، (ابن الاخوه : المصدر نفسه ، ص١٥٩)

٨- ابن الاخوه : المصدر نفسه ، ص ١٥٢ : ١٨٤ .

٩- أولنج فولكف: المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

١٠- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢١٦ .

- الزبدية : وعاء للأكل (طبق) .

- الكوز : كأس للشرب .

العادة موجودة إلى الآن عند بعض الطبقات ، كما انه كان من العادات أيضا " أن الزوجة إذا كانت حائضا فإنها لا تكتال القمح ولا تحمل أي شيء من الطعام"[1] .

العلاقة الزوجية

أما عن العلاقة بين الزوجين فكانت تتمثل في المعاملة الحسنة التي كانت تشترط في عقود الزواج ، فكان الزوج عندما يسافر خارج القاهرة يبعث إلى زوجته في القاهرة بالهدايا [2]" و يدل ذلك أيضا على منزلة الزوجة عند زوجها ، فإنه إذا عزم على تجهيز متجر لأحد أبنائه فإنه يستشير زوجته قبل أن يفعل شيئا " لأنه يدين لها بالحب والاحترام" [3] ، وكان الزوج إذا فقد زوجته يحزن عليها حزنا شديدا ، وربما رثاها ببعض أبيات الشعر ، فالشعراني وهو أحد علماء الدين المحافظين لم يتمالك شعوره نحو زوجته فأثني عليها ثناء فياضا[4] ، وكذلك عمر بن عيسى أحد فقهاء مصر لم يستطع أن يخفي حزنه على زوجته " وكان يناديها كثيرا ونظم عدة قصائد ، ولم يزل مكتئبا إلى حتى وفاته "[5] ، فنجد أن احدهم يقول في فراق زوجته :

١- ابن الحاج : المدخل ، ج٢ ، ص٦٨ .

٢- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٩٦ .

٣- سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ، ص ٣١٩ ؛ طاهر الطناحي : الف ليلة وليلة ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ج٤ ، ص ٢٤٤ .

٤- الشعراني : لواقح الأنوار ، ص ٤٣ - ٢٨٧ ؛ انظر أيضا زكي مبارك : التصوف ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

٥- الادفوي : الطالع السعيد ، ص ٤٥٤ .

إذا ما زوجه الإنسان ماتت — فما بقيت لمسكنه سكينه

وكيف يطيعه نظم ونثر — ولا بيت لديه ولا قرينه [1]

تصف هذة الأبيات حال الزوج عندما تموت زوجته وتتركه ، فان منزله لن يكون أمانا ولن تحلو له الدنيا من بعده ، ويدل ذلك علي مدي حبه لزوجته .

ويقال أنه في جمادى الأخر (٨٢٥ هـ/ يوليو ١٤٢١ م) وقعت نادرة غريبة إن أحد العوام شنق نفسه فمات قهرا من زوجته وقد طلقها وهو يحبها ، فتزوجت غيره ووكلته في زوجها المطلق فاشتكاه فلما ضاق به الأمر شنق نفسه من شدة قهر زوجته [2]، أما علي بن نجم الدين الكيلاني غياث الدين ابن خواجا التاجر فكان قد تزوج بجارية من جواري الناصر يقال لها" سمراء " وهام بها وائتلف عليها ماله وروحه ، وأفرطت هي في كرهه إلى أن قيل أنها سقته السم ، وهجرته وتزوجت بعده رجلا من العوام فأذاقها الهوان والذل ، وأحبته وكرهها ، وقد زارت غياث الدين في مرضه و استطلته فحاللها، من شدة حبه لها وكانت قد ألزمته بطلاق زوجته وابنه عمه ، فطلقها لطلبها ومن شعر غياث الدين في " سمراء" :

سلوا سمراء عن كربي وحزني — وعن جفن حكى هطال مزن

سلوها هل عراها ما عراني — من الجن الهواتف بعد جن ؟

سلوها : هل هزت الأوتار بعدي — وهل غنت كما كانت تغني ؟

ويقول في أخرها

سأشكوها إلى مولى حكيم — ليعفو في الهوى عنها وعني[3]

يصف الشاعر هنا حاله وقد انتابه الهم والحزن علي فراق محبوبته ، ويتساءل هل محبوبته أيضا تحزن علي فراقه ، ام أنها تعيش حياتها في سعادة وتضرب علي عودها ، وفي نهاية القصيدة يشكوها إلي الله ويطلب منه أن يعفيه من ذلك الحب .

حرصت الزوجة المصرية في الغالب علي إرضاء زوجها ، فنري أن بعض الزوجات يعطين ميراثهن لأزواجهن بعد حصولهن عليه من أهلهن[4] ، وفي المقابل نجد أيضا أن بعض الأزواج يوصين بثروتهم لزوجاتهن بعد موتهم [5].

١- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص ٥٢٦ .
٢- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ ويقول ابن حجر في أنباء الغمر ، ج٢ ، ص ١٢٠ ، أن هذه الحادثة كانت سنة ٨٢٩ هـ/ ١٤٢٢ م.
٣- ابن حجر : أنباء الغمر ، ج٧ ، ص٣٤٠ - ٣٤١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢، ص٢٢٣.
٤ ـ السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٥١ .
٥- المقريزي : السلوك ، ق ٢، ج٤ ، ص ١٢٠٣

أما الوجه الأخر للعلاقة الزوجية فيتمثل في المشاكل التي تنشأ بين الزوجين ، وكان من أسبابها ضرب الزوجة وتقييد حريتها ، قد أشار أحد فقهاء تلك الفترة أن زوجة أحد أصدقائه شكت له من أخلاق صديقه وأخبرته أنه " كسر لها معصمها "[1] ، بل وصل الأمر أن قام زوج بحرق زوجته أو قتلها[2] ، ومن ناحية أخري نجد أن بعض الزوجات يحاولن الكيد لأزواجهن، بان تدعي احدهن مثلا أنها أعطت لزوجها مبلغا من المال" وأنها كلما طالبته بذلك يأسي عليها ولا يدفع لها شيئا "[3] مما يؤدي إلي حبس الزوج بسبب زوجته برغم انه قد يكون" لها في صحبته سنين"[4]، ولو أن هذة الأمور جميعا أصبحت من الأشياء المألوفة لنا أن نراها أو نسمع عنها أو نقرأها عن بعض فئات المجتمع والعياذ بالله

وهناك فئة قليلة من الرجال ضعفوا أمام نسائهم " فلا يقدر أحدهم على مخالفة زوجته أبدا "[5] ، ويتضح هذا من خلال قصة معروف الاسكافي ، من قصص ألف ليلة وليلة إذ كانت زوجته وتسمى" **فاطمة** " ويطلق عليها الناس " **العورة** " ، كانت فاجرة ماكرة خبيثة قليلة الحياء، تعامل زوجها أسوأ معاملة ، وتلعنه وتسبه كل يوم ألف مرة ، ولا تتورع عن ضربه حتى صار يخشى شرها فيعطيها كل ما يربحه ولكنها لم تشكر له ذلك[6]، ويصف لنا ابن دنيال حاله مع زوجته التي حاولت سلب نفوذه و سلطانه كرب أسرة

بك أشكو من زوجة حيرتني — غائبا بين سائر الحضار

دار رأس عن باب داري — فبالله أخبروني يا سادتي أين داري[7]

١- الانفوي : الطالع السعيد ، ص ٢١٤ .
٢- ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ؛ ابن الصيرفي ، علي بن داود الجوهري ، (ت في حدود ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م) : إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق د. حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٢١٥ .
٣ - الصيرفي : المصدر السابق ، ص ٢١٥ .
٤- الصيرفي : المصدر السابق، ص ٤٠٤ .
٥-زكي مبارك : التصوف ، ج١ ، ص ٣٥٥ .
٦- طاهر الطناحي : الف ليلة وليلة ، ج٤ ، ص ٢٢٨ .
٧- ابن دنيال : طيف الخيال ، ص ١٢٣.

إذا ما زوجه الإنسان ماتت — فما بقيت لمسكنه سكينه

وكيف يطيعه نظم ونثر — ولا بيت لديه ولا قريبه [1]

تصف هذة الأبيات حال الزوج عندما تموت زوجته وتتركه ، فان منزله لن يكون أمانا ولن تحلو له الدنيا من بعده ، ويدل ذلك علي مدي حبه لزوجته .

ويقال أنه في جمادى الأخر(٨٢٥ هـ/ يوليو ١٤٢١ م) وقعت نادرة غريبة إن أحد العوام شنق نفسه فمات قهرا من زوجته وقد طلقها وهو يحبها ، فتزوجت غيره ووكلته في زوجها المطلق فاشتكاه فلما ضاق به الأمر شنق نفسه من شدة قهر زوجته [2]، أما على بن نجم الدين الكيلاني غياث الدين ابن خواجا التاجر فكان قد تزوج بجارية من جواري الناصر يقال لها" سمراء " وهام بها واتلف عليها ماله وروحه ، وأفرطت هي في كرهه إلى أن قيل أنها سقته السم ، وهجرته وتزوجت بعده رجلا من العوام فأذاقها الهوان والذل ، وأحبته وكرهها ، وقد زارت غياث الدين في مرضه و استحللته فحاللها، من شدة حبه لها وكانت قد ألزمته بطلاق زوجته وابنه عمه ، فطلقها لطلبها ومن شعر غياث الدين في " سمراء" :

سلوا سمراء عن كربي وحزني — وعن جفن حكى هطال مزن

سلوها هل عراها ما عراني — من الجن الهواتف بعد جن ؟

سلوها : هل هزت الأوتار بعدي — وهل غنت كما كانت تغني ؟

ويقول في آخرها

سأشكوها إلى مولى حكيم — ليعفو في الهوى عنها وعني[3]

يصف الشاعر هنا حاله وقد انتابه الهم والحزن علي فراق محبوبته ، ويتساءل هل محبوبته أيضا تحزن علي فراقه ، ام أنها تعيش حياتها في سعادة وتضرب علي عودها ، وفي نهاية القصيدة يشكوها إلي الله ويطلب منه أن يعفيه من ذلك الحب .

حرصت الزوجة المصرية في الغالب علي إرضاء زوجها ، فنري أن بعض الزوجات يعطين ميراثهن لأزواجهن بعد حصولهن عليه من أهلهن[4] ، وفي المقابل نجد أيضا أن بعض الأزواج يوصين بثروتهم لزوجاتهن بعد موتهم [5].

١- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص ٥٢٦ .
٢- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ ويقول ابن حجر في أنباء الغمر ، ج٢ ، ص ١٢٠ ، أن هذه الحادثة كانت سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٢ م.
٣- ابن حجر : أنباء الغمر ، ج٧ ، ص٣٤٠ - ٣٤١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢، ص٢٢٣.
٤ – السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٥١ .
٥- المقريزي : السلوك ، ق ٢، ج٤ ، ص ١٢٠٣

أما الوجه الأخر للعلاقة الزوجية فيتمثل في المشاكل التي تنشأ بين الزوجين ، وكان من أسبابها ضرب الزوجة وتقييد حريتها ، قد أشار أحد فقهاء تلك الفترة أن زوجة أحد أصدقائه شكت له من أخلاق صديقه وأخبرته أنه " كسر لها معصمها "[1] ، بل وصل الأمر أن قام زوج بحرق زوجته أو قتلها[2] ، ومن ناحية أخري نجد أن بعض الزوجات يحاولن الكيد لأزواجهن، بان تدعي احدهن مثلا أنها أعطت لزوجها مبلغا من المال" وأنها كلما طالبته بذلك يأسي عليها ولا يدفع لها شيئا "[3] مما يؤدي إلي حبس الزوج بسبب زوجته برغم انه قد يكون" لها في صحبته سنين"[4]، ولو أن هذة الأمور جميعا أصبحت من الأشياء المألوفة لنا أن نراها أو نسمع عنها أو نقرأها عن بعض فئات المجتمع والعياذ بالله

وهناك فئة قليلة من الرجال ضعفوا أمام نسائهم " فلا يقدر أحدهم على مخالفة زوجته أبدا "[5] ، ويتضح هذا من خلال قصة معروف الاسكافي ، من قصص ألف ليلة وليلة إذ كانت زوجته وتسمى" فاطمة " ويطلق عليها الناس " العورة " ، كانت فاجرة ماكرة خبيثة قليلة الحياء، تعامل زوجها أسوأ معاملة ، وتلعنه وتسبه كل يوم ألف مرة ، ولا تتورع عن ضربه حتى صار يخشى شرها فيعطيها كل ما يربحه ولكنها لم تشكر له ذلك [6]، ويصف لنا ابن دنيال حاله مع زوجته التي حاولت سلب نفوذه و سلطانه كرب أسرة

بك أشكو من زوجة حيرتني — غائبا بين سائر الحضار

دار رأس عن باب داري — فبالله أخبروني يا سادتي أين داري[7]

١- الادفوي : الطالع السعيد ، ص ٢١٤ .
٢- ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ؛ ابن الصيرفي ، علي بن داود الجوهري ، (ت في حدود ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) : إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق د. حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٢١٥ .
٣ - الصيرفي : المصدر السابق ، ص ٢١٥ .
٤- الصيرفي : المصدر السابق، ص ٤٠٤ .
٥- زكي مبارك : التصوف ، ج١ ، ص ٣٥٥ .
٦- طاهر الطناحي : الف ليلة وليلة ، ج٤ ، ص ٢٢٨ .
٧- ابن دنيال : طيف الخيال ، ص ١٢٣.

يصف ابن دنيال حاله مع زوجته التي لم تكن تعطيه أي أهمية ، وتعمله وكأنه غير موجود ، فيتساءل ماذا يفعل معها .

لذلك لم يكن من الغريب بالنسبة لهؤلاء الأزواج أن يندم بعضهم علي الزواج ويقول احدهم معبرا عن ذلك قائلا :

من يطلب المعروف من زوجته — أو يرجو منها النفع في شدته

قد غره بالود مكر النساء — أو ظن بعض الخير في زوجته

قد نال كل الويل من لم يعش — منفردا إلي انقضاء مدته [1]

يصف احد الأزواج في الأبيات النساء بالمكر ، وان من يطلب من امرأة خير فهو واهم لان النساء لا يأتي منهم إلا كل شر ، كما يقول أن الذي يتزوج سوف ينال كل الويل .

ومن الظواهر السيئة التي برزت لنا في قصص ألف ليلة وليلة وهي الخيانة الزوجية ، وتروي لنا هذه القصص عن بعض الزوجات اللاتي أقدمن على خيانة أزواجهن مع عشاقهن من الشباب ، وربما ترجع هذه الظاهرة لزواج فتاة صغيرة في السن من رجل كبير في السن ، مما يدفع بها إلى طريق الخيانة لتجد مع هذا الشاب ما لم تجده عند الزوج الكبير في السن[2]،و ربما يرجع سبب هذه الخيانة إلى أن الفتيات لا يؤخذ رأيهم عند الزواج ، وقد تجبر على هذا الزواج مما يدفعها للخيانة ، فمن الحوادث الغريبة التي تتحدث عن الخيانة الزوجية ،أنه في رمضان ٨٣٨ هـ/ مارس ١٤٣٤ م تزوج أحد مشاهير البزازين بنت أمير فعشقت عليه عبدا أسود فأدخلته البيت في زي امرأة، وقالت لزوجها أنها بنت أمير كبير ويجب أن تضايفها ، وتمتعت بيومها مع هذا العبد والزوج لا يقدر على دخول البيت إكراما لها ، وعند ما حل الليل طلبت الزوجة من الزوج أن يبيت بمفرده في طابق آخر، وتبيت هي مع

١- **السيوطي** : الكنز المدفون والفلك المشحون ، بولاق ١٢٨٨ م ،ص ١١٩ .

٢- **Ahmed Abd Arraziq** , la femme , p-194

خوند إكراما لها فقبل الزوج وباتت هي مع محبوبها فسولت لهما نفسيهما قتل الزوج فهم عليه العبد بسكين فضربه فخابت الضربة ، فاستغاث الزوج وأمسك بالعبد وضرب وقضى فيه الحكم ، أما الزوجة فحلفت لزوجها أنها لا تعلم شيئا عن أمر هذا العبد فصدقها زوجها واستمرت معه [1].

وعلى الرغم من هذه الظاهرة السيئة التي تشير إليها قصص ألف ليلة وليلة إلا أنها تشير كذلك ، إلى بعض الزوجات اللاتي تفانين في حب وخدمة أزواجهن والإخلاص لهم ، فعلى سبيل المثال ما جاء في قصة علاء الدين أبو الشامات ، من أن زوجه شمس الدين التاجر ، كانت تعرف ميعاد ومجئ زوجها فتغتسل وتهيئ نفسها في أحسن صوره استعدادا لاستقباله . [2]

ومما يدخل في باب الطرائف أن الرزيلة تفشت في تلك الفترة بصورة غريبة وهي أن الزوجة إذا جاءت لتنام مع زوجها فإنه يجب أن يعطيها أجرا معلوما بحسب حاله يسمى (حق الفراش) وقال ابن الحاج عن هذا التصرف " أنه منكر لأنه شبيه بالزنا "[3] ،ويرجع هذا إلى أن بعض الأزواج اتصفوا بالبخل ، والشح وقد نصح اغلب فقهاء هذا العصر الرجال بعدم التقصير في الإنفاق على الزوجات والأبناء، وربما لجأت الزوجات إلى هذا الفعل حتى يستطعن أن يحصلوا علي بعض المال، ليساعدهن في قضاء حوائجهن، وشراء ما يلزمهن من الملابس وأدوات الزينة ، وخاصة عندما يكون الزوج بخيلا شحيحا[4] .

دور الأم

أما عن دور الأم المصرية في تربية أبنائها فإنها لم تكن محط أنظار المؤرخين في تلك الفترة الذين بخلوا علينا بالحديث الكافي عنها ، فإن الأم هي الأم في كل وقت

١- **ابن حجر** : أنباء الغمر، ج٨ ،ص ٢٨٤ .
٢- **السيوطي** : الإيضاح في علم النكاح ،ص ٥-٦ .
٣-**ابن الحاج** : المدخل ، ج٢ ،ص ١٦٩
٤- Ahmed ABD Arraziq , la femme , p p . 195-196

وزمان بحنانها وخوفها عليهم ، فكانت الأم في تلك الفترة تحاول بشتى الطرق الدفاع عن أبنائها، إذا ما تعرضوا للقهر والظلم فكانت تتودد وتشفع لهم حتى لا يمسهم أي ضرر[1] ففي قصص ألف ليلة وليلة كانت الأم تحاول أن تحمي ابنها من عقاب أبيه، وتكذب في بعض الأحيان لتعفيه من العقاب [2]، مثال ذلك عندما عاد أحد الأبناء إلي المنزل وقد شرب الخمر ، فشمت أمه رائحة الخمر فغضبت ولكن عندما سأل عنه والده قالت له أن رأسه توجعه فنام ، فدخل الأب ليطمئن علي ابنه فعرف انه شرب الخمر ، فعنفه وحلف انه في الصباح سوف يقطع يده اليمني ، فخافت أمه عليه فنصحته بالهروب من البيت حتى يهدأ أبوه[3] . وكان من شدة حب الأم لابنها أنها قد يصل بها الأمر للانتحار حزنا علي موته ، فنجد أن امرأة خرجت خلف جنازة ابنها فمنعها الناس من ذلك فألقت بنفسها من فوق الدار[4].

كان الأبناء إذا ولدوا في بيت يسر تسلمتهم المراضع حتى يشبوا، وعندئذ يقوم بتأديبهم وتعليمهم أحد مؤدبي الأطفال[5]، وكان لمؤدبي الأطفال مكانة كبيرة، وتأثير واضح علي الأبناء لدرجة أن الأم تلجأ إليهم لشكوى أبنائها إذا أخلو بالأدب في المنزل[6]. ومن خلال قصة قمر الزمان تظهر لنا عناية الآباء والأمهات بتربية الأبناء وتعليمهن إذا صارت الأم تقرئ بنتها ، والرجل يقرئ ولده حتى يحفظ القرآن ، ويتعلم الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهم وأمهم ولم يحتاجا إلى معلم [7].

١- المقريزي : الخطط ،ج٢ ، ص ٢٩٦

٢- أبو المحاسن بن تغرى بردي : النجوم ، ج٥ ، ص ٨٠؛ السخاوي : التبر المسبوك ، ص ١٥٨؛ سيرة الظاهر بيبرس ، ج٢٠ ، ص ٥٢ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ١٨٤.

٣- طاهر الطناحي : ألف ليله وليلة ، ج١ ، ص ٦٥ .

٤- أبو المحاسن بن تغرى بردي : النجوم ، ج١٥، ص ٩٨؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص٤٠٩

٥- أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج٥ ، ص ٨٠ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ، ص ١٥٨ .

٦- الشربيني : هز القحوف ، ص ٣١ .

٧- طاهر الطناحي : ألف ليله وليله ، قصة قمر الزمان : ج٤ ، ص٢٣٨ .

وتشير لنا المصادر المملوكية إلي مدى احترام الأبناء لأمهاتهم نتيجة للتربية الجادة ، فمن خلال قصص ألف ليلة وليلة أن الأبناء كانوا بمجرد عودتهم إلى المنزل يبحثوا عن أمهاتهم ويقبلوا أيديهم ، وقد اعتادوا أن يفعلوا ذلك كل يوم[1] ولقد أوصي الله تعالي في القرآن بالوالدين " **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير** "[2] .

كما كانت المجالس الدينية تدعو إلى تكريم الأم وقد جاء في الحديث الشريف " أن الجنة تحت أقدام الأمهات " [3]

١- المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص١٢٨ .

٢- القرآن الكريم : سورة لقمان . آية ١٤

٣ - احمد عبد الرازق : المرأة في مصر المملوكية ، ص ١٣٨

الاحتفالات العائلية

الزواج

عرفت الأسرة المصرية العديد من المناسبات العائلية ، والتي اهتمت بالاحتفال بها وإحيائها بما تدخله من مظاهر البهجة والفرح والسرور في القلوب ، وما تتركه من اثر طيب علي النفوس ، مما يساعد الأسرة علي مواصلة الحياة بعيدا عن الألم والحزن ولو لحين ، ويأتي في مقدمة هذه الاحتفالات العائلية ، الاحتفال بالزواج الذي يعتبر نظاما اجتماعيا لتكوين الأسرة ، التي هي بدورها البنية الأساسية لبناء المجتمع لذلك يحظي باهتمام الأسرة بصورة تجعلة يأتي في مقدمة الأعياد والأفراح العائلية ، التي ينشرح لها صدور جميع أفراد الأسرة ، فيجب أن نتعرف على مراسم الزواج وكل ما يتعلق به في فترة حكم المماليك ابتداء من الخطبة ، وقيمة الصداق وعقد الزواج والشروط التي يتم الزواج وفقا لها، ويشير القرآن الكريم إلى هذا النظام في قوله تعالى **" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة "**[1] وقد دعت جميع الأديان السماوية إلي الزواج للحفاظ على الأنساب والأعراض، ولتحقيق استمرارية الجنس البشري عن طريق الإنجاب. ويؤكد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى" **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون "** [2]

الزواج نظام الهي يقوم عليه سلامه المجتمع ، لذلك عنى التشريع الإسلامي بعقود الزواج عناية كبيرة ، فكانت الخطوة الأولى في الزواج هي اختيار شريك الحياة في ظل ظروف فرضت على المجتمع الفصل بين الرجل و المرأة وعدم رؤية العروس إلا بعد زفافها ، فمن هنا جاء دور الخاطبة التي توفق للعريس العروس

١- القرآن الكريم : سورة الروم . أية (٢١) .

٢- القرآن الكريم : سورة النحل . أية (٧٢)

المناسبة لرغباته ومطاليه[1] ، ولم يكن للفتاه رأي في زوجها وكان الرأي الأول والأخير لوالدها وربما شاركته الأم[2].

أما الخطوة الثانية في الزواج والتي تأتي بعد الخطوبة ، وهي عقد الصداق ويكون حسب مكانة صاحب العقد[3] ، وكان كثير من الناس يفضلون عقد الزواج في المساجد فيجتمعون فيها ومعهم المباخر المفضضة التي يحرقون فيها البخور ، وبعد كتابة العقد ينصرفون في حفل كبير[4] ، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على حق الزوجة في الصداق في قوله تعالى : **" وآتوا النساء صدقاتهن نحله "** [5] **"وأتوهن أجورهن فريضة "** [6] وفي حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم للرجل الذي أراد أن يتزوج وليس معه ما يقدمه للمرأة التي يريد أن يتزوجها قوله:" **أمهرها ذلك الخاتم "**[7] فكان الزواج لا يتم بدون المهر أو الصداق ' وكان يدفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القران ، والباقي يسمى مؤخر الصداق يسدد على أقساط مؤجلة ، ويكون الصداق حسب الحالة الاجتماعية للعروسين ، والعقد الذي حصلت عليه الباحثة كان باسم ليلي وكان قيمة مقدم صداقها مائة دينار[8]، ويدل ذلك أن هذا العقد يرجع للطبقة المتوسطه، لان الطبقة العليا كان الصداق عندهم اكبر بكثير من ذلك كما ذكرت من قبل ، وكما يفهم من اغلب عقود الزواج التي وصلتنا من ذلك العصر والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الشوار وكان والد العروس يتحمل

١- ابن دنيال : طيف الخيال ، ص ٣٩ ـ ٤٩

٢- السخاوي : النير المسبوك ، ص ٣٩١ ؛ طاهر الطناحي ؛ الف ليلة وليلة ، ج١ ، ص ٢٦٥

٣- القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ١٤ ، ص ٣٠٠.

٤- ابن الحاج : المدخل ، ح٢ ، ص ٢٦٤.

٥- القرآن الكريم : سورة النساء ، أية (٤)..

٦- القرآن الكريم : سورة النساء ، أية (٢٤) .

٧- موسي : الفقه الإسلامي : ص ٢١٩.

٨- انظر الملاحق، عقد الزواج

مسئولية إعداد شوار وجهاز ابنته وتجهيزها ، مما يشكل عبئا عليه ، ونجد البوصيري يؤكد لنا ذلك قائلا :

وفتاة ما جهزت بجهاز خطبت للدخول بعد شهور

واقتضتني الشوار بغيا علي من بيته ليس فيه غير حصير[1]

ويفهم من البيتين السابقين أن الأب كان يجهز ابنته مهما كانت ظروفه ، حتى وإن لم يتبق في بيته سوي الحصير ، حتى لا تكون اقل من مثيلاتها من الفتيات .

كان هناك " أماكن معينة لبيع شوار العرائس" [2] ، وكان في بعض الأحيان ينص المصريون في عقود الزواج أن الجهاز ليس باسم العروس ، ولكن باسم أمها أو جدتها أو والدها بقصد حرمان الزوج أو أولادها منه إذا ماتت وطلبوا ارث أمهم[3] ، كما كان يشهد علي العقد اثنين من العدول وغالبا ما يكونوا من أهل العروسين، أو الأعيان [4]، وكان يحتفل بنقل الشوار في حفل يشترك فيه الأهل والأقارب ، وكان الشوار عادة يتكون من ثلاث دكك فضة ودكه من نحاس مكفت ، ودكه من نحاس أبيض[5]، والدكه عبارة عن شئ يشبه السرير مصنوع من خشب مطعم بالعاج أو الأبنوس ، أو من خشب مدهون ، يوضع عليه الأواني المختلفة التي منها علي سبيل المثال لا الحصر الكاسات والأطباق وطشت وابريق ومبخرة[6]،

١- البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله بن محمد سعيد - (ت ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط١ ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٠٨ .
٢- المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
٣- الشعراني : البحر المورد في المواثيق والعهود ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م ، ص ١٩٨ .
٤- انظر الملاحق ، عقد الزواج
٥- المقريزي : الخطط : ج٢ ، ص١٠٥ ؛ ابن الحاج : المدخل ،ج٣٣ ، ص١٦٧.
٦- المقريزي : الخطط :ج٣ ، ص١٧٠- ١٧١ ؛ انظر أيضا زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤.

وقد يشمل هذا الجهاز دولابا معد لوضع الأواني [1] ، بالاضافه إلي الازيار لحفظ الماء بها [2]، و في ليلة الزفاف تقام وليمة وحفل لأهل العروسين ، ومن خلال قصص ألف ليلة وليلة التي تؤكد لنا أن أفراح المصريين كانت صورة مصغرة من أفراح المماليك و أمرائهم[3] ، حيث يعمل وليمتان أحداهما للنساء في بيت العروس ، والأخرى للرجال في بيت العريس (عن الرسولﷺ انه لابد من وليمة للعروس بعد الدخول ، وان يولم العريس بما تيسر له ، فقد أولم الرسول لنسائه ، كما أمر عبد الرحمن ابن عوف أن يولم ولو بشاه)[4] ، وفي المساء يخرج العريس متجها إلى بيت العروس في موكب كبير به الأهل والأصدقاء[5] ، وتتصدر العروس الحفل بحمالها وبهائها وزينتها ، حيث يقوم أهلها بتكحيلها وتمشيطها وتحفيفها ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة وتضع على رأسها شربوش[6] .

أما عن أفراح الفلاحين فقد اعتادوا أن يطوفوا بالعريس في أنحاء القرية وسط ضرب الطبول ، ومدح المنشدين وحوله " الجدعان تخبط بالنبابيت ولا يزالون به حتى يصل إلى بيت العروس ويقام حفل صاخب يشترك فيه أصحاب الرباب والنساء يزغردن وينشرون الملح خوفا على العروس من الحسد "[7]. وعقب الحفل يدخل العروسين إلى البيت ويغلقون الباب ويدقوا ليم بالحجارة على الأعتاب، وبعد ثلاثة أيام يخرجون العروس ويكشفون عن وجه العروسه للمرة الثانية ، وتكون المرة الأولي ليلة الزفاف و يأخذون النقوط من الناس[8].

١- مكس هرتس : فهرس مقتنيات دار الآثار ولمحه عن تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر ، ترجمة علي بهجت ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ١٨٠ .
٢- محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ، ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، دت ، ص ٣٣٩ ؛ مكس هرتس : المرجع السابق ، ص ٩٦ .
٣- Mordrus , le livre des mille et une nuits t .1 paris, 1965,pp 192,205,209,212,214.
٤- محمود ابن الحميل : تحفة العروس ، ص ٢٣٠ .
٥- السخاوي : التبر المسبوك: ص ٣٠٢ ؛ بن تغري بردي . حوادث الدهور ، ح١ ص ٦٦ -٦٧
٦- تاريخ ابن الفرات : ج٩ ، ص ١٤٥ ؛ أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج١٠ ، ص ٤٧١ ؛ ابن دنيال : طيف الخيال ، ص ١٣٦ .
٧- الشربيني : هز القحوف : ص ١٠٢٩ .
٨- المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

مسئولية إعداد شوار وجهاز ابنته وتجهيزها ، مما يشكل عبنا عليه ، ونجد البوصيري يؤكد لنا ذلك قائلا :

وفتاة ما جهزت بجهاز ... خطبت للدخول بعد شهور

واقتضتني الشوار بغيا علي من ... بيته ليس فيه غير حصير[1]

ويفهم من البيتين السابقين أن الأب كان يجهز ابنته مهما كانت ظروفه ، حتى وإن لم يتبق في بيته سوي الحصير ، حتى لا تكون اقل من مثيلاتها من الفتيات .

كان هناك " أماكن معينة لبيع شوار العرائس "[2] ، وكان في بعض الأحيان ينص المصريون في عقود الزواج أن الجهاز ليس باسم العروس ، ولكن باسم أمها أو جدتها أو والدها بقصد حرمان الزوج أو أولادها منه إذا ماتت وطلبوا ارث أمهم[3] ، كما كان يشهد علي العقد اثنين من العدول وغالبا ما يكونوا من أهل العروسين، أو الأعيان [4]، وكان يحتفل بنقل الشوار في حفل يشترك فيه الأهل والأقارب ، وكان الشوار عادة يتكون من ثلاث دكك فضة ودكه من نحاس مكفت ، ودكه من نحاس أبيض[5]، والدكه عبارة عن شئ يشبه السرير مصنوع من خشب مطعم بالعاج أو الأبنوس ، أو من خشب مدهون ، يوضع عليه الأواني المختلفة التي منها علي سبيل المثال لا الحصر الكاسات والأطباق وطشت وابريق ومبخرة[6]،

١- البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله بن محمد سعيد . (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) : الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط١ ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٠٨ .

٢- المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

٣- الشعراني : البحر المورد في المواثيق والعهود ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م ، ص ١٩٨ .

٤- انظر الملاحق ، عقد الزواج

٥- المقريزي : الخطط : ج٢ ، ص١٠٥ ؛ ابن الحاج : المدخل ،ج٣٣ ، ص١٦٧.

٦- المقريزي : الخطط :ج٣ ، ص١٧٠- ١٧١ ؛ انظر أيضا زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤.

وقد يشمل هذا الجهاز دولابا معد لوضع الأواني [1] ، بالاضافه إلي الازيار لحفظ الماء بها [2]، و في ليلة الزفاف تقام وليمة وحفل لأهل العروسين ، ومن خلال قصص ألف ليلة وليلة التي تؤكد لنا أن أفراح المصريين كانت صورة مصغرة من أفراح المماليك و أمرائهم[3] ، حيث يعمل وليمتان أحداهما للنساء في بيت العروس ، والأخرى للرجال في بيت العريس (عن الرسول ﷺ انه لابد من وليمة للعروس بعد الدخول ، وان يولم العريس بما تيسر له ، فقد أولم الرسول لنسائه ، كما أمر عبد الرحمن ابن عوف أن يولم ولو بشاه)[4] ، وفي المساء يخرج العريس متجها إلى بيت العروس في موكب كبير به الأهل والأصدقاء[5] ، وتتصدر العروس الحفل بحمالها وبهائها وزينتها ، حيث يقوم أهلها بتكحيلها وتمشيطها وتحفيفها ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة وتضع على رأسها شربوش[6] .

أما عن أفراح الفلاحين فقد اعتادوا أن يطوفوا بالعريس في أنحاء القرية وسط ضرب الطبول ، ومدح المنشدين وحوله " الجدعان تخبط بالنبابيت ولا يزالون به حتى يصل إلى بيت العروس ويقام حفل صاخب يشترك فيه أصحاب الرباب والنساء يزغردن وينشرون الملح خوفا على العروس من الحسد "[7]. وعقب الحفل يدخل العروسين إلى البيت ويغلقون الباب ويدقوا لهم بالحجارة على الأعتاب، وبعد ثلاثة أيام يخرجون العروس ويكشفون عن وجه العروسه للمرة الثانية ، وتكون المرة الأولي ليلة الزفاف و يأخذون النقوط من الناس[8].

١- مكس هرتس : فهرس مقتنيات دار الآثار ولمحه عن تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر ، ترجمة علي بهجت ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ١٨٠ .

٢- محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ، ٠ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، د ت ، ص ٣٣٩ ؛ مكس هرتس : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

٣- Mordrus , le livre des mille et une nuits t .1 paris, 1965,pp 192,205,209,212,214.

٤- محمود ابن الحميل : تحفة العروس ، ص ٢٣٠ .

٥- السخاوي : التبر المسبوك: ص ٣٠٢ ؛ بن تغري بردي . حوادث الدهور ، ج١ ص ٦٦ -٦٧

٦- تاريخ ابن الفرات : ج٩ ، ص ١٤٥ ؛ أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم ، ج١٠ ، ص ٤٧١ ؛ ابن دنيال : طيف الخيال ، ص ١٣٦ .

٧- الشربيني : هز القحوف : ص ١٠٢٩ .

٨- المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

أما عن أفراح الأعراب فكانت الجارية ترقص وسط جموع الرجال ، ثم تطوف عليهم وفي يدها الرق لتجمع " عوايدها من العرب "[1]. بينما كان أهل الذمة يقيمون أفراحهم في الملاهي والمغاني على عادتهم[2] .

النفاس والولادة :

كانت الاحتفالات العائلية الخاصة بالنفاس والولادة ذات أهمية كبيرة ، وكانت العادة أن يتفق قبل الوضع مع القابلة (الداية)[3] على أجر معلوم، حتى لا يحدث نزاع على أجرها ، وعندما تضع الأم مولودها يذهب إليها النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن مع ضرب الدفوف والرقص واللهو واللعب ، وتدوي المزامير والأبواق على باب المنزل " لتعمل ما في وسعها من الهرج والشهرة "[4] وعند قطع سرة المولود يحضر حوله عدد كبير من الأطفال، و" يزعمون أنه من لا يحضر من الصغار عند قطع السره ويدخل بعدها تحول عيناه ويبكي كثيرا في طفولته" [5]. وتوضع السكين التي قطعت بها السرة عند رأس المولود أربعين يوما، طالما أمه جالسه إلى جانبه وإذا قامت أخذتها معها حتى لا يصيبها شئ من الجان [6] ، وترى الباحثة أن تلك العادات كانت نتيجة للجهل الذي انتشر في تلك الفترة ، والاعتقاد في السحر والجان ، أما إذا كان المولود ولد فإن والده يقيم " وليمة مولود ذكر "[7] .

١- سيرة الظاهر بيبرس : ح٨ ، ص ٩.

٢- ابن حجر : أنباء الغمر : ج ١ ، ص ٢٧٣.

٣- ابن حجر : الدرر الكامنة : ح ٤ ، ص ١٤٤.

٤- ابن الحاج : المدخل ، ح٣ ، ص ٢٨٣ ــ٢٨٨.

٥- ابن الحاج : المدخل ، ح٣ ، ص ٢٩.

٦- ابن الحاج : المرجع نفسه ، ص ٢٩١.

٧- ابن حجر : أنباء الغمر ، ج١ ، ص ٥٦٠

وتستمر الاحتفالات سبعة أيام لا ينقطع طوالها المهنئين والمهنئات ، وكل من جاءت للتهنئة جددوا لها اللهو واللعب والرقص ، وعندما تحل الليلة السابعة " ليلة السبوع " يضعون عند رأس المولود الختمه ، واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة من السكر ، وإذا كان أهل المولود أهل يسر وضع عند رأسه " أبلوجة من السكر " مع طبق من الفاكهة " وقفه من النقل والشمع " وفي صبيحة السبوع يفرق كل ذلك ، ويزعمون أنه بركه لمن أخذه وأنه يعفيه من الصداع ، كما يزعمون أن الملائكة تكتب بالدواه والقلم ما يحدث المولود من ميلاده إلى وفاته[1] ، وفي ليلة السبوع تلبس أم المولود الثياب الجديدة الجميلة ، وتطوف بأنحاء الدار وأمامها الداية تحمل المولود، وأمام الداية امرأة تحمل طبقا به ملح تنثره في البيت يمينا ويسارا، مع إحراق نوع من البخور مخصص للولادة ويحمي من الأمراض والجان ، وفي هذا اليوم تصنع ألوان معينة من الطعام تفرق على الأهل الجيران والمعارف [2] ، ولم يخالف أهل العلم والمشايخ بقية طبقات الشعب في تلك العوائد ، فعندما رزق السخاوي مولودا سنة ٨٥٥ هـ/١٤٥١م أقام وليمة كبيرة دعا إليها الفقراء والعلماء وطلبة العلم وغيرهم ممن " توسم فيهم الخير "[3] . وترى الباحثة أن تلك الاحتفالات كانت ترجع إلى الحالة المادية للأسر، فليس كل الأسر في نفس المستوى ، فكل أسره تحتفل حسب إمكانياتها المادية .

كذلك من الاحتفالات الخاصة بالمولود الذكر أيضا أن المولود " إذا مضي عليه مدة من الزمان وأراد أهلة حلاقة رأسة صنعوا له وليمه "[4] ومن الطريف انه قد انتشرت عادة ثقب أذن المولود ووضع حلقه فضه فيها خوفا عليه من الموت ، وخاصة إذا كان يموت من يولد قبلة [5]. وهذه من العادات التي انتشرت في تلك الفترة عند عامة الشعب، وخاصة الذين يعتقدون في الحسد.

١- ابن الحاج : المصدر نفسه : ص ٢٩٠

٢- المصدر نفسه : ص٢٩١ .

٣- السخاوي : التبر المسبوك : ص ٣٤٩ .

٤- ابن سودون – (نور الدين أبو الحسن علي بن سودون ،(ت ٨٦٨ هـ/١٤٦٣ م) : نزهة النفوس ومضحك العبوس ، القاهرة ١٢٨٠ هـ/١٨٦٣ م ، ص ٨١ .

٥- المقريزي : الخطط ،ج ٢ ، ص ٣٦٩

الختان

كان الختان من الاحتفالات العائلية التي كان لها يوم مشهود في حياة الأسرة ، هو يوم الاحتفال بختان الطفل والذي كان يقوم به عادة " المزين "[1] حيث تقوم الأم بإرسال الطفل مع أبيه إلي الحمام ليستحم ويرتدي ثوبا جديدا ، ثم بعد خروجه من الحمام يركب فرسا ويلتف حوله الناس وفي أيديهم السيوف ، حتى يصل إلي البيت فيدخل وتدخل معه الناس فتقدم لهم الأطعمة ثم الاشربه ، وبعد الفراغ من الطعام والشراب يجلس الطفل في طشت " وينثر الناس عليه الدراهم حلوانا للمزين ، الذي يقوم بختان الطفل "[2] ، ومما قيل في تلك المناسبات السعيدة :

ياما أحسن الزفة نهار الطهور — حين تدور

فيها الوليدات راكبين في سرور — كالبدور

تبقي الدفوف تنعق علي قصب يزعق [3]

ومن الاحتفالات الهامة كذلك الاحتفال بنجاح الأبناء في حفظ القرآن الكريم وختمه ،فكان يدعي إلي ذلك الاحتفال الفقهاء والعلماء والمؤدب" المعلم" وتمد الاسمطه ، وتفرق الحلوى وغالبا ما يقام الاحتفال خلال شهر رمضان ، وكان الصبي يصلي بكل الحضور صلاة التراويح ، وربما اقتصر ذلك الاحتفال علي الميسورين فقط لأنه احتفال مكلف مما جعل البعض يصرف النظر عن إقامته[4] ، وفي جميع الاحتفالات العائلية السابقة لابد من الحصول على إذن ضامنة المغاني بعد دفع المال أو الرسم المقرر لها ، فكان على النساء إذا تنفسن أو خضبت امرأة يدها بالحناء الحصول على ذلك الأذن " ومن عمل فرحا أو نفس امرأته من غير إذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف " وظل ذلك الوضع حتى سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م عندما "أبطله السلطان الملك الأشرف شعبان"[5] ،ويعتبر ذلك تقييدا للحرية ، كما يعتبر حدا من الاحتفالات لان ليس بمقدور جميع فئات الشعب أن تدفع تلك الرسوم المبالغ فيها . وقد وصلت تلك الرسوم في الزواج " أن يدفع أهل الفرح لضامنة خمسمائة درهم أو أكثر حسب حالة أهل الفرح "[6]

١- **المسبكي** (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) : معيد النعم ومبيد النقم ، حققه وعلق عليه محمد علي النجار ، وأبو زيد شلبي ، ومحمد أبو العيون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م، ص ١٣٤ .

٢- **ابن سودون** : نزهة النفوس ، ص ٨١ .

٣- **ابن سودون** : نزهة النفوس ، ص ١٠٨ .

٤- **ابن الحاج** : المدخل ، ج٤ ،ص ٣٠٠ - ٣٠١ ؛ **عبد الغني محمود** : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ م ، ص ١١٧ .

٥- **المقريزي** : الخطط ، ج١ ،ص ١٢٦ . (طبعة بولاق) .

٦- **المقريزي** : السلوك ، ج٣ ،ق١ ، ص٢٦٦ ، الخطط ، ج١ ، ص ٨٩ ؛ **ابن اياس** : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص١٦٦ .

أدوات الزينة :

لقد شمل الترف كافة نواحي الحياة مما انعكس على أدوات الزينة من ملابس وحلي ومكاحل وعطور وغيرها .

١- الملابس :

كان هناك اختلاف بين ملابس نساء الطبقة الثرية والمتوسطة والفقيرة ، من حيث نوع القماش المستعمل والاهتمام بالتطريز بالذهب وترصيعها باللؤلؤ ، هذا إلى جانب ما يميز ملابس الذميات عن المسلمات ، أما فيما يخص الملابس التي شاع استخدامها في تلك الفترة من الملابس الداخلية القميص والسروال ثم الثوب وأغطية الرأس . وكانوا يستخدمون الاقمشه القطنية في ملابسهم ، وفي متحف الفن الإسلامي قطعة من النسيج القطني المطبوع بزخارف عبارة عن اشرطه بداخلها رسوم منتظمة ترجع إلي القرن ٨هـ / ١٤م[1].

أ- القميص

جرت العادة أن ترتدي النساء المسلمات قمصانا تحت ملابسهن الفوقية ، مما أثار غضب أولى الأمر وقد ظهر نوع منها سمى (بهطله) وهو ذو ذيل طويل ينسدل على الأرض، ولكمام متسعة يبلغ اتساعها ثلاثة أذرع ، مما جعل الأمير منجك يأمر بمنع لبسها ، و بالقبض على بعض النسوة اللاتي لم يمتثلن لأوامره ، وقد نجح في كبح جماح النساء ومنعهن من ارتدائه [2] ، و" عندما كان كمشبغا نائبا عن السلطان المنصور حاجي (٧٩١-٨٠١ هـ /١٣٨٩- ١٣٩٩ م) في مصر وأذاع مرسوما في سنة ٧٩٣ هـ/ ١٣٩٠م ، في القاهرة وضواحيها فحرم ارتداء قمصان ذات أكمام واسعة ، وبعد أيام قليلة من المرسوم نزل رجال كمشبغا يطوفون بالأسواق لتنفيذ المرسوم ، وأخذوا يقطعون الأكمام المتسعة أكثر مما يلزم بالسكاكين " [3]، وبعد أن

١- **سجلات متحف الفن الإسلامي** ، رقم السجل ١١١٣ ، لوحه رقم ٤٠ .

٢- **المقريزي** : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢٢.

٣- **ابن الفرات** : تاريخ بن الفرات ، طبعة زريك وعز الدين ، ج٩ ، ص ٦٧ ؛ **أبو المحاسن بن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، طبعة Popper، ج ٥ ، ص ٥٤١ .

عاد السلطان برقوق إلى مصر عادت النساء إلى الموضة القديمة [1] وبعد عدة سنين صنعت قمصان طبقا لأوامر كمشبغا سميت " **القمصان الكمشبغاوية** " ، تميزت بأنها " ذات أكمام كالتي ترتديها البدويات" [2]، وقد وصل الإفراط في اتساع الأكمام إلى نساء الفلاحين ، فقد روى أحد المؤرخين في عصر المماليك أن ملابس نسائهم " على شكل الشعراء في وسع الكمام وزيادة فإن كم المرأة منهن يتسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثاني " حتى قيل أنه " ربما جامع الرجل زوجته من كمها دون حاجة لرفع باقي الثوب " [3] ، وإلى جانب ذلك النوع من القمصان ظهر نوع أخر عبارة عن قمصان قصيرة ضيقة ، أطلق عليها اسم " **قناديز**" ، وقد عاب ابن الحاج على نساء مصر " تلك البدعة التي أحدثتها قمصانهن من جعلها ضيقة وقصيرة " وقد دعي إلى منع النساء من ارتدائها ، ومن هنا نجد أن القمصان في ذلك العصر لم تظل على شكلها على حال واحد [4].

١- ابن الفرات : تاريخ بن الفرات ،ص ٢٦٨ .
٢- ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢٤ .
٣- الشربيني : هز القحوف ، ج٢، ص ١١٥.
٥- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٠١ ـ ٢٤١ .

ب- السروال (اللباس)

اللباس هو المفهوم الشعبي للسروال في الفترات المتأخرة خلال العصر الشركسي[1] ، وقد لبست النساء لبعض الوقت سراويل طويلة أيضا[2] ، وأحيانا كانت تلبس سراويل طويلة بدلا من القميص ، كان يبدو مثل الجلباب ، ويطلق عليه اسم الثوب [3] ، وكان ارتداء السروال في الحمامات الشعبية ذو أهمية خاصة [4] ، للحفاظ على النساء من انكشاف عورتهن ، وكانت المرأة القاهرية ترتدي السروال المصنوع من الجلد المزين بأشغال التخريم [5] ، وقد اعتادت النساء ارتداء السروال خارج المنزل ، وقد عاب عليهن ابن الحاج " بقاءهن في المنازل بدون سروال ولا يلبسونه إلا عند الخروج" [6].

جـ- الثـوب :

وهو أكثر جزء مألوف من الملابس عند الشابات وفقا لقوائم الجهاز، وكان يلبس فوق الملابس التحتانية ، وكانت المرأة تلتف جميعها بملاءة أو سبلة متسعة فضفاضة [7]، عرفت بأسماء عديدة تذكر منها البغلطاق والمرط والحلة والفرجية و الكامبلية والمحفة والشايه والسابه والأزر، وجميعهم بمعني الملاءة، و الذي كان أكثرها شيوعا السبلات [8]، وكان يتوقف مقياس هذا الأزر على حجم السيدة طولا أو

١- ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢٥ .
٢- المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص ٤٥٠ .
٣- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٠١.
٤- الكتبي : فوات الوفيات ، طبعة سنة ١٢٩٩هـ ، ج١ ، ص ٤٤ .
٥- ماير : المرجع السابق : ص ١٢٤.
٦- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.
٧- ماير : المرجع نفسه ، ص ١٢٥.
٨- Ahmed Abd Arraziq . la femme , pp . 236 . 237

قصرا ، وكان الأزر بالنسبة للنساء المسلمات ابيض اللون، بينما كان نساء أهل الذمه لازما عليهن ارتداء ، أزر ذات ألوان مميزة [1]، فالمسيحيات يلبسن اللون الأزرق، واليهوديات اللون الأصفر والسامريات اللون الأحمر، ويشد من حوله حزام (زنار) يقال أنه من ابتكار " متيم" وهو أحد الندماء في بلاط المأمون والمعتصم[2].

٢- أغطية الرأس :

استعملت المرأة المصرية في عصر سلاطين المماليك أشكالا متنوعة من أغطية الرأس :-

أ - العمامة

وهي قطعة من القماش تلف حول جزء من الأزر الذي يغطي الشعر ومن المحتمل أنها تشبه في هيئتها تلك التي تستعملها البدويات في وقتنا الحالي ، فقد كانت عمائم النساء مثار جدل ونقد شديدين على الرغم من أنها لم تكن تلبسها بصفة مستديمة[3] " ففي شهر محرم سنة ٦٦٢ هـ/ نوفمبر ١٢٦٣م ، في عهد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس صدر مرسوم يحرم على النساء لبس العمامة "[4]. وقد أشار بن الحاج باشمنزاز إلى نساء عصره في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إستعمالهن العمائم التي على هيئة سنم الهجين المزدوج[5].

١- أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج٧ ،ص ٧٢٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٧٨ .
٢- ماير : المرجع السابق ، ص ١٢٦.
٣- ماير : المرجع السابق ، ص ١٢٧.
٤- المقريزي : السلوك : ج١، ص ٥٠٣.
٥- ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٤٢.

ب- الطرطور :

وهو طرطور طويل تغطية أزار فوقاني، يستخدم كلباس للرأس خاص بالسيدات[1] ، وقد " وصفه أحد المؤرخين وقال أن النساء يلبسن شيئا طويلا فوق رءوسهن على هيئة القدح ،أو الكأس الكبير ملفوف بقماش ثمين فخم مزين بزخارف"[2].

جـ - الطاقية:

وهي تعني قطعة صغيرة من القماش ، تلبس تحت العمامة ولعلها من اصل فارسي، ويبدو أن استعمالها كان نادرا إلى حد ما وقد ظهرت مع الملابس التي تضمنتها قوائم الجهاز، بالجيزة ولقد " وصل سعرها إلى ما بين دينار ودينارين" ، و" كان ارتفاع الطاقية نحو ثلثي ذراع ولها قمم على شكل القباب محشوة بالورق ومزينة بفراء القندس باتساع ثمن ذراع تقريبا"[3]، وفي سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦م عين ناصر الدين بن شبل محتسبا للقاهرة فأصدر أمرا بمنع النساء من ارتداء الطواقي[4].

د- البخنق

وهو من أغطية الرأس الصغيرة الحجم ، التي شاع استعمالها وكانت تصنع من القماش الهرمزي[5] ، و" البخنق في الغالب عبارة عن خرقه تلبسها المرأة فتغطي رأسها وتخيط معها خرقه على موضع الجبهة ، ويقال تبخنقت وبعضهم يسميه المحنك والبخنق يغطي العنق والصدر " [6].

١- ماير : الملابس الملوكية.. ص ١٢٧.
٢- احمد عبد الرازق : المرأة في العصر المملوكي ، ص ١٩١ .
٣- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٠٤ .
٤- المقريزي : السلوك ،ج٢ ، ص ٨١٠ ؛ ماير : الملابس الملوكية . ص ١٢٩
٥- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٤ .
٦- ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص ٢٩٤ .

٣- الحجب :

كانت نساء المدينة محجبات ، وكن يضعن فوق وجوههن مناديل تستعمل لاخفاء الوجه ولم تكن باستطاعة المرأة الطواف في المدينة بغيره ، إلا إذا كانت من الجاريات المخصصات للخدمة في المنازل والقصور ، فقد روى أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – رأى جارية عليها قناع فضر بها بالدرة ، وقال : " **أتتشبهين بالحرائر ؟** "[١] ، ومن أمثلة تلك الحجب التي كانت تستعملها عامة النساء .

أ - البرقع :

وهو قناع للوجه أبيض أو أسود يطلق عليه اسم " **برقع** " يغطى الوجه إلى ما تحت العينين [٢]، وقد شاع استخدامه بين عامة الشعب من النساء ، وقد حرص فناني عصر المماليك على إثباته في صور النساء، فيمكن مشاهدة البرقع في إحدى لوحات الرسام الإيطالي بليني[٣] .

ب- النقاب :

وهو عبارة عن قناع أسود اللون ، اكتفى فيه بعمل فتحتين للعينين [٤] ، وقد شاع استخدامه بين عامة النساء وقد امتد استعماله إلى نساء بدو مصر، مما يدل على شعبيته[٥] ، وكان ظهور المرأة بدون قناع بين الجمهور دليل على

١- ابن الحاج : المدخل : ج١، ص ٨٤٥ .

٢- ماير : الملابس المملوكية : ص ١٣٠.

٣- أحمد عبد الرازق : المرأة في مصر المملوكية ، ص ١٩٥.

٤- ماير : المرجع السابق: ص١٣٠ .

٥- أبو المحاسن بن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٩ ، ص ١٦٨ .

فقرها الشديد [١]، وكان من المحتمل أن تظهر الراقصات، والمغنيات كاشفات الوجوه، أما صور النساء السافرات التي توجد على التحف المعدنية فهي تصورهن وهن داخل دورهن [٢] .

١- ماير : المرجع نفسه،ص١٣٠ ، في شهر ربيع الثاني سنة ٦٩٩ هـ عندما اقترب غازان من دمشق تركت النساء منازلهن ، وخرجن سافرات الوجوه ؛ وفى حادثة أخرى عندما أثيرت الشبهات حول الأميرين حاج وحسين من أسرة قلاوون على انهما ثائران ضد الملك الكامل شعبان، الذي استدعى شقيقهما من اجل ذلك ، فأسرعت أمهاتهن إلى نجدتهن وظهرت سافرات الوجوه (ماير : المرجع نفسه،الحاشية ، ص١٣٠)؛ في سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م أثناء الزلزال الذي حدث خرجت النساء من منازلهن وهن سافرات الوجوه (ابن اياس . بدائع الزهور ج٣ ، ص ١٧٣)

٢- ماير : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

٤- الحلي :

كانت الحلي في مقدمة أدوات التجميل التي لا غنى عنها بالنسبة للمرأة في العصر المملوكي ، بل في كل العصور ، ومن أهم الحلي التي استخدمتها نساء عامة الشعب في تلك الفترة الدلايات التي تتألف من سلاسل فضية ، تعلق على الأصداغ وترخى إلى الصدر وفى آخرها جلاجل من فضة وبرق[١] ، وقد عرفت النساء في ذلك العصر القلائد المصنوعة من العنبر، والتي سميت " بالعنبرية " ، و قيل انه لا يوجد " بأرض مصر امرأة وإن سفلت إلا ولها قلادة عنبر " [٢] ، وقد كانت كل امرأة في تلك الفترة عندها قلادة سواء كانت من الطبقات العليا أو عامة الشعب ، ومن حلى النساء في خلال ذلك العصر أيضا العقود الذهبية ، التي يوجد أحدها في متحف الفن الإسلامي ، وتتكون من عشرين سملكا " شفتشى " ، ذو زخارف مخرمة تشبه الدنتك ، شكلها بيضاوى وبأعلى منها لؤلؤة صغيرة الحجم ويتدلى من العقد الثلاثى دلايات مستديرة ، بوسط كل منها حجر مستدير الوسطى منها مثبته في شكل هلال صغير مطعم بالمينا ، ويعلوه كتابة دعائية نصها" عز دائم "[٣] هذا إلى جانب الأطواق المرصعة والأطواق الفضية التي كانت شائعة لدى نساء الفلاحين والتي تعرف باسم " الضامنة "[٤].

كذلك كان من أهم . الحلي التي عرفتها النساء أيضا الغوايش الزجاجية الملونة ، والتي شاعت بين عامة النساء والتى وصلتنا من خلال الحفائر الأثرية ، وكانت بمثابة أساور نساء عامة الشعب [٥] ، وكانت تحلى أصابع النساء بالخواتم من الذهب والفضة المحلاة بالفصوص الثمينة ، و" كان إقبال النساء على لبس الخواتم لدرجة أن المحتسب كان يحلف باعة الخواتيم أن يصدقوا فى أوزان أثمانها للزبائن ، وقد نادي

١- الشربيني : هز القحوف ،ص ٩٠

٢- المقريزى : الخطط ،ج٢، ص ١٠٢؛ أبو المحاسن بن تغري بردى : النجوم الزاهرة،ج ٩، ص ١٣٩

٣- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٧)

٤- الشربيني : هز القحوف ، ج ٢ ،ص ١١٥ .

٥- Ahmed Abd Raziq , La femme ,P.228

اغلب الفقهاء بتحريم ثقب الأذن والأنف ، وقد اعتادت بعض النساء ثقبها لتزيينها بالأحجار الثمينة وعدد هذه الثقوب التى تتراوح ما بين ثمانية وعشرة ثقوب"[١].

اعتادت النساء أن يتخذن الخلاخيل زينة لأرجلهن فى ذلك العصر ، ويروى لنا ابن الحاج أن نساء العصر المملوكى كانوا يلبسن الخلاخيل فوق السروال ، حتى تظهر للعيان " وقد تضرب برجلها فى الغالب فيسمع له حس[٢] " كذلك اتخذت نساء الفلاحين خلاخيل لها من النحاس أو الفضة الحديد المطلي بالقصدير[٣] .

اهتمت الدولة ببيع الحلى وأقامت له أسواقا خاصة، مثل سوق القصيات الذي كتب المقريزى عنه " أنه كان معد لجلوس اناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك"[٤].

والحقيقة أنه من الخطأ أن نقول أن تلك الأدوات سواء كانت ملابس أو غيرها كانت بسيطة ، أو زهيدة التكاليف فقد بين لنا المقريزى الذي كان يعمل محتسبا ويتحمل مسئولية مراعاة آداب السلوك الخاصة بالنساء القاهريات ، وكانت له خبرة واسعة فى تلك الأمور أنه " كان مألوفا في عصر المماليك الجراكسة أن ترتدى كل امرأة من الطبقات الدنيا الغراء

١- احمد عبد الرازق : المرأة في مصر المملوكية ، ص ١٩٦ .

٢- ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ،ص ١٦٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٩ ،ص ١٧٦

٣- الشربيني : هز القحوف ،ص ٦٨ .

٤- المقريزى : الخط ج١ ، ص ٩٧ .

المستورد" [1] ، بل الجنود والكتاب وعامة الشعب كانوا يلبسون القراء أيضا ، وعندما حل بالبلاد قحط عام فى المعادن الثمينة هجرت النساء الملابس المنسوجة بخيوط الذهب والفضة ، فقد كانت النساء في ذلك الوقت ، " يرتدون الطواقى المزينة بزخارف فخمة من الذهب والفضة"[2] .

الفصل الثالث

1- المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٣.
2- المقريزى : نفسه ، ص ١٠٤.

المنشآت الدينية

- ضريح الصالح نجم الدين أيوب
- ضريح شجر الدر
- ضريح فاطمة خاتون
- جامع الست مسكه
- خانقاه طغاي (أم أنوك)
- مسجد المرأة فاطمة شقر

ضريح الصالح نجم الدين أيوب[1]

(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

الموقع

يقع الضريح في الركن الشمالي للمدرسة الصالحية (وكان مكانها قاعة شيخ المالكية)[2] بشارع المعز لدين الله في مواجهة مجموعة المنصور قلاوون .

المنشئ

أنشأت هذا الضريح الملكة" شجر الدر" لزوجها الصالح نجم الدين أيوب[3] الذي توفى في ١٥ شعبان ٦٤٧ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٢٤٩ م، أثناء المعركة بين المسلمين والصليبيين بالمنصورة ، وقد أخفت خبر وفاته حتى لا يؤثر على سير المعركة، ثم نقلت جثمانه إلى القاهرة، ودفن بإحدى قاعات الروضة في رجب ٦٤٨ هـ / سبتمبر ١٢٥٠ م، حيث تم بناء الضريح ونقلت الجثمان إليه [4] .

١- انظر الملاحق ، شكل رقم (١) .

٢- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، العصرين الفاطمي والأيوبي ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص ١٧٠؛ **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، مكتبة زهراء الشرق ، ص ٨٥ ؛ **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ : دار المعارف مصر ، ص ٤١ ؛ تقع مدرسة ومدفن الملك الصالح نجم الدين أيوب على شارع المعز لدين الله الفاطمي عن يمين القاصد لأبواب القاهرة الشمالية ، وقد أنشأ الصالح المدرسة عام ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م كأول مدرسة لتدريس المذاهب السنية الأربعة في مصر ، انظر **صالح لمعي:** أسس التصميم الحضري ، ص ٦٨.

٣- **المقريزي** : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ انظر أيضا **آمال العمري** : المرجع السابق، ص١٧٠ ؛ **أحمد فكري** : المرجع السابق، ص٤١؛

انظر **K.A.C Creswell** , C.B . E , The Muslim Architecture of Egypt , oxford . At the clarendon , press , mcmlix ,1932-1940, p.100.

٤- **Creswell: OP.cit,P.101**

انظر أيضا آمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ؛ حسن نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٦؛ **أحمد فكري : المرجع السابق ، ص ٤١** .

الوصف المعماري

يشغل الضريح مساحة مربعة [1]، طول كل ضلع من أضلاعه الداخلية احد عشر مترا[2]، وله واجهة واحدة رئيسية وهى الشمالية الغربية المطلة على شارع المعز لدين الله ، ويبرز الضريح عن سمت واجهة المدرسة الصالحية ، للضريح مدخل واحد يقع بالجهة الشمالية ويشرف على شارع المعز (منطقة النحاسين[3]) .

الوجهة الشمالية الغربية [4]

قسمت الواجهة إلى ثلاثة أقسام بواسطة حنايا رأسية معقودة بعقد منكسر [5] مشع من مركزه [6]، وحددت عقودها بإطار حجري بارز[7]، وأسفل كل حنية[8] شباك مستطيل عليه مصبعات حديدية ، وأكثرها اتساعا الشباك الأوسط، ويعلو كل

١- Creswell: OP.cit,P.101 ؛ انظر أيضا آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٠ ؛ حسن نويصر : العمارة الإسلامية، ص ٨٦ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٤١ .

٢- أحمد فكري : المرجع نفسه ، ص ٤١ ، أسس التصميم الحضري ، ص ٦٨

٣- آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٠ ؛ أحمد فكري : المرجع نفسه ، ص ٤١ .

٤- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٨) .

٥- العقد المنكسر : يتألف هذا العقد من قوسين متقاطعين من قمته ، يقع مركزا دائرتهما في دخلة علي مستوي قاعدته ، وقد شاع استعماله في العمارة الفاطمية والأيوبية في مصر (حسني نويصر : العمارة في مصر في عصري الأيوبيين والمماليك ، زهراء الشرق ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٤٦٧ ؛عاصم رزق : معجم المصطلحات في العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٠م ، ط١ ، ص ٢٠٢.

٦- آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧١ ؛ حسن نويصر : المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

٧- آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧١ .

٨- الحنية ارتبطت هذه الكلمة بلفظ " محراب " وهو الذي يقف أمامه الامام لإمامة الصلاة ، وغالبا ما يتكون المحراب من تجويف نصف دائري ، وأطلق الباحثين الغربيين علي هذا التجويف " حنية " نسبة إلي شكل الحنية الذي ظهر في الكنائس قبل الإسلام (عاصم رزق : معجم المصطلحات في العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة المدبولي ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٦٢- ٢٦٣)

شباك عقد من صنجات[1] معشقة بالزخارف النباتية ، وبالناحية الغربية للضريح شطف مقرنص[2] من حافتين مزخرفتين بالزخارف النباتية والكتابات الكوفية[3]، نصها :" توكلت على الله ، حسبي الله ونعم الوكيل[4] " ويزين الواجهة كورنيش حجري بارز يرتكز على صف من الشرفات المسننة[5]

منطقة انتقال الضريح من الخارج

وهى من الخارج على هيئة مثمن[6]، مرتد إلى الداخل على قاعدة مربعة، ويتوسط أربعة أضلاع منه شبابيك ثلاثية[7]،اثنان سفليان وواحد علوي ، وفتحة

---

١ - الصنجة : المزررة أو المعشقة عبارة عن قطع حجرية أو رخامية يتداخل بعضها في بعض بواسطة التعشيق أو التزرير في أشكال عديدة منها المقصوصة علي هيئة زهرة الزنبق المعشقة بالتعارض ، والمشتملة علي زهرتين أحداهما قائمة منتصبة والأخرى متدلية مقلوبة ، وعرفت الصنج في العمارة الإسلامية من خلال استخدامها بالحجارة كمناطق انتقال لتحويل مربعات القباب إلي مثمن (عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ١٧١)

٢- المقرنص : هو عنصر إنشائي وزخرفي يعمل عادة من أحجار تنحت وتجمع في أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف حليات معمارية تتكون من صواعد وهوابط تشبه خلايا النحل ، تتدلي في طبقات مصفوفة فوق بعضها البعض ،ومن ثم فإن كل صف من هذه الصفوف يسمي " حطة " وجمعها " حطات . (عاصم رزق : المرجع السابق ، ص ٢٩٣- ٢٩٥)

٣ - Creswell : op , Cit , P. 101 ؛ انظر أيضا آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧١ ؛حسن نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٦ .

٤- آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧١.

٥- آمال العمري : المرجع السابق، ص ١٧١ ؛ حسن نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٦.

٦- حسن نويصر : المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

٧- آمال العمري : المرجع السابق، ص ١٧١ ؛ حسن نويصر : المرجع السابق ، ص ٨٦.

الشباك ذات عقد منكسر وأخذت نواحي منطقة الانتقال شكل درج واحد[1] ، ويلي تلك العنطقة قبة مبنية بالأجر المكسى بالملاط ، وهى ذات قطاع مدبب[2] من النوع ذي الأربع مراكز [3].

المدخل :

يقع المدخل بالجهة الشمالية من الواجهة الشمالية الغربية للضريح ، وهو عبارة عن دخلة مستطيلة يتوسطها فتحة باب ، ولها عتب سفلى من الجرانيت منزوع من أحد المعابد المصرية القديمة ، ويتوج فتحة الباب عتب من صنجات معشقة يعلوه لوحة تأسيسه من كتابات بخط النسخ الأيوبي[4] نصها :

" ﴿بسم الله الرحمن الرحيم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين﴾[5] هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الصالح السيد العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر نجم الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد ملوك المجاهدين وارث الملك عن آبائه الأكرمين أبى الفتح أيوب بن السلطان المالك الكامل ناصر الدين أبى المعالي محمد بن أبى بكر أيوب توفى إلى رحمه الله – تعالى، وهو بمنزلة المنصورة تجاه الفرنجة المخذولين مصافحا للصفاح بنحره مواجها للكفاح بوجهه وصدره أملا ثواب الله بمرابطته واجتهاده عاملا بقوله تعالى

١- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية، ص ١٧١ .

٢- Creswell : op , Cit , P. 101.؛

انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٢ ؛ حسن نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٦ .

٣- حسن نويصر : المرجع نفسه ؛ أسس التصميم الحضري ، ص ٦٩ .

٤- Creswell : op ,cit ,P, 101. ؛

انظر أيضا آمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ ؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

٥- القرآن الكريم : سورة العنكبوت ، آية (٦٩) .

" وجاهدوا في الله حق جهاده " أرقده الله الجنة العالية وأورده أنهارها الجارية وذلك في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة(١٢٤٩م)" [1].

كيفية الوصول إلى داخل القبة :

تؤدى فتحة الباب إلى دركاه [2] مستطيلة مغطاة بقبو[3] متقاطع، من الأجر المكسى بطبقة من الملاط [4]، وإلى الشمال الشرقي لهذه الدركاه فتحة باب معقودة بعقد مدبب يؤدى إلى حجرة[5] بها سلم صاعد ويوجد بصدر الدركاه فتحة باب معقودة بعقد حدوة فرس[6] يؤدى إلى ممر صغير مغطى بقبو طولي، يوصل إلى فناء

١- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٢ .

٢- الدركاة : كلمة فارسية تتكون من مقطعين أحداهما " در" بمعني باب ، والأخر " كا " بمعني محل ، فيكون التعريف هو باب المحل ، ويقصد بها الساحة الصغيرة التي تلي المدخل وتؤدي إلي الدهليز ، المفضي إلي داخل المبني ، وكان الغرض منها معماري إسلامي ليحجب ما يجري داخل البناء عن أنظار من بخارجة ، وشاعت الدركاة في العمارة المملوكية . (حسني نويصر : العمارة في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٦٦- ٦٧ ؛ عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ٤٦٥) .

٣- القبو : ويقصد به سقف مقوس أو معقود ذو أشكال مختلفة ، استخدم في تغطية أكثر الأجزاء البنائية في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية ، وخاصة الايونات والممرات ، والمداخل والدركاوات ، أما سقف القبو الخارجي غالبا ما يكون متساوي من الخارج (عاصم رزق : المرجع السابق ، ص ٢٣٢) .

٤- Creswell : op, cit , P. 101

انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٢ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٧ ؛ أسس التصميم الحضري ، ص ٦٩ .

٥- الحجرة كانت تعلو ردهه المدخل واندثرت في الماضي ،حسن نويصر : المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

٦- عقد حدوة الفرس : يتألف من قطاع دائري أكبر من نصف دائرة ؛ زكي حسن : فنون الإسلام ، ص ١٥٠ ؛ وقد ظهر هذا النوع من العقود في ثاني أثر معماري في العالم الإسلامي ، وهو المسجد الأموي بدمشق ، (فريد الشافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية : عصر الولاة ،١٩٧٠م ، ص ٢٠٣) .

مستطيل مكشوف سماوي ، يفتح عليه أربع فتحات أبواب معقودة بعقود حدوة فرس، تؤدى هذه الأبواب في جهة الجنوب الشرقي إلى ممر يوصل إلى المدرسة الصالحية ، وجهه الشمال الشرقي إلى المدرسة الظاهرية، وجهه الجنوب الغربي إلى داخل الضريح[1]، والشمال الغربي إلى دركاه الدخول[2] .

الضريح من الداخل :

الضريح عبارة عن مساحة مربعة، [3] ويتصدر الضلع الجنوبي الشرقي دخلة المحراب[4] يرتكز عقدها على عمودين من الرخام الأخضر الداكن، لها قواعد وتيجان[5] ناقوسية مزخرفة بزخارف نباتية محفورة [6]، يصدر هذه الدخلة حنية المحراب وهى نصف دائرية [7]، وزخرفت طاقية المحراب بالفسيفساء المذهبة[8] وبأقصى الزاوية الشرقية والجنوبية للضريح دولابان حائطيان يستخدمان لحفظ الكتب[9]، وفى الضلع الشمالي الغربي ثلاث فتحات شبابيك[10] مختلفة الأعماق، فهي

١- Creswell : op, cit , p . 102
؛ انظر أيضا آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٢ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٧ .

٢- آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٢.

٣- Creswell : op, cit ,p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري: المرجع نفسه ص١٧٢ ؛ حسني نويصر: العمارة الإسلامية ، ص ٨٧

٤- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٩) .

٥- Creswell : op ,cit , p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٢ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٧ ؛ أسس التصميم الحضري ، ص ٦٨ .

٦- آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٢ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٤٢ .

٧- Creswell : op ,cit ,p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٣ ؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

٨- Creswell : op ,cit ,p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ،ص١٧٣ ؛ أسس التصميم الحضري ، ص٦٨ .

٩- Creswell : op ,cit , p . 103
؛ انظر أيضا أمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٢ ؛ حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص ١٨٧ أسس التصميم الحضري ، ص ٦٨ .

١٠- Creswell : op ,cit , p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ،ص١٧٣؛ صالح لمعي : أسس التصميم الحضري ، ص ٦٨ .

أكثر عمقا في الجهة الشمالية ويقل العمق في الغرب [1] ، وفى الضلع الجنوبي شباكان أحدهما يشرف على الإيوان الشمالي الغربي للمدرسة الصالحية ، والآخر يشرف على الطريق الذي حجبة الآن سبيل خسرو باشا ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م [2] ويوازر الجدران الأربعة للضريح إفريز خشبي عليه كتابات من عصر متأخر، يعلوه إطار مثمن خشبي مخصص لحمل أدوات الإضاءة[3] .

منطقة الانتقال:

تتكون من ثلاثة صفوف من الحنايا ، تبدأ من القاعدة بثلاثة ثم ثلاثة فأربع وهما من الآجر المكسى بالملاط، ويتوسط كل ضلع من أضلاع منطقة الانتقال شباك من ست فتحات، سدت الثلاثة السفلية، أما العلوية جعلت من الجص المعشق بالزجاج الملون[4]، يليها مباشرة خوذة القبة، وقد فتح بقاعدتها ثمان فتحات شبابيك لتخفيف الثقل ، ولزيادة الإضاءة والتهوية داخل القبة[5].

١- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٣ .

٢- آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٣ ؛ صالح لمعي : أسس التصميم ، ص ٦٨ .

٣- Creswell : op ,cit ,p . 103
؛ انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٣ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٧ .

٤- Creswell : op ,cit ,p103
انظر أيضا آمال العمري : المرجع نفسه ص ١٧٣- ١٧٤ ؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

٥- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية، ص ١٧٤ .

التابوت :

يتوسط أرضية الضريح أسفل القبة، وهو على هيئة مستطيل (١)، مزخرف بنقوش كتابيه ويحيط بالتابوت مقصورة خشبية حديثة ، ونقش على التابوت النص الآتي " بسم الله الرحمن . هذا منبر الفقير إلى رحمة الله تعالى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب قدس الله روحه ونور ضريحه ، توفى رضى الله عنه في النصف من شهر شعبان ستة سبع وأربعين وسبعمائة للهجرة النبوية " (٢) .

١- Creswell : op ,cit ,p . 103

؛ انظر أيضا آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية، ص ١٧٤ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ٨٨.

٢- آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية، ص ١٧٤ .

ضريح شجر الدر (١)
(٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م)

الموقع :

يقع هذا الضريح بحي الخليفة بالقاهرة(٢) ، المتفرع من ميدان جامع أحمد بن طولون(٣)، وبواجهة مكان كل من مشهدي الجعفري وعاتكه ومشهد السيدة رقية(٤).

تاريخ القبة :

يذكر أبو المحاسن ابن تغري بردي أنه من خلال ما هو منقوش على عصابة بأسفل القبة التي بها قبر " **شجر الدر** " ، أن هذه القبة أنشأتها " **شجر الدر** " سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠م قبل وفاتها ، ولما توفيت سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م دفنت بها(٥)، وهناك آراء أخرى تقول أن النصوص التأسيسية للقبة لم تشتمل على تاريخ معين لبدء أو الانتهاء من البناء ، وأن النصوص الموجودة على الضريح لا تشتمل إلا على ألقاب " **شجر الدر** " وتتبعها " **بعصمة الدنيا والدين** " ، كما سميت " **شجر الدر** " بأم الملك خليل ، ومن المؤكد أن هذا النص قد كتب على الضريح بعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين ، وأن هذا النص قد كتب في الفترة ما بين " ٢٩ محرم سنة ٦٤٨هـ/الاثنين ٤ ابريل ١٢٥٠ م، وهو تاريخ وفاة توران شاه وبين ٢٩ ربيع الأخر/ (الأحد ٣ يوليو) " وهذا تاريخ تولى أول سلاطين مصر في العصر المملوكي(٦).

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٠) ، وشكل رقم (٢) .

٢- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ٣٧٨ ؛ آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٤ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١٠٦ .

٣ - آمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص ١٠٦

٤ - آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٤.

٥ - ابن تغري بردي : النجوم ، ج٦ ، ص ٣٧٨ .

٦ - أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٤٠ ؛ آمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧٥؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١١

ويذكر بعض الباحثين أن" **شجر الدر**" قد شيدت هذا الضريح لنفسها قبل هذا التاريخ، ولكنها لم تدون عليه اسمها إلا بعد أن تسلطنت[1]، ومما يؤكد ذلك ارتباط عناصر بناء القبة وزخرفتها بمثيلتها في العصر الأيوبي[2].

المنشئة

كانت" **شجر الدر**" جارية أرمينية عند آخر خلفاء الدولة العباسية، وهو المستعصم بالله (٦٤٠ – ٦٥٦ هـ/١٢٤٢ – ١٢٥٨م) فأهداها إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، الذي تزوجها وانجب منها ولدها خليل الذي توفي صغير السن ، وقد لعبت " **شجر الدور**" دورا هاما في إخفاء خبر وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب في ١٥ شعبان سنة ٦٤٧ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٢٤٩ م، حتى لا يؤثر ذلك على معنويات الجنود أثناء المعارك بين جيوش الصالح أيوب والصليبيين بالمنصورة[3].

تولت" **شجر الدر**" الحكم بعد توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، و هي أول سلاطين دولة المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ/١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، وتولت الحكم ثمانين يوما وتنازلت عن الحكم لعز الدين ايبك بعد أن تزوجته ، وقد قتلت" **شجر الدر**" في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م على يد جواري عز الدين أيبك[4].

١- **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٤٠ ؛ **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية، ص ١١١؛ **امال العمري** : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٥

٢ - **أحمد فكري** : المرجع السابق ، ص ٤٠.

٣ - **عبد الرحمن الرافعي ، سعيد عاشور** : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٣٨٣ - ٣٨٨ .

٤- **المقريزي** : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ؛ **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ؛ **ابن إياس** : بدائع الزهور ، ج ١١ ، ص ٢٩٥ ؛ انظر أيضا **خير الدين الزركلي** : الأعلام ، ج٣ ، ص ١٥٨ ؛ **أمال العمري ، علي أحمد الطايش** : العمارة في مصر الإسلامية في العصرين الفاطمي والأيوبي ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص ١٧٤- ١٧٥ ؛ **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك ، مكتبة زهراء الشرق ، ص١٠٦ - ١٠٧ .

الوصف المعماري

شيد الضريح على شكل مربع ، له ثلاثة مداخل محورية ، إحداهما في الواجهة الشمالية الغربية والآخران في الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الغربية ، والضلع الرابع يشمل حنية المحراب[1].

الواجهة الشمالية الغربية

يتوسطها فتحة باب مستطيل ويخرج من كل الناحيتين الشمالية والغربية طرف رباط[2].

الواجهة الجنوبية الغربية

لا تزال في حالتها الأصلية يتوسطها فتحه باب، يتوجها عقد منكسر مشع من مركزه مملوء بصفوف من المقرنصات ، على كل جانب من جانبي العقد دخله صغيرة مسطحه معقودة بعقد منكسر ، شغل كوشتي العقد[3] بشكل معين واحد بالناحية الجنوبية وثلاث مناطق دائرية (جامات) ، ويوجد بالطرف الغربي نصف دخله مستطيلة متوجه بنصف عقد منكسر مشع ملئ بداخله بصفين من المقرنصات ، ويوجد طرف رباط ممتد للخارج[4].

---

١ - **أمال العمري** : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٦- ١٧٧ ؛ **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية ، ص ١٠٨

٢ - **حسني نويصر** : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

٣- **كوشتي العقد** : وهي المساحة المثلثة التي تنحصر بين قوس العقد وبين المربع المحيط به من اعلي ، وبذلك يكون لكل عقد محاط بإطار مربع كوشتان مثلثتان علي الجانبين ، وتنقش عليها غالبا الزخارف النباتية (**حسني نويصر** : العمارة في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٧٠ ، **عاصم رزق** : معجم المصطلحات ، ص ٢٥٦) .

٤ - **أمال العمري** : المرجع نفسه، ص ١٧٧ ؛ **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية ، ص ١٠٨.

الواجهة الجنوبية الشرقية

يتوسطها بروز المحراب وهو علي شكل نصف دائرة يتوجه طاقية[1] مغشاه بالفسيفساء الزجاجية الملونة ، على هيئة شجر باللون الأخضر حددت تفاصيلها باللونين الأزرق والأبيض، ذلك على أرضية من الفسيفساء الذهبية[2]، ويحيط بحنية المحراب حشوة مستطيلة من الجص يتوسطها عقد منكسر ملئ بالمقرنصات ذات الدلايات، بينما زخارف الإطار الخارجي عبارة عن كتابات نسخية على أرضية من الزخارف النباتية وهذه الكتابات عبارة عن سورة الفتح[3].

الواجهة الشمالية الشرقية

يتوسطها فتحة باب ، وكان يلاصقها مسجد أزيل عام ١٩١٧م [4]، ولم يتبق منه إلا شريط كتابي مثبت بالجهة الشمالية من هذه الواجهة[5].

منطقة الانتقال والقبة من الخارج

تتكون من الخارج من شكل مثمن على قاعدة مربعة[6]، يتوسط كل واجهة من جهاته الأربع شبابيك ، وتتكون منطقة الانتقال من فتحة ثلاثية[7] يتوج منطقة الانتقال قبة [8]، لها قطاع على شكل عقد منكسر والقبة مبنية من الطوب الأجر[1] المكسي

---

١ - أمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٦- ١٧٧ ؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص ١٠٨. (الطاقية : هي المكان الذي يعلو المحراب ، وتكون على شكل نصف دائرة)

٢ - أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص ٤٧ .

٣ - حسني نويصر : المرجع السابق ، ص١٠٩- ١١٠.

٤- أمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص١٠٨.

٥ - أمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٨.

٦ - حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص١٠٩ .

٧ - أمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٨ ؛ حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص١٠٨.

٨ - حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص١٠٨.

٩ - أمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٨.

بطبقة من الملاط، وتحتوي في قاعدتها على ثمانية شبابيك معقودة مخصصة للإضاءة، ومن المحتمل أنها كانت من الجص المعشق بالزجاج الملون[1] .

القبة من الداخل

عبارة عن شكل مربع تقريبا [2]، يصدر الضلع الجنوبي الشرقي دخله المحراب، وهي معقودة بعقد منكسر ، بداخله ثلاثة صفوف من المقرنصات، تمتد من الداخل إلى الخارج ، ودخله المحراب نصف دائرية عميقة ممتدة خالية من أي زخارف ،لايتوجهها طاقية مغشية بالفسيفساء الذهبية، وتشتمل زخارف الطاقية على إطار يحيط بالطاقية على شكل مضفر ، وشريط متماوج ، ووسط الطاقية زخرفت بشجر ذات فروع مغشية باللون الأخضر ، وحددت تفاصيلها بالألوان الأزرق والأبيض والأحمر [3]، ويتوسط كل ضلع من أضلاع الضريح فوق مستوى الأبواب حشوه مستطيلة، يتوسطها حنية ضحلة متوجه بعقد منكسر مملوء بالمقرنصات ، وكوشات عقود هذه الحشوات مملوءة بالزخارف النباتية، ويشتمل على كتابات نسخية على أرضية نباتية[4] ، وشغلت أيضا المثلثات المحصورة بين قمة كل عقد والإطار الزخرفي " كوشات العقود " بزخارف عربية مورقة (أرابيسك)[5] ،

---

١ - حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص١٠٩.

٢- أمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ، ص ١٧٨- ١٧٩؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص١٠٩.

٣- أمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٨ .

٤- أمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٧٩ ؛ حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص١٠٩.

٥- الأرابيسك : أكثر الزخارف النباتية استعمالا في الفنون الإسلامية وأطلق على نوع معين من الزخارف ابتدعها الفنان المسلم ، أنظر عبد العزيز مرزوق : الإسلام والفنون الجميلة ص ١٢.؛ ويتكون من زخارف نباتية مكونة من فروع نباتية وجذوع منتشية ومتشابكة ومتتابعة وعناصر زخرفية صورت عن الطبيعة إلى درجة أبعدها كثيراً عن أصولها وأصبح من العسير معرفتها ؛ انظر سعاد ماهر : الخزف التركي ، ص ١٠٨ .
ويقول هرتز فلد أن الأرابيسك يتكون من العناصر الزخرفية من نباتية وهندسية وكتابية ، وأيضا من أشكال الكائنات الحية و لا تقتصر على الوجه والعناصر النباتية فقط .
(أنظر **Hertizfeld** : Arabesque , Encycl , of Islam, 1910 , pp,363 -367 .

ويحيط بجدران القبة الأربعة من الداخل وأسفل أرجل العقود إفريز خشبي [1]، والإفريز مقسم إلى ألواح خشبية مثبته في الجدران ويقول احد الباحثين المحدثين أن هذه الألواح نزعت من عناصر فاطمية معاصره للقصر الفاطمي الغربي الصغير ، فهي محدده من أعلى ومن أسفل بإطار رفيع بفرع نباتي متموج ، يحصروا بينهما شريط عريض مقسم إلى مناطق هندسية ملئت بكتابات كوفية كلها آيات قرآنية[2]، وفوق الإفريز الخشبي إفريز خشبي آخر ، عليه كتابات نسخية باللون الأبيض ذكر فيها اسم صاحبه الأثر وألقابها[3].

منطقة الانتقال

تتكون من صفين من الحنايا فوق بعضها البعض، ويتكون كل منها من ثلاث حنايا مبنية بالطوب الأجر مكسية بطبقة من الملاط، وهذه الحنايا مزخرفة من داخلها بزخارف نباتية وهندسية، وتحصر الحنايا أربعة شبابيك ثلاثية كانت في أصلها من الجص المعشق بالزجاج الملون إلا أن هذه الشبابيك قد تهدمت[4].

التابوت

يتوسط أرضية القبة تابوت خشبي حديث يحتوي في جوانبه على عشرة ألواح خشبية ضيقة أصلها من تابوت قديم يحتوي على كتابات نسخية[5]، وتشتمل على آيات قرآنية من سور مختلفة ما عدا ثلاثة ألواح فهي تحتوي على مواعظ [6].

---

١ - آمال العمري : العمارة في مصر الإسلامية ،ص ١٧٩؛ حسني نويصر : العمارة الإسلامية ، ص١٠٩

٢ - فريد الشافعي : مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر ، ص ٧٥ ـ ٧٧ .

٣ - آمال العمري : المرجع السابق ، ص ١٧٩؛ حسني نويصر : المرجع السابق ، ص١٠٩.

٤ - آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٨٠؛ حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص ١١٠.

٥ - آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٨٠؛ حسني نويصر : المرجع نفسه ، ص ١١٠ .

٦- آمال العمري : المرجع نفسه ، ص ١٨١ .

ضريح فاطمة خـاتـون[1]

(٦٨٢-٦٨٣هـ / ١٢٨٣م ـ١٢٨٤م)

الموقع

يقـع ضـريح " فاطمـة خـاتون" فـي شـارع الأشـرف بالقـرب مـن المدرسـة الأشرفية ، وذكره المقريزي في خططه باسم مدرسة وتربة أم الصالح ، وقال أنها بجوار المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسي[2] فيما بين القاهرة ومصر[3]، وقال ابن دقماق عنها التربة الخاتونية بنت قلاوون[4] وعرفها السخاوي بمدرسة الصالح[5] ، أما ابن تغري بردي فقال عنها أنها التربة المعروفة بالمنصور قلاوون بين مصر والقاهرة ، وكما وصفها بتربة الملك الصالح والتربة الخاتونية[6] ثم عرفت بعد ذلك باسم ضريح" فاطمة خاتون "[7].

المنشئ

أمر بتشييد الضريح الملك المنصور قلاوون على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، " في سنة اثنين وثمانين وستمائة(٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) برسم أم الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون ، فلما تم بناؤه نزل إليه الملك

١- انظر الملاحق شكل رقم (٣) .

٢ - المشهد النفيسي : نسبة إلي السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد ابن الحسن ابن علي ابن أبي طالب ، وكانت من أهل الصلاح والزهد ، وحجت ثلاثين مرة ، كانت تحفظ القرآن وتفسره ، ولدت بمكة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، ونشأت بالمدينة وقدمت إلي مصر عام ٢٠١ هـ / ٨١٦م ، وتوفيت ٢٠٨هـ / ٨٢٣م في مصر بمنزلها في الموضع الذي به قبرها الأن (المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

٣- المقريزي : الخطط المقريزية ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

٤- ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٨٩٣م ، ج٤، ص١٢٥.

٥ - السخاوي : تحفه الأحباب ، ص١٠١ .

٦ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

٧ - سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج٣ ، ص٤٤ ؛عادل شحاتة ربيع : شارع الخليفة وامتداده ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٩٨.

المنصور ومعه إبنه الصالح على وتصدق عند قبرها بمال كثير ورتب لها وقفا على قراء وفقهاء قبرها"[1]، وكان السلطان المنصور قلاوون قد تزوج أم الملك الصالح سنة ٦٦٣هـ /(١٢٦٤م)[2]وكانت وفاتها في اليوم ١٦ من شهر شوال سنة ٦٨٣ هـ/(٢٧ نوفمبر ١٢٨٤م) [3] عندما توفى الملك الصالح علاء الدين[4] علي ابن السلطان في الرابع من شعبان ٦٨٧هـ / (السادس من أغسطس ١٢٨٨م) دفن بها بجانب والدته فعرفت القبة بالقبة الصالحية[5].

١ - المقريزي : الخطط المقريزية ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ؛ انظر أيضا عادل شحاته ربيع : شارع الخليفة وامتداده ، ص ٢٩٨ .

٢ - عادل شحاته ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

٣ - المقريزي : الخطط المقريزية ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ؛ انظر أيضا عادل شحاته ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

٤ - الملك الصالح علاء الدين علي بن السلطان قلاوون ، وقد جعله والده السلطان قلاوون وليا للعهد وركب بشعار السلطنة في القاهرة في سبع وعشرين جماد الأخر سنة ٦٧٩ هـ ، وجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الصالح ، انظر المقريزي : السلوك ، ج١ ، ص ٦٨٣) .

٥ - عادل شحاته ربيع : المرجع نفسه ، ص ٢٩٨ .

الوصف المعماري للضريح

المدخل [1]

يقع المدخل في الجهة الشمالية للضريح [2]، ويتكون من مدخل مغطى بقبو اسطواني [3]، وكان يوجد على جانبي المدخل عمودان أندثر الآن، وعلى جانبي المدخل يوجد مصطبة وكان يعلوها زخارف قالبية[4] ، ويلي المدخل باب يعلوه عتب [5] يفتح على حنية يعلوها قبو من الطوب[6] الأجر، وتؤدي هذه الحنية إلى مساحة خالية أخلتها الحفائر الحديثة وعلى يمين هذه الحنية يوجد ممر ثاني يؤدي إلى دهليز على يمين المدخل[7]، يدخل إليها بفتحه مرتفعه جدا بين جانبيها بأحجار الدقشوم[8]، ويضاء عن طريق صفين من الشبابيك المستطيلة الضيقة[9]، إحداهما في الضلع

١ - انظر الملاحق : لوحة رقم (١٠)

٢ - سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص٤٨ .

٣ - Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, p. 181

٤ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨ .

٥ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨ ؛ عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده ، ص٣٠١ ؛ ويذكر كريزول أن هذا العتب وجزء من الممر الأوسط أزيل وبسبب ارتفاع مستوي الردم للحفاظ علي المدخل . انظر Creswell , Op, Cit , P.181

٦ - Creswell , Op, Cit , P.181
انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص٣٠١

٧ - عادل شحاته : المرجع نفسه ، ص٣٠١.

٨ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨ .

٩ - Creswell , Op, Cit , P.181
انظر سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص٤٨؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص٣٠١.

الشمالي بجوار المدخل واثنان في الضلع الغربي[1]، ويعلوا الصف الأول من النوافذ عتب يستخدم كقاعدة لنوافذ الصف الثاني التي تصغر الصف الأول[2]، فكان الدهليز مغطى بقبو زال الآن ، لم يبق منه إلا جزء عند نهاية الدهليز[3]، وهو الآن مفتوح (سماوي)[4] .

السقيفة

تتقدم الضريح سقيفة ، وهي تشبه سقيفة السيدة رقية وشجر الدر والأشرف خليل ، وبها ثلاث فتحات من الداخل (K-L-M) في الضلع الشمالي وفتحتان في الضلع الغربي (N-O) ، ويعلو هذه الفتحات صف أخر من الفتحات ، ويعلو الفتحات عتب من الخارج ومن الداخل عتب يعلوه عقد عاتق مبنى من الحجر والأجر[5]، ويحيط بالسقيفة من الخارج إطار مستطيل داخلي على شكل حنية بعضها يعلوه زخارف قالبية (Gaveet) أو صفات من الدلابات[6]، وتبدو شبابيك السقيفة والدهليز الكبير من الخارج مفتوحة في دخلات ضحلة ، بعض هذه الدخلات تنتهي بزخارف حجرية على هيئة قعبرات غائرة معروفة (Gavette moulding) التي تمتد من أعلى لأسفل على الجانبين[7]، السقيفة غير مسقوفة الآن ، وإذا كان يغطيها سقف خشبي تحت مستوى نوافذ الضريح مباشرة، ويعتقد أن السقف الخشبي كان يعلو إفريزا خشبيا، ما تزال المسامير التي ثبت بها على الحجر ظاهرة .[8]

١- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص٤٨.

٢ - Creswell , Op, Cit , P, 181-182

٣ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨.

٤- Creswell, Op, Cit , P 182؛ انظر أيضا عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده ، ص٣٠١ .

٥ - Creswell, Op, Cit , P 182

انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص٤٤٨؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص٣٠١ .

٦- سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨.

٧- Creswell, Op, Cit , P 182؛انظر أيضا عادل شحاته : المرجع نفسه، ص ٣٠٢

٨ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٨.

وبسبب وجود صف ثاني من الخوابير الحائطية المطمورة بين عتب الشبابيك السفلية، وجلسات الشبابيك التي تعلوها استنتج كريزول وجود إفريز ثاني من المحتمل أنه كان مزين بكتابات تمتد على الجدران الداخلية، مشابهة لما هو موجود في ضريح ومدرسة قلاوون[1].

الضريح [2]

هو عبارة عن كتلة مكعبة مبنية من الطوب الأجر[3]، تقوم على مداميك من الحجر [4] ، ويتوسط كل ضلع من أضلاع الضريح عدا حائط القبلة باب [5]، ويكتنف الباب الذي يطل على السقيفة حنيتان كان على جانبي كل منهما عمودان يحملان عقدا ذا زاوية ويعلو الأبواب عرق خشبي فوقه عقد عاتق من الآجر[6] .

يدخل إلى الضريح عن طريق السقيفة من الباب الرئيسي الموجود بمنتصف الجدار الشمالي الغربي للضريح .[7]

توجد في كل ضلع من أضلاع الضريح نافذة كبيرة، مكونة من فتحتين مستطيلتين يعلوها عقد على شكل حدوة فرس ، ويعلو الفتحتين فتحة مستديرة ، وجميع هذه الفتحات الثلاث محصورة داخل إطار معقود حدد بزخارف قالبية (Cavette) ، وتعتبر هذه الزخارف في النوافذ الأولى من نوعها في العمارة

---

١ - انظر Creswell, Op, Cit , P 182

٢- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١١)

٣ - Creswell, Op, Cit , P 182

انظر أيضا سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٤٩؛ عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده ، ص ٣٠٢ .

٤- Creswell, Op, Cit , P 182 ؛ انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٩.

٥- Creswell, Op, Cit , P 182 ؛ انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص٤٩.

٦ سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٤٩.

٧- عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .

المصرية ، وهذه النوافذ خالية من الزخارف الآن ما عدا النافذة التي في الضلع الشمالي الشرقي ما تزال تحتفظ ببعض الزخارف الجصية ، وكتابة كوفية تشبه إلى حد كبير زخارف نوافذ قلاوون بالنحاسين[1].

وقد زخرفت جدران الضريح من الخارج بكورنيش حجري يحمل كتابة اندثر معظمها ويعلو ذلك شرفات ظاهرة في حائط القبلة[2].

الضريح من الداخل

يغطى الضريح من الداخل طبقة من الجص لا يوجد بها زخارف ، أما دخلة المحراب فهي خالية من أي زخارف سوى بعض زخارف حديثة هزيلة[3]، وقد طلى المحراب بالجير[4]، ويقع الباب الذي يتوسط كل ضلع من أضلاعه ما عدا حائط القبلة في حنية على مستويين [5]، وكل من مستويي الحنية يوجد على جانبية عمودان

١- انظر أيضا سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص٤٩؛ عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده ، ص٣٠٢ .
Creswell, Op, Cit , P 182

يذكر الدكتور فريد الشافعي أن هذه الشبابيك التي عرفها بالتوائم وهي من الظواهر ذات الأصل الغربي الإسلامي ، وقد ظهرت هناك في العصور الأولى للإسلام في طليطلة في جامع مردم (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) وفي إشبيلية في برج الخيرالدا (٥٩٣ هـ / ١١٩٧م) وقد ظهرت في مصر في مدفن فاطمة خاتون (٦٨٢- ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣-١٢٨٤م) ثم ظهرت في مدرسة ومدفن قلاوون ومئذنته ولكن زيد عليها طاقة مستديرة تعلو كل شباكين في واجهة المدفن والمدرسة ، (فريد شافعي : مئذنة مسجد بن قلاوون ، رأي في تكوينها المعماري ، مجلة كلية الآداب ، م ١٤ ج١ ، ١٩٥٢م ، ص ١٦٧).

٢- سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٩.

٣- Creswell, Op, Cit, P 183
انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٩؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٣.

٤- سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

٥ - Creswell, Op, Cit, P 183 ؛ انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٤٩.

مدمجان، ويبدأ منهما الإطار المعقود الذي يرتفع فيحيط بالنوافذ التي تعلو الأبواب وهذا الإطار الذي يحيط بالأبواب، والنوافذ يحمل ضلعا من أضلاع المثمن الذي تعلوه قبة الضريح[1]، وفي الأركان الأربع دخلات أو حشوات خارجية تتكون من مقرنصات منفردة ، وهذه المقرنصات موضوعه في حطتين[2]، محمولة على كابولي[3] داخل حنية ركنية معقودة كبيرة، وهي وتدعم القبة رقبة مثمن ، من سطح الأرض، وفي كل جانب من جوانب الرقبة نافذة معقودة بعقد منكسر يعلوها نافذة أخرى مستديرة ، ومن داخل الرقبة يوجد في كل ركن من أركان المثمن حنية ضحلة تفصل بين كل نافذتين[4] ، أما من الخارج فتجد نوافذ المثمن محاطة بإطار معقود على جانبيه عمودان[5] .

القبة :

يعلو الرقبة المثمنة قبة لا وجود لها الآن ، ولكن يمكن استنتاج شكلها من قبة الأشرف خليل التي تشبه الضريح إلى حد كبير [6].

يوجد على الواجهة الشمالية الشرقية للضريح، وعلى بعد حوالي نصف متر من الركن الشمالي يوجد بداية رجل عقد تزخرف بزخارف جميلة محفورة في

١- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٤٩ .

٢ - سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٥٠ ، **المقرنصات موضوعة في ثلاثة صفوف من الدلايات**

٣- الكابولي هو بروز من خشب أو حجر ، وغالبا من اجر أو حديد أحيانا ، يبني خارج سمت الوجهة ليكون بمثابة دعامة ، أو حزاما لأرضية البناء الذي يعلوه ، وكثيرا ما كانت هذه الكوابيل على هيئة رأس كبش ، واستخدمت الكوابيل لحمل بروزات الأبنية الأثرية مثل الشرفات والوجهات الخارجية (حسني نويصر : العمارة في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٧٣ ؛ عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ٢٤٨) .

٤ - سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٥٠؛ عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده، ص ٣٠٣

٥- سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٥٠.

٦- Creswell , Op, CIT , P 183
انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٥٠؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٣.

الجص، وهذا يدل على وجود امتداد لهذه القبة إلى المدرسة التي كانت واقعة في الجهة الشمالية الشرقية .

أما السقف الحالي للقبة فهو من عمل لجنة حفظ الآثار في سنة ١٨٩٥م[١].

المنـــارة

عبارة عن بدن طويل مسقطة مستطيل الشكل من الحجر ، ويستدق كلما ارتفعنا من قاعدة المدخل الرئيسي ، وقد زخرفت نهايتة بزخارف قالبية بيضاوية الشكل يعلوه شريط مسطح كان المفروض أن تنقش علية كتابات[٢] .

أما بدن المئذنة فهو مسمط ، حيث يبدأ سلم عدد درجاته ست قالبات حول قلب مربع ينتهي عند سطح الفانوس ، ويغطى السلم سطح حجري مكون من ألواح ترتكز على جانبي الحائط ،فيما عدا القلبة الثانية والخامسة ترتكزان على كوابيل تشبه الموجودة في قلعة صلاح الدين ، والسلم ضعيف الإضاءة يدخل إليه النور من نافذة صغيرة يعلوها عقد من قطعة واحدة ، في الضلع الشمال الغربي فقط في مستوى القلبة الثالثة[٣]، يحيط بها عقد نصف دائري محفور في كتلة حجرية واحدة، وهذا على حد قول كريزول من التأثيرات السورية التي شاعت في التحصينات الفاطمية[٤].

أما الجزء العلوي من المئذنة (الفانوس) نجد في كل ضلع فتحة على جانبيها عمودان مندمجان تيجانهما على شكل زهرة اللوتس ، ويبدو أن هذه الفتحات كان يقسم كلا منها عمود حتى يكون الشكل مماثل لنوافذ الضريح ، ويتكون من ثلاث

١- Creswell , Op, CIT , P 183 ؛ انظر أيضا عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده، ص ٣٠٣

٢- سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص٥٠؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٣

٣- Creswell , Op, Cit , P 183 ;
انظر أيضا سعاد ماهر: المرجع السابق ، ص٥٠؛ عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

٤- Creswell, Op, Cit , P 183

فتحات ، ويحيط بهذه النوافذ إطار معقود [١] ويغطى الطابق الثاني (الفانوس) قبة ضحلة من الأجر ترتكز على مثلثات مقعرة كروية[٢]، وشق الجانب الجنوبي الغربي للقبة فتحة مستطيلة كان من المرجح أن تستعمل بواسطة سلم للوصول إلى الطابق العلوي الذي يعلو الطابق الثاني ، ومن المرجح أن يعلو هذا الطابق الأخير مبخرة[٣].

ويمثل الجزء المربع الباقي من منذنة **فاطمة خاتون** حلقة من حلقات التطور في المآذن في العصر المملوكي، فتسبقها في التطور الزمني منذنة مشهد الجيوشي (٤٧٢هـ /١٠٨٥م) ، ثم منذنة سيدنا الحسين (٦٣٤ هـ /١٢٣٧م) وخاصة الجزء المربع منها الذي يرجع إلى العصر الأيوبي ، وتليها في التطور منذنة المدرسة الصالحية (٦٤١هـ /١٢٣٤م) .[٤]

أما المدرسة التي كانت ملحقة بها تربة أم الصالح فإنها كانت على درجة عظيمة من قوة البناء، مقارنة بحجم وضخامة القبة الضريحيه بها ، بناء على مقارنة بين عمارة المدرسة المنصورية قلاوون بالنحاسين ، وهذه المدرسة حيث أن السنجر الشجاعي هو الذي شيد المدرستين ، وأيضا من متابعة سرد أسماء الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة منذ تأسيسها مثل ابن السكري ،

١- Creswell, Op, Cit , P 183
انظر أيضا سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص ٥٠ ـ ٥١؛ عادل شحاته : شارع الخليفة وامتداده، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

٢- سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٥١ .

٣- Creswell, Op, Cit , P 183 ؛ انظر أيضا سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٥١.

٤- عادل شحاته : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

والحافظ الذهبي[1]، وقد ذكر ابن دقماق أن نظر التربة كان لمن تولي زماما للأدر السلطانية[2] وكان ملحقا بالتربة الخاتونية وملاصقة لها من الغرب تكية القادرية التي أزيلت سنة ١٩٠٤م[3].

١- ولد الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي الدمشقي ، في ٣ ربيع الأخر ٦٧٣ هـ ، رحل إلى القاهرة ، مهر في فن الحديث ، وجمع في مجاميع كثيرة ، جمع تاريخ الإسلام وله مختصرات كثيرة وله طبقات الحفاظ وطبقات القراء وأختصر السنين الكبيرة للبيهقي ، ولي تدريس الحديث بتربة أم الصالح وفي المدرسة الملحقة بالتربة ، توفي في ١٣ ذي القعدة ٧٤٨ هـ . (انظر بن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧) .

٢- ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .

٣- كراسات لجنة حفظ الآثار ، كراسة رقم ٢١ ، ص ٨٥ .

جامع الست مسكه[1]
(٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م)

الموقع

يقع هذا الجامع بالقرب من قنطرة أق سنقر التي كانت على الخليج الكبير ومكان هذه القنطرة الأن شارع بورسعيد[2](الخليج سابقا)

المنشئ

تولت **"الست مسكه"** مربية الناصر محمد بن قلاوون رعايته وتربيته منذ أن كان طفلا[3]

تزوج السلطان المنصور قلاوون بعد تولية الحكم بسنين من **" اشلون خوند"**[4] وهي أميرة مغولية كانت تعيش مع والدها ، وقدما إلى مصر هربا من غضب سلطان المغول عليهم ، وعند مجيئهم لمصر كان أبوها يصطحب أسرته جميعا ومن بينها فتاة فائقة الجمال تقرب في السن من ابنته " **اشلون** " وتدعى جلشانة وعرفت فيما بعد باسم **الست مسكه** . وقد كان **للست مسكه** مكانة كبيرة عند الناصر محمد فكانت العون له في الشدائد التي مرت به ، وقد

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٢) ، شكل رقم (٤) .

٢- **المقريزي** : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ؛ **انظر أيضا سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٢٢٧ .

٣- **المقريزي** : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٣٢٦ ؛ **انظر أيضا سعاد ماهر** . مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج٣ ، ص ٣٢٢ ؛ **شفيقة قرني سيد أبو النصر** : خطط القاهرة في ظاهرها الجنوبي الغربي (الناصرية – الحنفي – عابدين) منذ بداية العصر الإسلامي وحتى نهاية العصر العثماني –دراسة أثرية حضارية – مخطوط رسالة دكتوراه . ١٩٩٨م/١٤١٨هـ ، ص ٢٤١ .

٤- **ابن إياس** :بدائع الزهور ،ج١ ، ص ٣٥١ ؛ **انظر أيضا سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٣٢٢(وقد تزوج السلطان خوند اشلون بنت الأمير نكاي ، وأقام الفرح سبعة أيام في القلعة ليلا ونهارا ، حتى قيل أن السلطان صرف على ذلك الفرح عشرة ألاف دينار ، انظر ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ، ٣٥١).

أظهرت حزما وشدة في تربية الناصر محمد واستطاعت بفضل ذكائها وحنكتها أن تأخذ له البيعة من الأمراء وأصبح سلطانا على مصر ، وظهر حبها له في المرات الثلاث التي خلع فيها وما فعلته لإعادته للعرش ، وقد أوكل إليها الناصر محمد أمور نسائه[1]، وعندما تقدمت **الست مسكه** في السن أصبحت قهرمانة القصر ، يأخذ برأيها في الأعراس السلطانية والمهمات الجليلة .

استطاعت **الست مسكه** أن تجمع ثروة كبيرة من الأموال والهدايا التي كان يقدمها لها السلطان أو حاشيته للتقرب من السلطان وقضاء احتياجاتهم ، وكانت كريمة خيرة ، وقد وهبت الكثير من الأموال للفقراء وأعمال لبر والصدقة ، وكانت نافذة الكلمة في القصر وقد تحكمت تحكما كبيرا ، حجت مرة فضرب بها المثل بما فعلته من صدقات وخير وأنشأت جامعا بظاهر القاهرة[2] .

كان **للست مسكه** حظوة ومكانة جليلة عند السلطان وقد حفظت له الود في أبنائه وأحفاد قريبتها " **الملكة أشلون** " ، عندما أراد المماليك خلع السلطان حسن ، وأخذوه من بين حريمه فصرخوا صراخا عظيما وصرخت **الست مسكه** ، وأصرت على ملازمته في سجنه ، وانتهى الأمر بها إلى أن ماتت في السجن[3].

١- **المقريزي** : السلوك : ج٢ ، ص ٨٤٢ ؛ **ابن حجر** : الدرر الكامنة ج٢ ، ص ٧ ؛ **انظر أيضا شفيقة قرني** : خطط القاهرة ، ص ٢٤١.

٢- **ظاهر القاهرة** : هو الامتداد الخارجي للأرض خارج أسوارها الأربع وقد جرى العرف على تحديد الأماكن التي بظاهرها تبعا لأبواب القاهرة التي يخرج منها وتكون مواجهة لها (**انظر** : المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩)

٣- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص٢٢٦

الوصف المعماري للجامع

الجامع عبارة عن مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به أروقه من جميع الجهات[1] .

المدخل[2]

للجامع بابان إحدهما بالجهة الغربية ، وهو المدخل الرئيسي، ، والثاني بالجهة الجنوبية ، ولازال يحتفظ بالكتابات التي نقشت عليه منذ بناء الجامع ونصها كما يلي :- " بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بإنشاء هذا الجامع المبارك الفقيرة إلى الله تعالى الحاجة إلى بيت الله الزائرة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام الست الرفيعة **مسكه** سنة ست وأربعين وسبعمائة " ويحيط بالجامع من الخارج شريط خارجي منقوش فيه بخط الثلث المملوكي سورة ياسين[3]

إيوان القبلة

يحتوي إيوان القبلة على ثلاث من البوائك تقسمه إلى ثلاثة أروقه[4]، ويتكون البوائك الداخلية من أعمده رخامية تعلوها عقود نصف دائرية ، أما البوائك التي تحيط بالصحن من جميع الجهات، فتتكون من دعائم فنية من الحجر يعلوها عقود نصف دائرية في الجدار الشمالي والجنوبي لإيوان القبلة فتحات قنديلية الشكل مغشاه بالزجاج الملون[5] .

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٢٢٧ ؛ **شفيقة قرني** : خطط القاهرة ص ٢٤١ .

٢- **انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٣)** .

٣- **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٢٢٨. (**الخط الثلث** : هو احد أنواع الخط النسخ ، وهو خط لين قليل الزوايا ، كثير الاستدارة ، وقد شاع انتشار الخط النسخ منذ القرن ٦ هـ/ ١٢ م، وأصبح اشهر أنواعه انتشارا في العصر المملوكي الخط الثلث في القرن ٧هـ/ ١٣ م ، وقد استعمل في تزيين العمائر والتحف المملوكية ، (**انظر ميرفت عيسي** : مدرسة خوند ، ص ١١ – ١٨٨) .

٤- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٢٢٧ ؛ **شفيقة قرني** : المرجع نفسه ص ٢٤١ .

٥- **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٢٢٨؛ **شفيقة قرني** : المرجع السابق ، ص ٢٤١.

المنبر

منبر الجامع من خشب الساج الهندي ، والأبنوس المطعم بالصدف والعاج ومصنع بطريقة الحشوات المجمعة على الأطباق النجمية[1]

سقف الجامع من الخشب المنقوش برسوم زينية غاية في الإبداع، لأنها بحاله سيئة ويحيط بجدار المسجد من الداخل إزار خشبي نقشت عليه بالخط الثلث المملوكي أبيات من نهج البردة، ولكن اختفى معظم هذا الإزار[2]، ويوجد ضريح الست مسكه في الركن الشمالي الغربي[3]، وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة ، وفوق المنبر مقصورة خشبية[4] .

وقد بدأ في بناء الجامع سنة ٧٤٠هـ /١٣٣٩م [5] وتم الفراغ منه ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ، وقد زخرفت هيئة قبلته بالفسيفساء الزجاجية والرخامية [6] .

١- **الأطباق النجمية** ، من أكثر أنواع الزخارف انتشارا على العمائر الإسلامية ، وقد بدأ ظهورها منذ أواخر العصر الفاطمي ، وخلال العصر الأيوبي ، إلا انه شاع انتشاره في العصر المملوكي ، والطبق النجمي عبارة عن شكل مستدير يتكون من أجزاء عدة هي ، " الترس " وهو عبارة عن دائرة لها بروز مثلثة تشبه الترس ، وتلتف حول الترس أجزاء أخري تسمي "اللوزات" ، وهي أشكال هندسية تشبه اللوزة ، ويغطي ويغلق علي هذه اللوزات الجزء الأخير من الطبق النجمي ، وهي أشكال سداسية غير منتظمة تسمي " الكندات " ، وتطور الطبق النجمي من طبق نجمي سداسي وثماني واثني عشر إلي ٢٤ كندة ولوزة (عصم رزق : معجم المصطلحات ، ص١٨٠)

٢- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص ٢٢٨ .

٣- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص٢٢٧ ؛ **شفيقة قرني**: خطط القاهرة ، ص ٢٤١

٤- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص٢٢٨.

٥- **شفيقة قرني**: المرجع نفسه ، ص٢٤١ .

٦- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص٢٢٧ .

خانقاه[1] طغاي " أم أنوك"[2]
(٧٤٩ هـ /١٣٤٨ م)

الموقع

تقع هذه الخانقاه خارج باب البرقية[3] بالصحراء تجاه تربة الأمير طشتمر الساقي فجاءت من اجل المباني وقد جعلت خوند طغاي لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها كما جعلت لها صوفية وقراء وأوقفت عليها الكثير من الأوقاف[4] .

ذكر الجبرتي عن هذه الخانقاه في القرن ١٢ هـ/ ١٨م ما ذكره المقريزي ولكنه أضاف ما يلي " تجاه باب البرقية خانكاه أنشأتها **"خوند طغاي"** الناصرية بالصحراء على يمنه السالك إلى الجبانة المعروفة الآن بالبستان وعندما نزل الفرنساوية أراضي مصر هدموا القلاع فوق التلول ، كما هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية ، كما تحدث عن ساقيتها التي كانت تجاه بابها في علوة يصعد إليها بمزلقان ويجرى منها الماء إلى الخانقاه على حائط به قنطرة ، كما يوجد

١- **خانقاه** : كلمة فارسية معناها بيت ، وكانت الخانقاه في بادئ الأمر لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر ، ومع تطور التصوف في العصر المملوكي وتطور العمارة تطور مفهوم الخانقاه ، ومن وثائق الأوقاف يمكن القول أن الخانقاه في عصر المماليك أصبحت مسجدا وبيتا للصوفية ، وقد تكون مسجدا ومدرسة ومساكن للطلبة هم أنفسهم الصوفية مثل خانقاه برقوق ، وقد تتسع بيوت الصوفية لعدد كبير يصل إلى أربعمائة " مثل خانقاه برقوق ، و خانقاه بيبرس الجاشنكيز ، وكذلك أطلق لفظ خانقاه على المكان الذي يجتمع فيه الصوفية المقيمين والواردين لممارسة وظيفة التصوف ، والصلوات الخمس وقراءة القرآن والتهليل والأذكار والتسبيح والاستغفار والاعتكاف (**محمد محمد أمين – ليلى علي إبراهيم** : المصطلحات المعمارية ، ص ٣٩).

٢- انظر الملاحق ،لوحة رقم (١٤) ، شكل رقم (٥) .

٣- **المقريزي** : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٤٢٦ . **(موقع باب البرقية شمال الباب المحروق** : وقد نسب إلى جنود برقه **محمد محمد الششتاوي** : منشأت دعاية الحيوان ، ص ٩٣ ؛ عرف باب البرقية فيما بعد بباب الغريب ؛ **عبد الرحمن زكي** : القاهرة وتاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ : الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ، ص ١٦) .

٤- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٢٥ .

تحت الساقية حوض لسقى الدواب وظلت الساقية على حاله المروي إلى أن تولى أمر الأوقاف الشيخ الشرقاوي فأبطل الساقية وبنى مكانها زاوية لنفسه وجعل الساقية بئرا عليه خوذه يملؤون منها بالدلو[1].

المنشئ

أمرت بإنشاء هذه الخانقاة خوند الكبرى الناصرية **طغاي** أم أتوك وزوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكانت من إمائه فأعتقها وتزوجها وهي أخت الأمير أقبغا عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن بارعة الجمال ورأت من السعادة ما لم تنله غيرها من النساء ولم يدم السلطان على حب امرأة سواها ، وصارت خوند الكبرى بعد ابنه نوكاي وأكبر نسائه حتى عن ابنه الأمير تنكز " وقد حجت وكان بصحبتها القاضي كريم الدين الكبير، واحتفل بها احتفالا كبيرا، فحمل لها البقول في محابر طين على ظهور الجمال وأخذ لها الأبقار الحلابة من أجل اللبن وعمل الجبن وكان يقلى لها الجبن في الغذاء والعشاء ، كان القاضي كريم الدين وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ويسيرون بين يدي محفتها ، ويقبلون الأرض لها كما يفعلون مع السلطان[2].

وقد حج بها الأمير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨م)، وكان الأمير تنكزا إذا أحضر الهدايا من دمشق للسلطان لأبد أن يكون **لخوند طغاي** جزء منها[3]. وبعد وفاة السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها إلى أن ماتت في سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٨م في أيام الوباء وقد تركت ألف جارية وثمانين خادما وأموالا كثيرة ، وكانت كثيرة الخير والبر والصدقات عفيفة طاهرة ، وقد جهزت سائر جواريها

١ - **الجبرتي** : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٤ ، ص ١٦٢ - ١٦٣.

٢- **المقريزي** : الخطط ج٢ ، ص ٤٢٥ ؛ انظر أيضا **عاصم رزق** : خانقاوات الصوفية في مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي ٥٦٧ -٦٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧ م ، ج١ ، الطبعة الثامنة مكتبة المدبولي - القاهرة ، ص ٢٩٥ .

٣- **المقريزي** : الخطط : ج٢ ، ص ٤٢٦ .

وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراءا وأوقافا عليها ، وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانقاه[1].

الوصف المعماري

تقع الخانقاه بشارع قرافة باب الوزير، وتشغل مساحة غير منتظمة لم يبقى منها سوى إيوان كبير ، وقبتان إحداهما جنوبية كبيرة والأخرى شمالية صغيرة ومساحة خربه كانت تشمل مرافق الخانقاه[2].

يضم الضلع الشرقي تجويفين وحنيه ضحلة رأسية مستطيلة فوق كل منهما ثلاث صفوف من المقرنصات، وبالتجويفات صفان من الفتحات ، تتميز السفلية والتي تعلو عن مستوى أرض الطريق بحوالي متر باتساعها، ووجود أعتاب ذات صنجات مزرره وعقود عاتقه ، أما العلوية التي اسفل الشريط الكتابي فعبارة عن فتحات قندلية صغيرة ، يتكون كل منها من فتحتين بعقدين صغيرين ترتكز ارجلهما على أعمدة صغيرة مستديرة[3].

١ - **المقريزي** : الخطط ج٢ ، ص ٤٢٦ ؛ انظر أيضا **سعاد ماهر** : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ص ٤٢٦ ؛ **عاصم محمد رزق** : خانقاوات الصوفية في مصر، ص ٢٩٦ .

٢ - **عاصم محمد رزق** : خانقاوات الصوفية في مصر ، ج١ ، ص ٣٠١ .

٣- **سعاد ماهر** : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ج٣ ، ص ٢٤٤ .

القبة الجنوبية (الكبيرة) للخانقاه

تقع على يمين الإيوان[1]، أقيمت هذه القبة على حجر مربع ، وتشمل أركانها الأربعة العالية أربع مناطق انتقالية مكونة من حطات من المقرنصات ، وكل منها عبارة عن حنية ذات عقد مدبب ، وكل منطقتين انتقاليتين تحصران نافذتين مستطيلتين كل منهما ذات عقد مدبب تعلوها ثالثة مستطيلة ذات عقد مدبب ، وفوق مناطق الانتقال توجد رقبة القبة التي تحتوي على اثنى عشر نافذة مستطيلة متشابهة ذات عقود مدببة فوقها شريط كتابي بالخط النسخ ، وهذه القبة من الداخل دائرية إطارها يحتوي على كتابات نسخية بيضاء على أرضية زرقاء[2].

محراب القبة

يقع محراب القبة في وسط الجدار الشرقي وهو عبارة عن حنية ، وكان يكتنفها عمودان[3] ، وهما غير موجودان الآن ، فوقها عقد نصف دائري متراجع تزينه صنجات مزررة [4]بالألوان الأبيض والأسود و الأحمر [5].

طاقية المحراب على هيئة عقد مدبب ويكتنف المحراب نافذتان مستطيلتان لكل منهما عقد مدبب [6].

١ـ سعاد ماهر : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ح٣ ، ص ٢٤٥ .
٢ ـ عاصم رزق : خانقاوات الصوفية ، ص٢٩٨ .
٣ ـ عاصم رزق : خانقاوات الصوفية ، ص ٢٩٩؛ سعاد ماهر : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ح ٣ ، ص ٥٤٦ .
٤ ـ سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ ؛ عاصم رزق : المرجع نفسه ، ص ٢٩٩ .
٥ـ عاصم رزق : المرجع نفسه ، ص٢٩٩ .
٦ـ سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ .

مدخل القبة :

يقع مدخل القبة في الجدار الغربي[1] داخل دخله فوقها عقد نصف دائري ممتد على جانبيه شبكان متشابهان ، أما الجدار الشمالي والجنوبي للقبة متشابهان فكلاهما يكتنفا شباك كبير ، يكتنف عن يمينه وشماله شباكان يشبها الموجودين في الجدار الغربي [2]، إلا أنه يعلو الشباك الأوسط في الجدار الجنوبي نافذة مستطيلة وأرضيات هذه الشبابيك مكسوة بفسيفساء رخامية ملونة ضاعت معالمها[3] .

هذه القبة ذات بدن مضلع من الخارج عبارة عن مخدات متجاورة تحملها رقبة، يزينها شريط من بلاطات القيشاني المنقوشة بكتابات نسخية بيضاء نصها بعد البسملة آية الكرسي وقد طمست معالمها[4] .

١ـ سعاد ماهر : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ص ٢٤٥ ؛ عاصم رزق : خانقاوات الصوفية ، ص ٢٩٩ .
٢ـ عاصم رزق : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ ؛ ، تذكر أن الجهة الشمالية للقبة تحوي نافذة مستطيلة تطل على إيوان الخانقاه ، وفي الجهة الجنوبية نافذة تطل على الطريق (انظر سعاد ماهر : المرجع السابق، ص ٢٤٦) .
٣ـ عاصم رزق : المرجع نفسه ، ص ٢٩٩ .
٤ـ سعاد ماهر : المرجع نفسه ، ص ٢٤٥.

القبة الشمالية الصغيرة

تقع هذه القبة في يمين الإيوان وبابها في الضلع الغربي[1]، ويقع داخل دخله تكتنفا مكسلتان[2] حجريتان يحد كل منهما جفت[3] لاعب وميمات دائرية ، فوق المدخل عتب حجري مستو يعلو عقد عاتق من صنجات مزورة بينهما طبله[4] عقد غير مزخرفه ، ويعلو هذا العقد العاتق نافذة مربعة ، ويتوجه الدخلة مقرنصات مقعرة ذات دلايات وعلى جانب هذا المدخل إناء غائر نقشت فيه كتابات نسخية[5] .

---

١ ـ عاصم رزق : خانقاوات الصوفية ،ص ٣٠٠

٢ ـ **المكسلة** : هي مسطبه حجرية ، وجدت علي جانبي حجور المداخل في العمائر المملوكية ، وهي عبارة عن مسطبه بنائية بارتفاع معين اعتاد المعمار أن يقيم مكسلتين علي جانبي المدخل (عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ٣٠١-٣٠٢) .

٣ ـ **جفت** : لفظ فارسي بمعنى منحنى ، وأيضا بمعني اثنان متشابهان، وفي العمارة المملوكية تدل الكلمة على زخرفة ممتدة بارزة منحوتة في الحجر، أو غيره من المواد على شكل إطار أو سلسلة تتكون من خطين متوازيين يتشابكان على مسافات منتظمة ، وتوجد حول الفتحات مثل النوافذ والأبواب والأبونات ويتخللها أشكال مختلفة مستديرة أو مسدسة أو مثمنة على أبعاد منتظمة ويطلق على الجفت بهذا الشكل جفت لاعب ويرد في الوثائق جفت لاعب ، أو " جفت مزوق مذهب" ويعلو كل عمود جفت مذهب أو " أركان بنيان يعلوها جفت" وإطار مستطيل يحيط بالحجر ومحدد بالجفت والميمة، (انظر **محمد محمد أمين – ليلى علي إبراهيم** : المرجع السابق ، ص ٢٩) .

٤ ـ **الطبلة** : التصق هذا المصطلح باسم " العمود " والطبلة جمعها طبالي ، وهي القطع الخشبية التي اعتاد المعمار المسلم وضعها فوق تيجان الأعمدة التي تحمل البوائك في العمائر الأثرية ، وتتكون الطبلية من طبقتين من الكتل الخشبية عالية التحميل . (انظر **عاصم رزق** : معجم المصطلحات ، ص ١٨٢) .

٥ ـ **سعاد ماهر** : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ص٢٤٤ ؛ **عاصم رزق** : المرجع نفسه ، ص٣٠١ .

الإيـوان :

يتوسط الجدار الشرقي للخانقاه إيوان القبلة وهو عبارة عن مستطيل وبصدره محراب [1]، و طاقيته على هيئة عقد مدبب بداخلها زخارف نباتية جصية بارزة متقنه قوامها سعف نخيلية وفروع متشابكة يحيط بها إطار مستطيل بداخله زخارف نباتية متقنه بارزة وعلى جدران الإيوان شريط به كتابه نسخية بارزة على أرضية مزهرة نصها " بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم . إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا ءاثرهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين . واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما انتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن انتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلغ المبين ﴾ [2] ويتقدم الإيوان عقد كبير مدبب ، يطل على المساحة الخربة اتساع فتحته بعرض الإيوان ، قد نقشت بزخارف كتابية جصية وأخرى نسخية بارزة تتضمن آيات من سورة يس[3].

١ـ **سعاد ماهر** : مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ص٢٤٤ ؛ **عاصم رزق** : خانقاوات الصوفية ، ص٣٠١

٢ ـ **القرآن الكريم** : سورة ياسين ، آية ١ ـ ١٧ .

٣ـ **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص٢٤٤ ؛ **عاصم رزق** : المرجع نفسه ، ص٣٠٠ ـ ٣٠١

وفي داخل الطاقية من أعلى تفريعات نباتية بها أوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح مختلفة ، وفي واجهة العقد من نفس العناصر النباتية الموجودة في الطاقية ، ويعلو المحراب منطقة مستديرة تزينها نفس الوحدات النباتية في دائرتين متداخلتين تحصران بينهما دائرة ثالثة تتكون من أشكال دائرية وبيضاوية كانت بها كتابات نسخية لم يبق منها سوى البسملة في إحدى وحداتها البيضاوية[1].

مسجد المرأة فاطمة شقراء[1]

(٨٧٣ هـ/ ١٤٦٩ م)
الواقع حاليا في شارع أحمد باشا ماهر (تحت الربع)

الموقع

يقع هذا المسجد في خط تحت الربع على بسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق[2] بشارع أحمد ماهر تحت الربع [3].

المنشئ :

أنشأت هذا المسجد **فاطمة** ابنه خاير بك بن حتيت الأشرفى ، وأمها هي **خديجة** ابنه الأتابك جرباش الناصري سبطة الملك الناصر ، وقد تزوجها خير بك بن حتيت الأشرفى واستولدها **فاطمة**[4]، وقد تزوجت جانبك حبيب ومات عنها بعد أن فقدت أباها ، وتوفيت بعد عام ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٨ م[5]، وقد سميت **بفاطمة شقراء** نسبة إلى جدتها لامها ، وهى الأميرة **شقراء** بنت الملك الناصر فرج بن برقوق المتوفاة عام ٨٨٧ هـ /١٤٨٢[6]، ويعتبر هذا المسجد من المنشآت المعمارية التي لم

١- انظر الملاحق ، شكل رقم (٦) .

٢- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٤١٠.

٣ - **عاطف عبد الدايم عبد الحي** : شارع تحت الربع منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ١٣هـ/١٩ م ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، سفر ١٤١٨هـ/يوليو ١٩٩٧ م ، ص ٣٣١ .

٤ - **السخاوي** : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .

٥ - **السخاوي** : المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

٦- **حسن قاسم** : المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية ، القاهرة ١٩٤٢ م ، ج٤ ، ص١٨٤ ؛ **عاطف عبد الدايم عبد الحي** : المرجع السابق، ص٣٣١ .

تتوفر عنها معلومات كافية بخلاف بقايا النص التأسيس الذي كان مسجلا على المدخل الرئيسي [1].

وتشتمل بقايا النص التأسيس على ما يلي " ..... كريمة الجناب العالي الملكي الاشرفي الجهة المصونة الست **فاطمة** وتدعي شقراء بتاريخ العشرين من شهر جمادى الأخر سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة "[2] ، وعلي الرغم من زوال النص التأسيسي فإنه يشير إلي نسبة الجامع إلي صاحبته " **فاطمة شقرا**"، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلي إن صاحبته قد شيدته مكان مسجد آخر قديم ، أن لم تكن قد قامت وسجلت اسمها عليه[3].

وقد أشار المقريزى إلى وجود جامع بشارع تحت الربع يسمى جامع رشيد الدين البهائي[4] على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق دون أن يعرفه أو يذكر تاريخ إنشاءه ، ويتطابق موقعه مع موقع جامع " **فاطمة شقراء**" مما يجعل احتمال أن المرأة قامت بتجديده قائما ، أو زواله من الوجود وان السيدة قامت بإنشاء هذا الجامع مكانه احتمال جائز[5] .

١- **عاطف عبد الدايم عبد الحي** : شارع تحت الربع ، ص ٣٢٨ .

٢ - **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ؛ **حسن قاسم** : المزارات ، ج ٤، ص١٨٣ .

٣ - **حسن عبد الوهاب** : المرجع السابق ،ص ٢٤٧ ، **عاطف عبد الدايم** : المرجع السابق ، ص ٣٢٨

٤- **رشيد الدين البهائي** : هو رشيد الدين الفهري البهائي أحد القرشيين بالحرم النبوي الشريف ، (**السخاوي** : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ؛ وقال حسن قاسم أنه أنشأ المسجد في عام ٨١٢ هـ / ١٤٠٩م أي قبل وفاته بمكة عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م ، (**حسن قاسم** : المزارات ، ج٤ ، ص ١٨٢ .)

٥- **المقريزي** : الخطط ، ج٢ ، ص ٤١٠ ؛ **علي مبارك** : الخطط التوفيقية الجديدة ، ج٦ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٣٢ .

ويذكر المقريزى انه بشارع تحت الربع كانت تقام الخطبة بمسجد خارج باب زويلة[1]، وأنه لم يكن فى ذلك الشارع مساجد سوى الجامع المنسوب إلى رشيد الدين البهائي[2] وأن القاضي زين الدين أبا بكر بن مزهر (٨٣١ ـ٨٩٣هـ / ١٤٢٨ ـ ١٤٨٨ م) قام بإنشاء مطهره بجامع بقرب من سوق الحاجب[3] ، ومن المحتمل أنها كانت مطهرة جامع رشيد الدين البهائى .

مما سبق يتضح لنا أن جامع رشيد الدين هو نفسه جامع" **فاطمة شقراء**" ، وقد خصص السخاوى جزء كاملا عن تراجم النساء خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، إلا انه لم يذكر شيئا عن جامع أنشأته " **فاطمة شقراء**".

وقد ظهر في العصر العثماني تفسير أخر لتسمية هذا المسجد بمسجد المرأة [4]، فقد ذكر المناوى أن سبب هذه التسمية هو حادث وقع بهذا الجامع ، وهو أن أحد الجنود اعتدى على امرأة كانت تسير بشارع تحت الربع، وأخذها إلى هذا الجامع بغرض هتك عرضها قبيل العشاء، فدخل بها إلى مراحيض الجامع فشاهده الشيخ " إبراهيم النبتيتى[5] " النساج المتوفى ببلدته عام ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م فصاح عليه فتجمع

---

١ - **المقريزي** : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

٢ - **عاطف عبد الدائم** : شارع تحت الربع ، ص ٣٢٩ .

٣- **السخاوي** : الذيل عن رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة ، تحقيق جودة هلال ، محمد محمود صبيح ، مراجعة علي البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٤٨٧ .

٤- **عاطف عبد الدايم** : المرجع السابق ، ص ٣٣١ . (ترجم السخاوي ما يقرب من مائة وستين ترجمة لامرأة تحمل أسم فاطمة ولم يذكر أن إحداهن أنشأت مسجد بشارع تحت الربع ، **السخاوي** : الضوء اللامع ، ص ٨٦ : ٢١٤ ، ص ١٦٣) .

٥- **النبتيتي**: نسبة إلى نبتيت وهي بلدة بالشرقية، كان الشيخ إبراهيم النبتيتي مقيما بجامع اسكندر باشا ثم انتقل بعد ذلك إلى جامع المرأة وكان أحد المجاذيب في أيامه وعندما توفي في بلدته نبتيت أقام عليه أحد الوزراء قبة عظيمة ، (**المحبي** " **محمد** " : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٠٠ هـ ، ج١، ص ٦٢) .

حوله الناس وقبضوا على الجندي متلبسا وقدم للمحاكمة ، وكان لهذه الحادثة أثر في تسمية المسجد بجامع المرأة[1].

ونستشف من خلال النص التأسيس أن مشيده الجامع امرأة فيرجح أن سبب تسمية جامع المرأة أن منشأته امرأة .

وقد عرف هذا الجامع أيضا بجامع المقشات وان شعائره مقامة[2]، وله منارة وتقام فيه الخطبة ، ويوجد بداخله مقصورة خشبية بها قبران احدهما كتب عليه هنا قبر الست " **فاطمة النبوية** " ولا يوجد على القبر الثانى كتابات[3] .

وقال على مبارك أنه لا يعتقد أن هذه الكتابات تعبر عن صاحبه المسجد ولا عن السيدة " **فاطمة النبوية** " رضي الله عنها حيث يوجد أكثر من مسجد يحمل اسم " **فاطمة النبوية** " ومنها مسجد بالدرب الأحمر[4] .

يحتمل أن هذه الكتابات أضيفت إلى القبر لأن الطريقة التي وضعت بها على القبر لا توحي أنها أصلية ، وأن لجنة حفظ الآثار رفضت تسجيل الضريح من عداد الآثار حيث وافقت على تسجيل المدخل والمئذنة والمنبر فقط[5] .

١- **عاطف عبد الدايم** : شارع تحت الربع ، ص ٣٣١ .

٢- **علي مبارك** : الخطط التوفيقية ، ج٣ ، ص ٣٠٥ ، ج٥، ص ٢٥٨ ؛ **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٢٤٧ ؛ **عاطف عبد الدايم** : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

٣- **علي مبارك** : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٥ ؛ **عاطف عبد الدايم** : المرجع نفسه ، ص ٣٣٢ .

٤- **علي مبارك** : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٥ ؛ **حسن قاسم** : المزارات ، ص ١٨٤ ، ويذكر أن فاطمة المذكورة هي صاحبة هذا الجامع وان الضريح الثاني دفن به أحد الصالحين ويعرف باسم عبد الله المقشاتي وهو متأخر الوفاة وهو غير عبد الله المقشاتي المدفون بالمنزل رقم (٣) بحارة القشاشين بالدرب الأحمر .

٥ - **عاطف عبد الدائم** : المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

الوصف المعماري لجامع المرأة

الواجهات الخارجية :

لم يبق من واجهات الجامع سوى جزء صغير من الواجهة الشمالية الشرقية التي تحتوى على المدخل الرئيسي والمئذنة ، أما الواجهات الثلاث الباقية فقد شغلت بمنشآت مجاورة للجامع .

المدخل الرئيسي :

هذا المدخل من المداخل التذكارية المكسوة بحجر غائر على جانبيه مكسلتان يحدد كل منهما جفت لاعب بميمات[1]، وقد اختفت أجزاء كبيرة من المكسلتين نتيجة لارتفاع أرضية الشارع ، ويتوجه الحجر الغائر عقد مدائنى ذو ثلاثة فصوص، تميزت طاقيته بأن استخدم في بنائها حجر رفيع السمك لونه ابيض وأحمر[2]، أما فتحة الباب فهي مستطيلة الشكل يغلق عليها زوج من الأبواب الخشبية الحديثة ويتوجه فتحة المدخل عقد مستقيم لبس بالرخام والفصوص الزرقاء ، والتي تشبه الأشكال اللوزية ، ويتوجه العقد المستقيم عقد عاتق ، وقد كسى النفيس[3]

١- **ميمات** : مفردها ميمة وتتعلق اسمها بمسمي أخر وهو " الجفت " والجفت هو زخرفه بارزة في الحجر أو الخشب أو الرخام علي شكل إطار أو سلسلة تحيط بحجور المداخل ، وفتحات الأبواب والنوافذ والعقود والأعتاب ، وتتكون هذة السلسلة أحيانا من خطين بارزين يتشابكان في أشكال دوائر صغيرة تسمي " ميمات " وسميت بهذا الاسم نظرا لأنها تأخذ شكل دوائر . (**حسني نويصر** : العمارة في مصر عصري الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٦٥ ؛ **عاصم رزق** : معجم المصطلحات ، ص ٦٦- ٦٧) .

٢ - **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص ٢٤٧ ؛ **عاطف عبد الدائم** : شارع تحت الربع ، ص ٣٣٣ .

٣- **النفيس** : هي أشكال الفتحات التي تأخذ شكل الهلال ، وهذا الشكل الهلالي نتيجة لوجود العقد العاتق البسيط الذي يعلو العتب ، وغالبا ما يكون هذا النفيس اعلي النوافذ والأبواب ، ويكون مفرغ أحيانا ، ومكسو بالبلاطات الخزفية أحيانا أخري (**عاصم رزق** : معجم المصطلحات ، ص ١٩٦) .

المحصور بين العقدين بأجزاء من البلاطات الخزفية ، والتي تنوعت زخارفها من أوراق مسننة وزهور مركبة رسمت باللونين الأخضر والأزرق على أرضية بيضاء[1].

ومن المؤكد أن هذه الكسوة جمعت من أماكن أخرى وأعيد لصقها على النفيس وهى تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي[2] ورخام هذه الكسوة يتشابه مع زخارف البلاطات الخزفية التي تكسو واجهة القبة الضريحية تكية الكلشني[3].

وقد زخرفت واجهة العقد العاتق بشكل جامات بداخلها لفظ الجلاله الله بالخط النسخ، ويكتنف العقد العاتق مستطيلات كلاهما يشتمل على زخارف هندسية بارزة فأطباق نجمية[4]. وكان بجوار المدخل سبيل لم يعد له وجود الآن[5].

المئذنة [6]:

توجد المئذنة على يسار المدخل وهى على الطراز العثماني ، وهى أيضا اسطوانية الشكل يعلوها شرفية دائرية بها درابزين من الحجر بزخارف مفرغة هندسية ، والشرفة ترتكز على ثلاثة صفوف من المقرنصات ذات الدلايات وقسمة المئذنة على شكل القلم الرصاص[7]، وقد حليت القاعدة بأشكال هندسية من

١- عاطف عبد الدائم : شارع تحت الربع ، ص ٣٣٣ .

٢- ربيع حامد خليفة : البلاطات الخزفية في عمائر القاهرة العثمانية ، دارسة أثرية فنية ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢١٢ ؛ عاطف عبد الدائم : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

٣- ربيع حامد : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ ؛ عاطف عبد الدائم : المرجع السابق، ص ٣٣٣ .

٤- عاطف عبد الدائم : المرجع السابق، ص ٣٣٣ .

٥- حسن قاسم : المزارات ، ج ٤ ، ص ١٨٣.

٦- انظر الملاحق ، لوحه رقم (١٥).

٧ - عاطف عبد الدائم : المرجع نفسه ، ص ٣٣٣ .

المستطيلات الحجرية المزخرفة الباقية من المئذنة القديمة [1]، ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٠٦٣ هـ / ١٦٥٣ م [2].

الجامع من الداخل

يؤدى المدخل إلى دهليز مستطيل يهبط إليه بثلاث درجات ، وهو ذو سقف خشبي مسطح ، وأن، هذا الدهليز كان مفروشا بالحجر[3]، و المسجد من الداخل حديث البناء يشتمل على خمسة أروقة ذات دعامات حجرية بعضها يتوجه عقود نصف دائرية، والبعض الآخر ذو عقود مدببة تحمل السقف الخشبي[4].

وكان يشتمل على صحن أوسط مكشوف محاط بأروقة من الجوانب الأربعة ، ويوجد بالضلع الشمالي الشرقي مقصورة من الخشب بها ضريحان، والمحراب يتصدر الضلع الجنوبي الشرقي، وهو على هيئة حنية نصف دائرية تعلوها طاقية على هيئة نصف قبة تأخذ واجهتها شكل العقد المدبب[5]، وقد اشتملت الطاقية علي مقرنصات وتلبيس بالرخام الأسود ، ويحيط بصنج عقوده أشرطة منقوشة[6]، تتشابك مع بعضها مكونة أشكالا خماسية ، بداخلها زخارف نباتية من الوريدات الثلاثية والخماسية [7]، ويعلو المحراب مستطيلات كتب عليها في الجانب الأيمن " **وما النصر إلا من عند الله** " [8]

---

١ - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ؛ عاطف عبد الدائم : شارع تحت الربع ، ص ٣٣٤ .

٢- حسن قاسم : المزارات ، ج ٤ ، ص ١٨٣.

٣ - عاطف عبد الدائم : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .

٤ - حسن عبد لوهاب : المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ عاطف عبد الدايم : المرجع نفسه ، ص ٣٣٤ .

٥- عاطف عبد الدايم : المرجع نفسه ، ص ٣٣٥ .

٦- حسن عبد لوهاب : المرجع نفسه ، ج١ ، ص٢٤٨ .

٧ - عاطف عبد الدايم : المرجع نفسه ، ص ٣٣٥ .

٨- القرآن الكريم : سورة آل عمران ، آيه رقم (١٢٦) .

وعلى الجانب الأيسر ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ [1] ويجاور المحراب المنبر الخشبي ويحتفظ ببعض حشواته المطعمة بالسن والزرنشان الدقيق[2] .

والمنارة لا تتفق مع طراز المباني فهي منارة عثمانية اسطوانية الشكل لعلها منشأه فى القرن الثانى عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وقد حليت وجوه قاعدتها بمستطيلات حجرية مزخرفة مخلفة من المنارة القديمة[3].

هكذا يتضح لنا أن الجامع لا يحتوي على عناصر معمارية أصيلة سوى المدخل الذي يتبع الطراز المملوكي ، أما المئذنة فهي عثمانية الطراز والمحراب والمنبر يحتمل أنهما يعودان إلى العصر المملوكي .

أهم أعمال الترميم بجامع المرأة

كان الجامع مملوء بالقاذورات والأتربة في عام١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩م ، وقد زال الكثير من بياضه ، كما أن زاويتي الجامع المطلتين على شارع الربع قد تلفت نتيجة لاصطدام العربات بهما ،وقد اقترح القسم الفني بلجنة حفظ الآثار أن تعمل مجاديل قوية وأن يتم ترميم هاتين الزاويتين[4]، وقد خصص مبلغ " خمس وعشرين

١ ـ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، آيه رقم (١٦٠) .

٢ ـ عاطف عبد الدايم : شارع تحت الربع ، ص ٣٣٥. الزنشان : هو احد عناصر الزخرفة في المنابر والتحف الخشبية علي وجه الخصوص ، حيث استخدمت في عمليات التطعيم إلي جانب العاج والأحجار الكريمة .(عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ٣٢٢) .

٣ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص٢٤٧ .

٤ ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، المجموعة السادسة ، التقرير الخامس والخمسون للتومسيون الثاني لعام ١٨٨٩ م ، ص٥٦ .

جنيه " لإجراء الإصلاحات اللازمة[1] ، وبالطبع كان هذا المبلغ له قيمة آنذاك ، وقد تم تنظيف زخارف الباب العمومي . وفي عام١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م قام المسئولون بطلاء تلك الزخارف بالجير [2]. وفي عام١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م قام الأهالي بالاعتداء على أجزاء هذا المسجد وخاصة واجهة المسجد الجنوبية الشرقية ببناء بعض المنازل [3]، وفي عام١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣م ـ احتاج الجامع لإصلاحات من الداخل فأوصت لجنة حفظ الآثار بالمحافظة على المحراب[4]. وفي عام١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م طالبت مصلحة الأوقاف بترميم الجامع من الداخل فوافقت لجنة حفظ الآثار بشرط المحافظة على منبره والمئذنة والباب العمومي[5]. وفي عام١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م تم بناء كتاب أمام الواجهة البحرية لهذا المسجد[6]، وتم ترميم المنبر في عام١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م ، حيث تم تركيب بعض الحشوات التي لقطت من المنبر[7]، وفي عام١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م ، تم ترميم المسجد مرة أخرى[8] .

وفي عام١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ، نال الجامع عملية ترميم شاملة شملت المنبر وأجزاء كبيرة من الجامع[9] وتأثر الجامع بالزلزال الذي حدث عام١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ،/ ولا تزال أعمال الترميم قائمة به حتى اليوم[10].

١ ـ كراسات لجنة حفظ الآثار ، تقرير رقم ٥٩ للتومسيون الثاني لعام١٨٨٩ ، ص٦٩؛ تقرير رقم ٨١ للتومسيون الثاني للمجموعة السابعة لعام ١٨٩٠ ، ص٤٧ ؛ انظر علي مبارك : الخطط التوفيقيه ، ج ٥ ، ص٢٤٧ .

٢ ـ كراسات لجنة حفظ الآثار ، تقرير رقم ١٩٣ للتومسيون الثاني ، للمجموعة الثالثة لعام ١٨٩٦، ص١٥ .

٣ ـ كراسات لجنة حفظ الآثار ، تقرير رقم ٢٢٨ للتومسيون الثاني ، للمجموعة ٤ لعام ١٨٩٧ ، ص١٤٢.

٤ ـ كراسات اللجنة : تقرير القسم الفني رقم ٣١٩ ، مجموعه ٢٠ لعام ١٩٠٣ ، ص٤٤ .

٥ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

٦ ـ كراسات اللجنة : محاضر الجلسات لعام ١٩٠٥م ، ص ٥٧ـ٥٨ .

٧ ـ ملفات المجلس الأعلى للآثار ملف رقم ١٩٥ .

٨ ـ ملفات المجلس الأعلى للآثار ملف رقم ١٩٥ .

٩ ـ ملفات المجلس الأعلى للآثار ملف رقم ١٩٥ ، أعوام ١٩٣٩ ، ١٩٤٩م .

- مدرسة أم السلطان
- مدرسة تاتار الحجازية
- رباط زوجة السلطان إينال
- منزل زينب خاتون

مدرسة أم السلطان شعبان[1]
(٧٧٠ هـ / ١٣٦٩م)

الموقع

تقع مدرسة أم السلطان شعبان خارج باب زويلة، بالقرب من قلعة الجبل، في خط التبانة[2] و موضعها قديما كان مقبرة لأهل القاهرة[3] ويذكر على مبارك بأنها توجد على يمنه السالك من الدرب الأحمر إلى القلعة ، وبين باب الوزير وجامع المارداني[4] ، يطل مدخلها الرئيسي والذي يوجد بالضلع الشرقي على شارع باب الوزير ، والضلع الجنوبي فيطل بجزء منه على عطفه الكاشف ، وباقي الضلع الجنوبي فيختفي خلف بعض المنازل من وقف إبراهيم أغا ، وبعض المنازل الحديثة التي بنيت بجواره فأخفت جزءا كبيرا منه ، وقد حجب مقعدا وقاعة أحمد كتخدا الرزاز الذي بني ملاصقا للكتاب الضلع الشمالي ، ويحيط بالضلع الغربي مباني خربه ومتهدمة بعضها تابع لمنزل الرزاز والبعض الآخر تابع لمدرسة أم

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٦) ، شكل رقم (٧) .

٢- خط التبانة : كان يشتمل قديما على المنطقة التي تمتد من باب الوزير إلى الدرب الأحمر وهذه المنطقة يتوسطها شارع باب الوزير وشارع التبانة والدرب الأحمر وعرف بالتبانة لأنه كان به السوق الذي يباع فيه التبن في الزمن الماضي. أما شارع التبانة فيطلق على الطريق الذي يمتد من شارع باب الوزير إلى شارع الدرب الأحمر ، (**علي مبارك** : الخطط التوفيقية ،ج٢ ، ص ١٠٢).

٣- **المقريزي** : الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ؛ **ابن تغري بردي** : النجوم الزاهرة ،ج١١ ، ص ٥٩ ؛انظر أيضا **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند بركه أم السلطان شعبان ، مخطط رسالة ماجستير مقدم لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٧م / ١٣٩٨هـ . ص٢٢.

٤- **علي مبارك** : الخطط التوفيقية ، ج ٤ ، ص ٦٠ .

السلطان الاشرف شعبان وكان هذا الركن به ربع أنشأته السيدة "خوند بركه" وأوقفته على المدرسة إلا أنه هدم وبيع أنقاضه سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨ م[١].

منشئ المدرسة

اقترن اسم هذه المدرسة بشخصيتين عظيمتين هما : الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون و **"خوند بركه"** أم السلطان الأشرف شعبان ، وقد نسب بعض العلماء إنشاء هذه المدرسة إلى الأشرف شعبان بناء على الكتابات التي توجد على لوحتها التأسيسية وجدرانها، وأنه قد أنشأها لوالدته **"خوند بركه"** [٢] والبعض الأخر يميل إلى أن **"خوند بركه"** هي التي شيدتها ولكنها كتب اسم ابنها السلطان الأشرف عليها ، حيث أنه سبق و كتبت اسمه على القيسارية التي أنشأتها بخط الركن المخلق بالقاهرة[٣] . وترى احدي الباحثات المحدثات أن خوند هي التي أنشأت المدرسة وأنها كانت تكتب اسم ابنها على منشأتها ، حيث أن خوند كانت تتمتع بسلطة واسعة في فترة سلطنة ابنها الأشرف ، ونظرا لصغر سنة في تلك الفترة ، فإن

١- **ميرفت عيسى :** مدرسة خوند بركة ، ص ٢٢ -٢٣

٢- **ميرفت عيسى :** مدرسة خوند ، ص ٢٢ ؛ **صالح لمعي :** أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة ، الدراسات التخطيطية والمعمارية ومركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ، القاهرة ، سنة ، ص ١٣٢ ، ١٩٩٠ .

- خوند بركة : انظر الفصل الأول ، ص٣١

٣- **الركن المخلق :** موضعه الآن تجاه حوض الجامع الأقمر على عينة من أراد الدخول إلى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى وقيل له الركن المخلق لأنه ظهر في سنة ستين وستمائة هجرية ١٢٦٢م في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام ، فخلق بالزعفران وسمي من ذلك اليوم بالركن المخلق ، (**المقريزي :** الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠٥) .

"خوند بركة" لعبت دوراً كبيراً في حياته، من الواضح أنها حرصت على كتابة اسمه على منشأتها تعظيما ووفاء لولدها الذي يرجع إليه الفضل في حملها للقب أم السلطان وقد كانت جارية من قبل ملكها الأمير حسين وتزوجها وأنجب منها ابنه الذي سطع نجمه وقدر له أن يكون سلطانا ، ويبدو أنها رأت في تخليد اسمه على منشأتها رداً لجميل صانع عظمتها وسبب شهرتها وثرائها[١]

والمدرسة المذكورة من العمائر التي شيدتها المرأة فهي تتمتع بقدر كبير من مظاهر الجمال والثراء الفني والذوق الرفيع [٢].

١- **ميرفت عيسى :** مدرسة خوند بركه ، ص ٢٥ .

٢- **ميرفت عيسى :** المرجع نفسه ، ص ٢٣ ؛ **حسن عبد الوهاب :** تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص ١٨٣ .

الوصف المعماري للمدرسة

تشتمل هذه المدرسة على واجهتين الواجهة الشرقية ، والواجهة الجنوبية التي تؤدي مباشرة للصحن[1] .

الواجهة الشرقية :

وهي الواجهة الرئيسية[2] و تتكون من جزئين ، الأول منهما وهو الجزء الأكبر ويطل على شارع باب الوزير[3] ، ويزخرف هذا الجزء ثلاث دخلات ، ويشغل الجزء الأسفل منها نافذة مستطيلة ، ويحيط بالنافذة إطار خشبي ضيق ذو مصبعات نحاسية وفوق النافذة عتب حجري من صنجات معشقة ويعلو العتب عقد عاتق ، والجزء الأوسط من الدخلات يحوي نافذة مستطيله تعلو النافذة الأولى ، وهي معقودة بعقد مدبب من صنجات معشقة ، ويحيط بالقمرية إطار خشبي ملئ بالسلك، والجزء العلوي يشغله نافذة قندبلية تتكون من نافذتين مستطيلتين تعلوهما ثالثة مستديرة ويزخرف الدخلات أعلى القندبلية جزء من الشريط الكتابي الذي يزخرف مدخل وواجهات المدرسة ، ويمتد حول المدخل وتنتهي قبل المدخل الجانبي بقليل ، والكتابة بالخط النسخ المملوكي نصها " **بسم الله الرحمن الرحيم﴿ يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم... ﴾** [4] "

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند، ص ٣٨.

٢- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج٣ ، ص ٣٠٤ ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم المعماري ، ص ١٣٤ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

٣- **صالح لمعي** : المرجع نفسه ،ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٣٨.

٤- **القرآن الكريم** : سورة يس : آية رقم ١ إلى رقم ٢٩ .

ويزخرف الدخلات أعلى الشريط الكتابي أربعة صفوف من الدلايات تنتهي بها الدخلات ، ويطل على هذه الواجهة السبيل[1] بحجاب[2] من الخشب الخرط المجمع مربع الشكل ، ويتوسط الحجاب شباك ذو مصبعات نحاسية [3]. والحجاب مقسم إلى مربوعات يتوسطها شكل نجمه ذو ستة رؤوس محصورة داخل دائرة ، ويزخرف الحجاب أعلى الشباك حشوة خشبية تحوي نصا تأسيسا بالخط النسخ المملوكي نصه[4].

" أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك لوالدته مولاتنا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين ، في شهور سنة سبعين وسبعمائة (١٣٦٨ م) "[5] ويطو الحجاب عتب حجري به زخارف نباتية محوره وفوق العتب عقد عاتق من صنجات معشقة ، وبين العتب ، والعقد العاتق نفيس حفرت به زخارف نباتية رائعة يعلو واجهة السبيل نافذة مستطيلة ، أما الجزء الثاني من الواجهة الشرقية ينتهي في الطرف الجنوبي بشطف ينتهي بثلاثة صفوف من الدلايات، ويزخرف هذا الجزء أربع دخلات ، وهي تشبه دخلات الجزء الأول ، والمسافات بين الدخلات غير متساوية ، وأكبر المسافات بين الدخلة الثالثة

١- يقع السبيل على يسار الباب ، **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص ١٨٤ ؛ وقد اختير موضع السبيل بجوار المدخل لسهولة الفصل بين المناطق الطاهرة ومناطق الوضوء ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٤.

٢- الحجاب من الخشب المجمع بأشكال هندسية ويعتبر النموذج الأول من نوعه ، وقد رأيناه فيما بعد في أشعة أبواب حول الصحن بمدرسة إينال اليوسفي بالخيمة ، **حسن عبد الوهاب** ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ ؛ وتذكر **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٣٠٥، الحجاب مكون من خشب محزم على شكل أطباق نجمية .

٣- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٤٠ .

٤- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٤٠ .

٥- **حسن عبد الوهاب** : المرجع السابق،ص ١٨٤؛ **سعاد ماهر**: المرجع السابق ص ٣٠٥ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

والرابعة وهذا يرجع إلى أن هذه المسافة تكون جزءا من جدار القبلة يرتد جزء من هذه الواجهة ويحتوي علي دخله واحده ارتفاعها كباقي الدخلات ، ولجأ إلى ذلك المعمار لكي يوفر مساحة مربعة للقبه الصغيرة الواقعة على يسار إيوان القبلة[1]، وقد حوت هذه الواجهة حوضا لشرب الدواب يعلوه كتاب ، والحوض يقع على يمين الداخل للمدرسة وهي مبنية من مداميك كبيرة من الحجر الجيري تبعا للنظام المشهر[2] .

الواجهة الجنوبية :

وتطل على عطفة الكاشف ، يختفي جزء كبير منها خلف المنازل الحديثة ، التي بنيت ملاصقة لهذا الضلع من المدرسة ، وهذه الواجهة تحوي المدخل الجانبي للمدرسة وهو المؤدي إلى الصحن[3] ، يحتوي على دخلتين على يمين ويسار المدخل ، والدخله الأولى تعتبرا امتداد لدخلات الواجهة الشرقية والجزء الجنوبي الشرقي ، وعندها ينتهي الشريط الكتابي الذي يزخرف الواجهات ، وكذلك صف الحنيات والشرفات أعلاه ، والدخله الثانية على يسار المدخل [4] والجزء الأسفل منها يشمل نافذة مستطيلة يحيطها إطار خشبي ضيق ملئ بالمصبعات النحاسية وهذه النافذة تفتح على الإيوان الجنوبي وفوق النافذة عتب حجري مكون من صنجات معشقه فوقه عقد عاتق من صنجات معشقة وبينهما نفيس خال من الزخرف[5]

١- **ميرفت عيسى :** مدرسة خوند بركه ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

٢- **محمد الششتاوي سند الرفاعي :** منشآت رعاية الحيوان بالقاهرة في العصر المملوكي والثماني ، مخطوط رسالة دكتوراه مقدم لكلية الآثار جامعة القاهرة . سنة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م ، ص ٢٥ ـ **المشهر** هو تبادل مداميك الجدار بصف من الأحجار البيضاء وصف من الأحجار الحمراء أو الصفراء بطريقة تبادلية.منتظمة حتى نهاية الجدار وكلمة المشهر تعني الشئ الواضح والظاهر ، (**محمد الششتاوي : المرجع نفسه**).

٣- **صالح لمعي :** أسس التصميم ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى :** مدرسة خوند ، ص٤٢ .

٤- **ميرفت عيسى :** المرجع نفسه ، ص ٤٣ .

٥- **صالح لمعي :** المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى :** المرجع السابق ، ص ٤٣

حوائط هذه الواجهة أقل ارتفاعا من واجهات المدرسة وبها بقايا كوابيل حجرية تحمل براطيم [1] خشبية من المعتقد أنها كانت تحمل معبرة[2].

المداخل

المدخل الرئيسي للمدرسة [3]

يقع في الركن الشمالي للضلع الشرقي للمدرسة[4] وهو مدخل منكسر لا يؤدى مباشرة إلى المدرسة ، ولكنه يؤدى إلى دركاه مربعة لها بابان أحداهما على يمين الداخل والأخر على يساره [5] والباب الأخير يؤدي إلى دهليز مستطيل يتفرع منه دهليز أخر ينتهي بباب يفتح على صحن المدرسة[6].

المدخل عبارة عن كتلة بنائية ، يزخرف واجهة المدخل زخارف نباتية مورقة (اريبسك) محفور حفرا بارزا في الحجر تشمل شريطا كتابيا بالخط الكوفي[7] المزهر تشمل آية الكرسي[8] وأعلى هذه الزخارف النباتية بداية الشريط الكتابي

١- **البراطيم** في المصطلح الأثري لفظ حرفي يعني افلاج النخيل التي كانت تعمل من فلج جذوعه ، أو شقها إلي نصفين طوليين متساويين من أعلي إلي أسفل لكي تستخدم في تسقيف العمائر الأثرية وخاصة في العصر المملوكي (**حسني نويصر** : العمارة في مصر عصري الأيوبيين والمماليك ، ص ص٣٥ ؛ **عاصم رزق** : معجم المصطلحات ، ص ٤٦٧) .

٢- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٤٣ .

٣- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٧) .

٤- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٣٠٤ ؛ **صالح لمعي** ، أسس التصميم ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٤.

٥- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٤.

٦- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٥ ؛ **صالح لمعي** ، المرجع نفسه ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٤.

٧- الخط الكوفي المزهر هو الذي تنتهي حروفه بفروع نباتية تتماوج وتتثني وهي مرحلة متطورة لظهور الخط الكوفي المورق بدأت في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وازدهر الكوفي المزهر خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، انظر **برأفت النبراوي** :الآثار الإسلامية العمارة والفنون والنقود ، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٣٦.

٨- **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ، ص ١٨٧؛ **سعاد ماهر**: المرجع السابق، ص ٣٠٤؛ **ميرفت عيسى** :المرجع السباق ، ص ٤٤.

والذي يمتد من الركن الشمالي للواجهة الشرقية ليزخرف باقي الواجهات وفوق الشريط كوابيل خشبية كانت تحمل مشربية[1] .

وعلى جانبي المدخل مكسلتان حجريتين[2]، ويحيطها إطار قالبي بارز وهو جزء من الإطار الذي يحيط بكتلة المدخل . ويزخرف جانبي المدخل دخلتان ويزخرف الجزء الأسفل من الدخلات وأعلى الكوابيل الحجرية شريط كتابي ، وهو مرتد قليلا ويحوي نصا كتابيا نصه " بسم الله الرحمن الرحيم " **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾**[3]..... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي العدل في العالم (ين) مظهر الحق بالبراهين حامي حوزة الدين عز نصره" [4].

تنتهي الدخلات بعقود مدببة يغطيها أشرطة رخامية باللونين الأبيض والأسود بالتبادل تزين وجه العقد كالأشعة تخرج من مركز واحد يضم كلمة (يا كريم) وفي الدخلة اليمني (يا رحيم) في اليسرى ، ويعلو العقد المدبب في الدخلة عقد آخر

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٤٤- ٤٥ .

٢- **سعاد ماهر**: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٣٠٤؛ **صالح لمعي**: المرجع السياق ، ص ١٣٣؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٤- ٤٥ ؛ **المكسلة** : هي المسطبة كما في **صالح لمعي** ، المرجع نفسه ، ص ١٣٣

٣- **القرآن الكريم** : سورة الحج ، آية ٤١ .

٤- **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ، ص١٨٤ ، بخصوص عبارة عز نصره نجد أن هذه العبارة ظهرت في الكتابات بالعمائر المملوكية وكذلك المسكوكات المملوكية ، وذلك لان العصر المملوكي كان عصر حروب وكان أهم ما يتمناه المحارب هو تحقيق النصر على أعدائه لذلك كثر انتشار هذه العبارة الدعائية في العصر المملوكي .

مدبب يحوي شريطا كتابيا بالخط النسخ ، و يحيط بالعقد من أعلى وأسفل إطار من الحجر الأحمر والكتابة تشمل : بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** [1] .

ونجد في المدخل الرئيسي بابا يعتبر تحفه فنية رائعة بما يحويه من زخارف[2] فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته الذهبية وزخارفه المورقة بتواشيحه والكتابة الكوفية المحيطة به والتي اشتملت على آية الكرسي ، وهذا الباب متأثر بالعمائر السلجوقيه التي تعتني بزخرفه المدخل[3] ، ويعلو الباب عتب نقشت فيه زخارف نباتية ذات طراز متأثر إلى حد كبير بالأسلوب الصيني[4] ويعلو العتب عقد عاتق طرفه العلوي مسطح يحوي صنجات معشقه باللونين الأبيض والأحمر ، وفوق العقد العاتق نافذة قندليه[5] مكونة من فتحتين تعلوهما دائرة ويحيط بالنافذ إطار من صنجات رخامية معشقة باللونين الأبيض والأسود ، ثم يعلو ذلك قبة هرمية الشكل[6] مكونة من دلايات نظمت في مثلثات صغيرة في وضع هندسي جميل [7]

ويغلق على باب المدرسة باب خشبي ضخم مصفح بالبرونز ، ومواد أخرى ضاعت معالمها ولا تزال هناك قطعتان صغيرتان من البرونز معلقتان في مكانهما بالباب يزخرف ظاهر الباب وحدات هندسية مربعة ومستطيلة في أشكال متبادلة ، ثلاث وحدات

١- **القرآن الكريم** : سورة الحديد ، آية ٢١ .

٢- **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٨٣؛ **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ص ٣٠٤.

٣- **حسن عبد الوهاب** : المرجع نفسه . ص ١٨٣- ١٨٤ .

٤- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٤.

٥- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ص ٣٠٤ ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٦- **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ،ص ٤٧.

٧- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ص ٣٠٤

مربعة يعلوها اثنتان مستطيلتان[1] وفي تجويف المدخل الذي يبلغ عمقه ١,٧٥م يكتنف الباب مكسلتان يعلوهما حنيتان يعلوهما عقدان مفصصان ، وزخرفت طاقية العقد إشعاعات تنتهي بفصوص العقد ويحيط بالباب شريط من الكتابة الكوفية على أرضية نباتية[2].

يؤدي الباب إلى دركاه مربعة يغطي سقفها قبو مروحي حجري[3] يتوسطه صره محفورة بها زهرة ذات ثمانية فصوص وهي ملونة باللون الأزرق[4] وبالدركاه بابان احداهما على يمين الداخل والأخر على يساره ، الأول يؤدي إلى حجرة الكتابة ، والثاني يوصل إلى دهليز آخر يوصل إلى صحن المدرسة مباشرة[5].

يتقدمه الباب عتب رخامي معقود بعقد مدبب ، السفلى مكون من صنجات معشقة ، وفوق الباب نافذة مستطيلة ملئت بمصبعات نحاسية[6].

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٤٨ .

٢- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ص ٣٠٤.

٣- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ص ٣٠٥ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٤٩ .

٤- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ص ٣٠٤ ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

٥- **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ج١ ، ص ١٨٥ ؛ **سعاد ماهر** : المرجع السابق، ص ٣٠٥ ؛ **صالح لمعي** : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

٦- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

المدخل الجنوبي :

وهو المدخل الجانبي للمدرسة ويصل إلى الصحن مباشرة ، ويقع في دخله معقودة بعقد مدبب ويصعد إلى الباب بثلاث درجات ويتقدمه عتب جرانيتيه[1] ، وهو مدخل ثانوي بسيط يفتح في سمت الحائط[2] الخارجي يعلوه عتب ونفيس وعقد عاتق من صنجات معشقة ، ويلي فتحه الباب نافذة تشرف على دركاه[3] يحيط بها إطار خشبي ضيق والنافذة ملئت بالمصبعات النحاسية[4].

وتتكون هذه الدركاه من مساحه مستطيلة مغطاة بقبو نصف دائري عن يمينه باب الدخول للمدفن الجنوبي ، وفي ضلعه الشمالي الشرقي باب الدخول للصحن[5] وقد قل استخدام هذا النوع من المداخل البسيطة منذ العصر الفاطمي ، ولكنه ظل مستعملا في عصر دولة سلاطين المماليك ، واستخدم في ضريح مصطفى باشا وفي قبة سنجر المظفر[6].

الصحن :

الصحن يأخذ الشكل المستطيل ، تحيط بجوانب الصحن صف الشرفات، والحوائط من المشهر الأصفر والأحمر ، و يزخرف جدار الصحن أسفل أرجل عقود الأيونات إفريزان ، والشريط الأول وهو من الخشب ، وقد سقطت زخارفه ولم يبق

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند بركه ، ص ٥٠ .
٢- **صالح لمعي** : أسس التصميم المعماري ، ص ١٣٣.
٣- **صالح لمعي** : المرجع نفسه ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٩٠.
٤- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٥٠ .
٥- **صالح لمعي** : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٥١ .
٦- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٥١ .

منه سوى قليل جدا ، وفوقه شريط خشبي آخر أحمر اللون وهو ضيق جدا ويحوي زخارف نباتية ولا تزال منه بقايا يمكن رؤيتها في إيوان القبلة ، والأيون الجنوبي يزخرف نهاية جدار الصحن واسفل الشرفات شريط كتابي بالخط النسخ يشمل آيات قرآنية من سورة آل عمران ، وأرضية الصحن مغطاة بالبلاط[1] ، وقد ذكرت بعض المراجع أن أرضية الصحن كانت مفروشة بالرخام النفيس ، فيه تقاسيم جميلة[2] ، ولكن تلف الرخام وتم استبداله بالبلاط الموجود حاليا[3] ويفتح الصحن على أربعة أيونات[4] وبجانب كل إيوان مدرسة المذهب المخصص لها[5] .

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند بركة ، ص ٥٤- ٥٥ .

٢- **علي مبارك** : الخطط التوفيقية ، ج ٤ ، ص ٦٠ .

٣- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٥٥ .

٤-**حسن عبد الوهاب** : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٨٥ ؛ **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ؛ **صالح لمعي** : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ص ٥٥

٥- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ .

الأيــوانـــات

إيوان القبلة (الإيوان الشرقي)

يعتبر هذا الإيوان أكبر الأيونات[1] يأخذ الإيوان مساحه مستطيلة تشرف على الصحن بعقد مدبب[2] على شكل حدوة فرس ، والعقد من المشهر الأصفر والأسود يحيط به أطار من المدماك الأحمر اللون أما باقي وجهة الإيوان فمن المشهر الأصفر والأحمر[3]

ويتوسط إيوان القبلة محراب[4] وإيوان القبلة مغطى بسقف خشبي حديث[5] ويلفت النظر في الإيوان سقفه المحلي بنقوش زرقاء ومذهبه ،وقد احتفظ الإيوان الشرقي بكسوة الرخام بالمحراب والشباكين الجانبيين[6] .

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأوليازها ح٣ ، ص ٣٠٦ ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند بركة ، ص ٥٦ .

٢- **صالح لمعي** : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

٣- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٤- **صالح لمعي** : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ؛ **سعاد ماهر** : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

٥- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

٦- **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية ح ١ ، ص ١٥٨ .

المحراب[1]

يتوسط المحراب إيوان القبلة ، وقد زخرف ببانكات من الرخام متعدد الألوان[2] ، والمحراب عبارة عن حنية نصف دائرية تعلوها طاقية مدببة يتقدمها دخله معقودة بعقد مدبب، ترتكز على عمودين مثمنين من الرخام[3]، يزخرف الجزء السفلى من المحراب بانكه تتكون من ثمانية أعمدة ، ونصفي عمودان في الأركان ، ويزخرف تيجان الأعمدة زخارف نباتية مورقة بالأرابيسك ، وفوق البانكه بانكه أخرى ، وتزخرف قواعدها وتيجانها زخارف نباتية مورقة ، واعلي تلك البانكه شريط رخامي محفور بارزا بزخارف نباتية على شكل ورقة ثلاثية ، يخرج منها تفريعات وتتكرر هذه الورقة بأسلوب زخرفي متداخل .وأعلى هذا الشريط بانكة ، وهي غير مزخرفة وأعلاها شريط كتابي بالخط النسخ لأيات من سورة البقرة ، ويحيط بطاقية المحراب عقد مدبب مكون من صنجات معشقة مفصوصة على شكل ورقة نباتية ثلاثية، ويحيط بالعقد المدبب إطار رخامي أبيض ينتهي بميميه في الوسط تضم لفظ الجلالة (الله)[4] على جانبي المحراب عمودان رخاميان ذي قواعد وتيجان رمانية الشكل، وذي أبدان مثمنة حفرت بها زخارف نباتية مورقة أرابيسك[5]، يوجد بإيوان القبلة منبر خشبي يرجع إلى عصر المماليك الجراكسيه (٧٨٤-٩٢٣ هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧ م)[6]

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٨) .(البانكة : وهي صف من العقود محموله علي اعمدة)

٢- ميرفت عيسى : مدرسة خوند ، ص ٥٦ .

٣- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها ، ص ٣٠٦ ؛ صالح لمعي : أسس التصميم ، ص ١٣٢ .

٤- ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة ، ص ٥٧ - ٥٨ .

٥- سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ميرفت عيسى : المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٥٨ .

٦- سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ميرفت عيسى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

الإيوان الغربي :

هذا الإيوان مساو لإيوان القبلة ، فتحه الإيوان معقودة بعقد مدبب على شكل حدوة فرس، وهو من الأبلق الأصفر والأسود، ويحيط به إطار من الحجر ، يغطى سقفه سقف خشبي وتقتصر زخارفه على إفريزين خشبيين .

الإيوان الشمالي :

فتحة الإيوان معقودة بعقد مدبب من الأبلق الأصفر والأسود، يحيط به إطار حجري أحمر اللون . يغطيه سقف خشبي مسطح ، ويحتفظ بجزء من سقفه الأصلي الذي كان يزخرف بالرسوم النباتية والهندسية باللونين الأحمر والأزرق[1].

الإيوان الجنوبي :

وهو يشبه الإيوان الشمالي في البناء والتخطيط والزخرفة ، ويحتفظ سقف هذا الإيوان بما فقدته باقي الأيونات من زخارف على الرغم من تجديدها إلا أنه احتفظ بها، وبوسط صدر الإيوان دخله معقودة بعقد مدبب، يفتح الجزء الأسفل منه على نافذة تطل على الوجهة الجنوبية للمدرسة .

السقف مكون من براطيم ومربوعات تحوى بينها زخرفة نباتية مورقة (أرابيسك) وهندسية متنوعة وأشكال نجمية ويحيط بالسقف صف من الطاقات . وتنتهي أركان الإيوان الأربعة بمقرنص من طاقة ضخمة تنتهي بدلاية[2].

١- ميرفت عيسى : مدرسة خوند ، ص ٦٠ ، ٦١

٢- المرجع نفسه ، ص ٦١ .

القبـــاب

القبة الكبيرة

تقع هذه القبة على يسار الإيوان الشرقي[1]، يفتح على القبة بابان إحداهما في الضلع الشمالي للصحن ، ويقع هذا الباب في دخله ، والباب الثاني في الضلع الجنوبي لصحن المدرسة[2] .

والقبة عبارة عن جزء غير منتظم ويغطى هذا الجزء سقف خشبي من مربوعات[3] وبراطيم، ويزخرفه زخارف نباتية مورقة، وشريط كتابي بالخط النسخ يحيط بجوانب هذا الجزء أسفل السقف ويشمل أيات من سورة الفتح . يغطى القبة قبة مضلعة من الحجر محمولة في أركانها الأربعة على صف واحده من المقرنصات ، مكونة من مقرنص واحد يتوسطه حنيه كبيره كنوع من الزخرف يخرج منها أشعة باللونين الأبيض والأحمر بالتبادل مع تحديدهم بخطوط سوداء . تفتح في حوائطه نوافذ قنديلية من نافذتين مستطيلتين تعلوها واحدة مستديرة ، ويحيط بالنافذ إطار خشبي به سلك ، ويفتح في رقبه القبة ١٨ طاقه صغيرة ، تسع صماء وتسع مفتوحة ومزخرفه بالجص والزجاج المعشق سقط أغلبها . يزخرف رقبة القبة شريط كتابي بالخط النسخ المملوكي يحوي أيات من سورة الأعراف[4] .

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها ، ص ٣٠٦ ؛ **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٦٢

٢- **ميرفت عيسى** : في المرجع السابق، ص ٦٢.

٣- المربوعات تعد احد تقسيمات الأسقف الخشبية المملوكية المقسمة بواسطة براطيم إلي أشكال بحور ، وتسمي أشكال مستطيلة ، وأشكال مربوعات ، وهي أشكال مربعة بالسقف (**حسني نويصر** : العمارة في مصر عصري الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٦٢)

٤- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٦٢ :٦٥ .

يوجد في وسط الضريح تحت القبة تابوت رخامي كتب عليه " هذا ضريح ريحانه الجنة (الست المرحومة الدرة المكنونة ست الستات زين الخواتين ، الست زهرة ابنه المقام المرحوم الأمجد سيدي حسين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر شعبان بن حسين توفيت في يوم الاثنين ثان عشرين حمادي الأخر سنة أحد وسبعين وسبعمائة " [1]، وهذه القبة أقل ارتفاعا من القبة الجنوبية " الصغيرة "[2] إلا أنها تحوي محراب[3] .

المحراب

يتوسط الضلع الشرقي للقبه محراب ، وهو محراب صغير[4] يكتنفه عمودان مثمنان حليت تيجانها بزخارف مذهبه[5]، وقد سقطت زخارفه ولم يبق سوى زخارف طاقيته وعقده ، فزخارف الطاقية مشعه باللونين الأبيض والأسود، وينتهي بعد عقد المحراب ، يزخرف العقد قطع رخامية باللونين الأخضر والأحمر على شكل هندسي ويتوج العقد إطار من الرخام الأخضر[6] .

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧؛ **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٦٥ .

٢- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ٣٠٧ .

٣- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٥

٤- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

٥- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٢؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ٦٥ .

٦ - **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ،٦٥

القبة من الخارج

القبة مضلعة من الخارج[1]، وعدد فصولها ٣٢ ضلع ومنطقه الانتقال من الخارج على شكل درج مكون من ثلاث درجات ، يليها رقبة بها ١٨ نافذة، ويزخرفها شريط كتابي بالخط النسخ لأيات من سورة البقرة[2]. واعدت هذه القبة لدفن خوند بركه وقد دفنت معها ابنتها خوند زهرة[3] .

القبة الصغيرة [4]

تقع هذه القبة على يسار ايوان القبلة بابها يقع على يمين الداخل إلى البركاه التي بالمدخل الجانبي للمدرسة [5]، والدخلة معقودة بعقد مدبب، ويتقدم الباب عتب جرانيتية [6].

حجرة الضريح مربعه التخطيط ، وبها ثلاث نوافذ إحداها في الضلع الشمالي، والثانية بالضلع الجنوبي ويعلوها نافذة أخرى مستطيلة ، وتلك النافذة والتي أسفل منها يحيط بها أطار خشبي به مصبعات نحاسية، وفوقها

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها، ص ٣٠٦ ؛ **ميرفت عيسى**: مدرسة خوند ، ص ٦٥

٢- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ .

٣- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ ؛ **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٦

٤- انظر الملاحق ، لوحة رقم (١٩) .

٥- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص٦٦ .

٦- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ ؛ **صالح لمعي** : المرجع نفسه ، ص ١٣٢ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٦

٧- **ميرفت عيسى** : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

نافذة ثالثة قنديلية أما النافذة الثالثة ففي الضلع الشرقي[1] ، ويزخرف رقبة القبة ١٦ نافذة ثمان منها مفتوحة[2]، مملوءة بالجص والزجاج المعشق والأخرى صماء ، ويزخرف رقبه القبة شريط كتابي لأيات من سورة الزمر ويتوسط القبة دائرة صغيرة بها كتابة بالخط الثلث[3] نصها : -

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم أنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾[4] ، والقبة صغيرة بنيت من الحجر ، ومنطقه انتقالها من مقرنص كبير على شكل نصف دائرة كاملة التكوير[5] .

ويتوسط الضريح تحت القبة تابوت خال تماما من الزخرفة والكتابة[6] .

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها، ص ٣٠٦ ؛ **ميرفت عيسى**: مدرسة خوند ، ص ٦٧

٢- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦.

- الخط الثلث تتميز حروفه بالرصانة والاسترسال والتنوع في تخانات الحروف بحيث تنتهي بجزء رفيع ولقد التزم الخطاط بمراعاة معايير وقوانين كتابة الخط الثلث إلا أنه حاول إظهار المزيد من البراعة في كتابة الخط ، أنظر رأفت النبراوي : الآثار الإسلامية ص ٢٤٠

٣- **القرآن الكريم** : سورة الفتح ، أيه ١.

٤- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦.

٥- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٨ .

القبة من الخارج

وهي مضلعة من الخارج[1] يبلغ عدد أضلاعها ٢٤ ضلعا ، يزخرف رقبه القبة من الخارج شريط كتابي بالخط النسخ[2]، نصه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[3] ﴿ ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل أمن بالله وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ صدق الله العظيم[4] ، وفي هذه القبة دفن الأشرف شعبان وأبناؤه الذكور الملك المنصور[5]، والملك الصالح أمير الحاج ، وقاسم وأبو بكر[6].

المئذنة[7]

المئذنة ذات بدن مثمن[8]، وفي هذا المثمن يفتح باب المئذنة بالضلع الجنوبي معقود بعقد مدبب ، بداخل الباب سلم حجري حلزوني يدور حول عمود دائري في الوسط ، فوق هذا المثمن مثمن أخر ، فتح في الجزء الأسفل منه باب ، يعلو المئذنة

١- **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها ، ص ٣٠٦ .

٢- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٦٨.

- **الخط النسخ** يرجع الأصل في تسميته بخط النسخ إلى أن المصاحف أصبحت تنسخ به منذ أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كما أطلق عليه أيضا الخط المنسوب ولمزيد من التفاصيل عن هذا الخط انظر رأفت النبراوي : الآثار الإسلامية ، ص٢٣٩.

٣- **القران الكريم** : سورة البقرة ، أية ٢٥٥

٤ - **القران الكريم** : سورة البقرة ، أيه ٢٨٥.

٥- **سعاد ماهر** : المرجع نفسه ، ص ٣٠٦ ؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٨.

٦- **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٨.

٧- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٠) .

٨- **صالح لمعي** : أسس التصميم ، ص ١٣٣؛ **ميرفت عيسى** : المرجع نفسه ، ص ٦٩.

في الطابق المثمن الأول وهو معقود بعقد نصف دائري يؤدي إلى الممر المثمن الذي يقف فيه المؤذن للأذان ، وذلك المثمن مزخرف بأشكال هندسية على شكل مثلثات معدوله ومقلوبة[1] ويفتح في أربعة أضلاع فتحات يتقدمها شرفات ، وفوق البدن شرفه محمولة على مقرنصات، وهو يلتف حول بدن مثمن أصغر مزخرف بدلايات أفقية يتوجها من أعلى صفوف من المقرنصات وجوسق[2] المئذنة موجود[3].

١- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند ، ص ٦٩ ـ ٧٠.

٢- **جوسق** : معربه عن الفارسية ومقصود بها قصر صغير أو كوشك ، (**محمد الششتاوي** : منشأت رعاية الحيوان ، ص١٧)

٣- **صالح لمعي** : أسس التصميم، ص ١٣٣.

مدرسة تاتار الحجازية اثر رقم ٣٦[١]
٧٤٨- ٧٦١هـ / ١٣٤٨- ١٣٦٠م

الموقع

تقع هذه المدرسة بعطفة القناصين بالقرب من قسم الجمالية [٢]

المنشئ

الست تاتار الحجازية ابنة الملك الناصر محمد ابن قلاوون وزوجة بكتمر الحجازي ، وقد اشترت قصر قوصون بخط رحبة باب العيد ، وعمرته عمارة ملكية ، وتأنقت فيه وأجرت الماء إلي أعلاه ، وأنشأت تحت القصر اصطبلا كبيرا للخيول ، وهي منشئة المدرسة (**مدرسة تاتار الحجازية**) التي أصبحت فيما بعد مسجدا قاصرا علي الصلاة . وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية والمالكية ، وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة [٣].

١- انظر الملاحق ، شكل رقم (٨) .
٢- مجلة العمارة : العدد ٥- ٦ ، سنة ١٩٤٢م ، دار الكتب المصرية ، ص ٣٦ .
٣- المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

الوصف المعماري

يختلف تخطيط هذه المدرسة عن التخطيط الذي أتبعة المهندسون المسلمون في دولة المماليك ، وقد جرت العادة في تخطيط المدارس أن يكون لكل إيوانين متقابلين محورا طوليا منصفا لطولي وجهتيهما ، وعموديا علي محور الإيوانين الأخرين ، وموازيا لوجهتيهما لكن هذا لم يحدث في هذه المدرسة [١]، وسوف يتضح ذلك من خلال الوصف المعماري للمدرسة.

الواجهة الشمالية

تنقسم هذه الواجهة إلي قسمين الشمالي الشرقي و الشمالي الغربي . ففي الجزء الشمالي الشرقي يقع المدخل الرئيسي ، ويتوسطها شباك ذو مصبعات حديدية ، ويعلو الشباك عتب من صنجات معشقة تعلوها نفيس ، ثم عقد عاتق والشباك في دخلة يعلوها مقرنصات ذات دلايات ويعلو الواجهة شرفات بنائية ثلاثية .

الجزء الثاني : وهو الشمالي الغربي يفتح به باب الدخول من جهة الشرق ، يغلق علي مصرعي باب خشبي من ألواح خشبية رأسية خالية من الزخارف ، ويتقدم الباب عتب حجري ويعلوه عتب حجري من كتلة واحدة محمولة علي كابولين حجريين ، ويعلوه نفيس مصمت يعلوه عقد عاتق من سبع صنجات معشقة ، ويعلوه النص التأسيسي الذي يقع في صدر مقرنص . تنتهي الواجهة بصف من الشرفات علي هيئة ورقة ثلاثية قلبية .

الواجهة الجنوبية

يظهر من الخارج جزءها العلوي فقط ، حيث تظهر به ثلاث نوافذ مسدسة الأشكال ، بواقع اثنين يعلوها ثالثة ، أما باقي الواجهة من أسفل مغطاة بجدران ملاصقة لها .

١- مجلة العمارة : العدد ٥- ٦ ، سنة ١٩٤٢م ، دار الكتب المصرية ، ص٣٧ .

الواجهة الشرقية

تطل هذه الواجهة علي دورة مياه المدرسة ، وهي حجرية مصمتة

الواجهة الغربية [1]

تطل علي حارة القفاصين ، يعتبر الجزء الأوسط منها هو الواجهة الرئيسية للمدرسة ، يبدأ من الناحية الجنوبية بدخلة معقودة بعقد مدبب علي شكل حدوة فرس ، يتصدر هذه الدخلة باب راسي مستطيل ، يؤدي إلي داخل المدرسة، يعلو الباب شباك رأسي مستطيل يغطية من الخارج مخرزات حديدية، وعلي مسافة من الدخلة يوجد شباك رأسي مستطيل يغلق علي مصراعين خشبيين يزخرفهما من اعلي وأسفل شريطين نحاسيين خاليان من الزخارف ، ويعلو الشباك عتب حجري مستقيم مكون من خمس صنجات معشقة ، ويعلو العتب شباك مستطيل يغطية من الخارج حجاب خشبي مقسم إلي مربعات صغيرة ، يكتنف هذا الشباك شباكين آخرين متشابهين .

الواجهات الخارجية للملحقات

تتمثل ملحقات المدرسة في واجهتي الضريح والقبة التي تعلوه ، تطل أحداهما علي الجهة الشمالية والأخرى علي الجهة الغربية . كذلك المئذنة وهي تقع بأقصى الركن الجنوبي الغربي للمدرسة .

الواجهة الغربية للضريح

يعتبر جزء من الواجهة الغربية للمدرسة ، يتوسطها دخلة رأسية مستطيلة ، ويتصدر الدخلة شباك رأسي مستطيل ، تغطية من الخارج مخرزات حديدية مربعة ، ويغلق علية من الداخل مصراعين خشبيين ، مكونة من ألواح رأسية ، يزينها شريطين نحاسيين من اعلي وأسفل ، وهي خالية من الزخارف ، ينتهي الشباك من اعلي بعتب حجري مستقيم مكون من تسع صنجات معشقة يعلوه مدماك حجري ، ثم نفيس مصمت ويعلوه عقد عاتق مكون من تسع صنجات معشقة من الحجر المشهر ن تنتهي الدخلة من اعلي بصدر مقرنص .

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢١) .

الواجهة الشمالية للضريح

تشبه تماما الواجهة الغربية ، ويلاحظ أن كلا من الواجهتين يتوجها من اعلي صف من الشرفات الحجرية علي شكل ورقة نباتية ثلاثية قلبية

القبة من الخارج[1]

تظهر من فوق سطح المدرسة ، وهي ذات مسقط مثمن ، ويكل واجهة شباك توأم يعلوه قمرية ، تنتهي واجهة القاعدة بشريط حجري بارز يعلوه رقبة القبة التي ترتد للداخل ، وهي ذات قاعدة مستديرة المسقط وبها ثمانية شبابيك مستطيلة ، وتنتهي الرقبة بشريط كتابي حفر بالخط الثلث البارز ، يعلو الرقبة طاقية مضلعة يعلوها قاعدة نحاسية تحمل هلال نحاسي .

المئذنة [2]

عبارة عن قاعدة مربعة ، لها منطقة انتقال مثلثة وبدن المئذنة ثماني الشكل (ذات ثمانية أضلاع) ، يعلوها شرفة أولي ذات ترابزين من الحجر ، ثم شرفة أخري تزخرفها زخارف نباتية ثلاثية ، وأفرع نباتية متشابكة ، أما القمة فهي مفقودة .

المداخل

يمكن الدخول إلي المدرسة من مدخلين ، أحداهما الرئيسي والأخر الفرعي .

المدخل الشمالي

وهو المدخل الرئيسي للمدرسة، بسيط الشكل وهو عبارة عن فتحة باب يغلق عليه مصراعين خشبيين ، والباب خالي من الزخارف.

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٢) .

٢- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٣) .

المدخل الغربي

وهو المدخل الفرعي ، ويقع داخل دخلة معقودة بعقد مدبب ، يغلق عليه مصرع خشبي مكون من ألواح ، يبدأ الباب من أسفل بعتب مستقيم ، ويعلو الباب عتب حجري مكون من خمس صنجات معشقة .

الوصف من الداخل

تتكون المدرسة من صحن مستطيل الشكل ، يحيط به ثلاث ايونات أكبرها الإيوان الجنوبي الغربي .

الصحن

الصحن مستطيل الشكل ، وهو مفتوح سماوي ينتح عليه ثلاث ايونات .

إيوان القبلة[1]

هو مستطيل يطل علي الصحن بعقد ضخم مدبب ، يتوسطه حنية المحراب ، ويزخرفها زخارف رخامية من اللونين الأسود والبني ، يتوج حنية المحراب طاقية نصف برميلية مدببة مملوءة بزخارف نباتية متوجه بعقد مدبب ، مكون من ثمان صنجات رخامية معشقة بالألوان البني والأبيض ، وهي محمولة علي عمودين رخاميين متشابهين ، يحدد عقد طاقية المحراب شريط كتابي قرآني بخط نسخ . أرضية هذا الإيوان من البلاط الحجري ، وسقف الإيوان عبارة عن براطيم خشبية عددها تسع براطيم ، تحصر فيما بينها مناطق مربعة بها زخارف نباتية ، وأسفل السقف إطار خشبي يحوي آيات قرآنية عبارة عن آية الكرسي ، وآيات من سورة البقرة .

الإيوان الشمال

يطل هذا الإيوان علي الصحن ببائكة ذات ثلاث عقود ، وتحملها عمودين من الرخام اوسطهما اوسعهما ، وبهذا الإيوان دكة المبلغ التي تحملها أربعة أعمدة خشبية ، وبها سلم خشبي يصعد به إلي اعلي الدكة ، وبالجهة الشمالية الشرقية للإيوان يوجد

---

١ ـ انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٤) .

مدخل الضريح ، وفي الجهة الجنوبية الغربية يوجد باب مغلق ، الأرضية من البلاط الحجاري ، السقف خشبي مدبب ، وأسفل هذا السقف شريط كتابي به آيات قرآنية من سورة الفتح .

الإيوان الجنوبي

يطل علي الصحن بعقد حدوة فرس ن وهو اصغر الايونات الثلاث ، يتوسطه محراب بسيط الشكل له تجويف نصف دائري تعلوه طاقية المحراب ، وعلي جانبي المحراب دولابين حائطيين ، وبه جزء من النص الكتابي الذي يدور بأجزاء المدرسة . سقف الإيوان عبارة عن سقف خشبي له سبع براطيم تحصر بينها مناطق مربعة مستطيلة عليها زخارف نباتية حديثة ، وأسفله إطار كتابي به آية الكرسي ، أرضية الإيوان من البلاط الحجاري .

الضريح من الداخل

عبارة عن حجرة مربعة الشكل في الجهة الجنوبية الشرقية منها محراب بسيط الشكل ، يتقدمه عمودان من الرخام ، وبه دولابين حائطيين ن الضريح له مناطق انتقال عبارة عن مقرنصات تحول المربع إلي مثمن ، ويحيط بالضريح شريط كتابي ، يتوسط الضريح تركيبة رخامية تعلو مدفن صاحبة المدرسة بها آيات من سورة النور من الآية ٣٥ إلي الآية ٤٣ .

المنبر

المنبر بسيط الشكل يتكون من مقدمه يعلوها صف من الشرفات ، ويزخرفه حشوات هندسية بسيطة عبارة عن مربعات ومستطيلات ، والمنبر عبارة عن خمس درجات تصل إلي جلسة الخطيب ، يعلوها جوسق المنبر وهو بسيط الشكل .

المحراب [1]

وهو المحراب الرئيسي للمدرسة ، وهو عبارة عن دخلة يعلوها عقد حدوة فرس ، تليها دخلة أخري يوجد بها تجويف المحراب ، يتوسط التجويف زخارف الدقماق مصنوعة من الرخام ، ويعلوها زخرفة عبارة عن عقود ترتكز علي عمودين ، بداخل هذه العقود زخارف نباتية تشبه الأرابيسك ، يعلوها شريط كتابي .ويعلو طاقية المحراب عقد حدوة فرس ، عبارة عن صنجات معشقة من الرخام الأبيض والأسود والأحمر ، ويحيط بكوشتي عقد المحراب شريط كتابي ، يتقدم المحراب عمودين رخاميين [2].

١ـ انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٥) .
٢ـ المجلس الاعلي للآثار ، مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية ، مدرسة تاتار الحجازية ، اثر رقم ٣٦ ، ص ١ـ ٢٠ .

رباط[1] زوجه السلطان إينال [2]
(٨٦٥ ـ ٨٨٤ هـ / ١٤٦١ ـ ١٤٧٩)

الموقع

حارة الرباط من حارة قاضي البهار ، باب الشعرية بالقاهرة[3].

منشئة الأثر

أمرت بإنشاء هذا الرباط المبارك " **الجهة** " الشريفة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع " **الخوند زينب ابنه العلاء** " ، مولاتنا السلطان الأشرف أبو النصر إينال " غفر الله له ورحمه " [4] هي أم الملك المؤيد أحمد بن الأشرف إينال وكانت من أجل الخوندات قدرا ومقاما ، وحظيت في دولة زوجها الأشرف إينال غاية العز والعظمة ، حتى أصبحت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل ، كانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة ، في سعه من المال ، ولم تتزوج بعد الأشرف إينال ، كما لم يتزوج هو غيرها ، وقد صادرها الظاهر خشقدم أكثر من مرة ، وأخذ منها كثير من المال ، وهي ما زالت باقية على عزها ، توفيت في جمادي الأولى سنة ٨٨٤ هـ / يوليو ١٤٧٩م في ثغر الإسكندرية رحمها الله[5].

---

١ ـ **الرباط** : ربط الشيء ، يربطه أي يشده والرباط ما يربط به والمرابطة ملازمة ثغر العدو ، واصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر ومنها أصبح الرباط والمواظبة على الأمر ، كذلك المواظبة على الطهارة والصلاة والجهاد ، ورابطت أي لازمت ومن هنا جاء الخلط بين الخانقاه والرباط والزاوية ، فهي جميعا بيوت للصوفية، ولكن لفظ رباط في العمارة في العصر المملوكي يدل على مبنى عبارة عن ملجأ مخصص لفقراء المسلمين أو العقاء أو الجند البطالين ، ويتأكد هذا من الربط الخاصة بالنساء والتي كانت كالمستودع للنساء الأرامل ، أي ملجأ لهن وكان سكان الرباط يمارسون نشاطهم الديني لانقطاعهم عن الحياة ولكن بصورة مختلفة عن التصوف ، وبمرور الزمن أصبح سكان الخانقاه يختلفون عن سكان الربط ودأب بعض الناس على إنشاء الربط وإنزال عدد قليل بها حتى أصبحت خنقاه صغيرة (د.محمد محمد أمين ـ ليلى علي إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية " ٩٤٨ ـ ٩٢٣ هـ /١٢٥٠-١٥١٧ م " الطبعة الأولى نشرت في مصر عام ١٩٩٠م ، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ص ٥٢ .

٢ـ انظر الملاحق ، شكل رقم (٩) .

٣ـ سمير عبد المنعم حضري غنيم : الأربطة الباقية بالقاهرة من العصر المملوكي ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ /١٢٥٠-١٥١٧م ـ مخطوط رسالة ماجستير مقدم لكلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٤١٩ هـ /١٩٩٨م ، ص ١٢٣ .
٤ـ سمير عبد المنعم : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
٥ـ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ١٥٦-١٥٧ .

الوصف المعماري للرباط

الرباط يأخذ شكل مستطيل يتوسطه صحن مكشوف سماوي، وفي الجهة الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية إيوانان أكبرهما إيوان القبلة يحيط بالصحن والايوانات (غرف السيدات الأرامل)، وللرباط مدخل واحد ذو دركاه تؤدي إلى دهليز منكسر يؤدي إلى الصحن وبالدهليز سلم يؤدي للطابق العلوي للرباط[1].

المدخل[2]

المدخل من النوع البارز ، ولكن حجبته المنازل المجاورة يتوجه الباب عتب حجري حلى بزخارف نباتية[3]، تؤدي فتحة الباب إلى دركاه مستطيلة الشكل يتصدرها في مواجهة الداخل دخله ع، ويغطى الدركاة قبو مروحي مركب متطور زخرف قطبه بزخرفه هندسية[4] على شكل سداسي[5] .

١- سمير عبد المنعم : الأربطة الباقية ،ص ١٢٥ .

٢- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٦) .

٣- الزخارف النباتية : اكثر أنواع الزخارف انتشارا في الفنون الإسلامية والعمائر ويرجع هذا إلى كراهية الإسلام للتصوير وخاصة الكائنات الحية مما أدى الإقبال على استخدام العناصر النباتية في زخارفهم ، فكانوا يستخدمون الجذع والورقة لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتقابل و مناظر وتبدو عليها مسحه هندسية تدل على سيادة مبدأ التجديد والرمز في الفنون الإسلامية ، انظر (زكي حسن : فنون الإسلام القاهرة ، ١٩٤٨ ،ص ٢٤٩ - ٢٥٠) .

٤- الزخارف الهندسية : من العناصر الأساسية في الزخرفة في الفن الإسلامي واستخدمت في زخرفة العمائر والتحف الفنية بكل أنواعها وقد أتقن المسلمون هذا النوع ، (زكي حسن : فنون الإسلام ، ص ٢٤٨) ؛ وكانت الطرز الهندسية تتكون من العناصر الآتية الخطوط بأنواعها المستقيمة والمائلة والمنكسرة والمتموجة ومن المربع والمستطيل والمعين والمثلث والدائرة والعقود بأشكالها المختلفة ، والأشكال السداسية والمثمنة والمتعددة والأضلاع والأطباق النجمية ، وشاع هذا النوع من الزخارف في العصر المملوكي، (سعاد ماهر : الخزف التركي، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ،ص ١٠٥ -١٠٦).

٥- سمير عبد المنعم : المرجع السابق ،ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الصحن

يتوسط الصحن الرباط ، ويأخذ شكل مقارب للمربع أرضيته تنخفض عن أرضية الإيوان.، ويفتح عليه ستة أبواب ثلاثة في الجانب الشمالي الشرقي ، وثلاثة في الجانب الجنوبي الغربي . جميع غرف الرباط مغطاة بقبوات حجرية نصف دائرية العقد أما الجانبين الشرقي والشمالي الغربي من الصحن فيوجد بهما إيوان القبلة والإيوان المقابل له ، يطل كل منهما على عقد مخموس[1] .

إيوان القبلة

يتخذ شكل مستطيل يتوسط إيوان القبلة حنية ، ويتوجها طاقية ذات زينة مشعه نفذت بطريقة معمارية ولم يبق إلا آثارها ، يحيط بالطاقية عقد حدوة فرس[2] تتناوب صنجاته بين اللونين الأبيض والأحمر ، تبعا للنظام المشهر وفوق كوشتي العقد نص كتابي لم يبق منه إلا آثار قليلة[3]، يكتنف حنية المحراب دخلتان فوق كل منهما عتب يعلوه عقد عاتق[4] ، وتفتح على الإيوان أربع غرف اثنتان بالجانب الجنوبي الغربي ، واثنتان

١- سمير عبد المنعم : الأربطة الباقية بالقاهرة ، ص ١٢٥ . **العقد المخموس** :العقد وحدة معمارية بنائية ذات هيئة مقوسة أيا كان نوعها ، ويتكون العقد من عدة أحجار متجاورة تتوسطها صنجه ، أما العقد المخموس فيتألف من قوسين دائريين ويرتد امتدادة من أسفل عن خط امتداد كتفيه مثل العقد الرباعي ، لذلك سمي بالعقد المرتد أيضا ، وهو يشبه عقد حدوة الفرس ، غير انه مدبب الرأس ، وقد شاع استعماله في المغرب والأندلس . (عاصم رزق : معجم المصطلحات ، ص ١٩٦-١٩٧) .

٢- **عقد حدوة الفرس** : يتألف من قطاع دائري أكبر من نصف دائرة ؛ **زكي حسن** : فنون الإسلام ، ص ١٥٠ ؛ وقد ظهر هذا النوع من العقود في ثاني أثر معماري في العالم الإسلامي ، وهو المسجد الأموي بدمشق ، **فريد الشافعي** : العمارة العربية في مصر الإسلامية : عصر الولاة ،١٩٧٠م ، ص ٢٠٣.

٣- سمير عبد المنعم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

٤- **عقد عاتق** : ظهر هذا النوع من العقود في العمارة الإسلامية واستعمل بكثرة في مدرسة أم السلطان ، حيث بها عقود عاتقه مكونة من صنجات معشقة تنوعت أشكالها وزخارفها، فمنها ما هو على شكل الورقة الثلاثية النصوص ، وما هو على شكل أنصاف دوائر ، ميرفت عيسى ، مدرسة خوند بركه ، ص ٩٧ - ٩٨ .

بالشمالي الشرقي، وفوق باب كل منهما شرفه عبارة عن حجاب خشبي، ويغطى الإيوان قبو فتحته على هيئة عقد مخموس .[1]

الإيوان الشمالي الغربي

يتخذ شكل مستطيل، وهو مثل ايوان القبلة من حيث الارتفاع عن أرضية الصحن وسقفه ، وعقد فتحه القبو ، تحيط به الغرف مختلفة المساحات من جميع الاتجاهات عدا الجهة التي يطل منها على الصحن[2] .

أعمال الترميم برباط خوند زينب

كان الرباط يستخدم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، وبالتحديد سنة١٣٠٥هـ /١٨٨٧م كمأوى للفقراء، وكان يؤجر لهم من قبل نظارة الأوقاف التابع لها ووصفته لجنة حفظ الآثار بمصطلح تكية ، وكانت حالته سيئة فأمرت اللجنة بسرعة عمل تقويات لمنع سقوط الحوائط ورفع الأتربة ، وعدم تأجير وأجرت له عمارة شاملة في عام ١٣٠٥ هـ /١٨٨٧ م.[3]

لكن على الرغم من توصية لجنة حفظ الآثار بعدم تأجيره ، فإنه ظل مستخدما للمسكن مؤجر للفقراء ، حتى أكد القسم الصحي بعدم صلاحيته للسكن لسوء حاله المراحيض وتم إخلاءه[4] .

١ـ سمير عبد المنعم : الأربطة الباقية ، ص ١٢٦ .

٢ـ سمير عبد المنعم : الأربطة الباقية ، ص ١٢٦ .

٣ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : المجموعة ٥ عن سنة ١٨٨٧ـ ١٨٨٨م ، ص ٥٤ .

٤ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : المجموعة ٥ عن سنة ١٨٨٧ـ ١٨٨٨م ، ص ٥٤

قامت وزارة الأوقاف بعمل ترميم للرباط، غير أنه أتضح للجنة القومسيون المشكلة عام ١٣١٤هـ /١٨٩٦م، أنها غير مراعية للبناء القديم وتغير آنذاك الاسم من تكية إلى رباط، وأتضح أنه الرباط الوحيد الباقي من أربطة عصره[1] . وفي عام ١٣١٤ هـ /١٨٩٦ م، تم تسليم الرباط من وزارة الأوقاف إلى لجنة حفظ الآثار التي تعهدت بالمحافظة عليه [2]. تم ترميم وتقوية وبناء لمدرج المدخل في جمادى الأخر ١٣١٧هـ/ أكتوبر ١٨٩٩م، وقد أهمل بعد ذلك من نهاية القرن ١٩ م ، حتى منتصف القرن العشرين ففي عام١٣٦٩ هـ/ ١٩٤٩ م قامت لجنة حفظ الآثار بإجراء عمارة كبيرة له شملت إزالة الأتربة التي وصلت إلى عمق ٢م، وإزالة جميع المباني الحادثة من سلالم وحوائط للكشف عن أرضيات الرخامية والحجرية وحوائط الحجرات والمدخل والصحن[3] . في الفترة من شوال سنة ١٣٧١هـ/ يوليو ١٩٥١م، حتى جمادي الاول١٣٧١ هـ/ يناير ١٩٥٢م ،وقد أجريت له عمارة أخرى تم فيها هدم مباني من الحجر عبارة عن عقود وحوائط للجيران والدهاليز [4] ، أما في عام١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م ، فقد كانت الأتربة قد تراكمت إلى عمق ٢م، فقامت اللجنة برفعها ، وهدم حائط الخندق الذي أمام المدخل وفك درجة وإعادة بناءه، وعمل عمارة كبيرة لدرج المدخل من أساسان وخندق وخرسانة، وبلاطات حجرية ودرج[5] ومنذ عام ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م، إلى الأن لم يحظ الرباط بأي اهتمام بالرباط حيث آل للخراب[6]

١ـ سمير عبد المنعم : الأربطة الباقية ، ص ١٢٥ .

٢ـ كراسات لجنة حفظ الآثار العربية : المجموعة ١٣ عن سنة ١٨٩٦ م ،المطبعة الأميرية بولاق ، مصر ١٨٩٩ م ، ص٣٤ .

٣ـ ملفات هيئة الآثار ، اثر رقم ٦١ .

٤ـ سمير عبد المنعم : المرجع نفسه ، ص١٣٥ .

٥ـ ملفات هيئة الآثار : اثر رقم ٦١ .

٦ـ سمير عبد المنعم : المرجع السابق ، ص ١٣٥

منزل زينب خاتون بالأزهر[1]
(٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م)

الموقع

يقع منزل زينب خاتون عند تقاطع عطفة الأزهري مع زقاق العنبة خلف الأزهر

المنشي

ينتسب هذا المنزل إلي **زينب خاتون ابنة عبد الله البيضا** معتوقة محمد بك الألفي ، وزوجة الشريف حمزة الخربوطلي احد كبار رجال الدولة ، ولم تنجب منه أبناء ، فشاركها الشريف بكير الخربوطلي ميراث أخيه ، وقد لقبت (المصونة خاتون) وهو من الألقاب التي تختص بالطبقة الحاكمة . كان هذا المنزل ملك **لخوند شقرا ابنة الناصر حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون** في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وانتقلت ملكيته من شخص لأخر حتى وصلت في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلي **زينب خاتون التي عرف باسمها المنزل .**

١- انظر الملاحق ، لوحة رقم (٢٧) ، شكل رقم (١٠) .

الوصف المعماري

يتكون المنزل من طابق ارضي ويتوسطه صحن مكشوف وطابقين علويين.

الطابق الأرضي[1]

يتكون هذا الطابق من واجهة رئيسية في الناحية الجنوبية ، بها مدخل رئيسي منخفض يؤدي عبر ممر منكسر إلي صحن مربع ، وعلي يمين الممر الطاحونة الخاصة بالمنزل . أما الضلع الشرقي يحتوي علي باب يؤدي إلي القاعة الخاصة بالرجال (الحرملك) ويجاورها من الطرف الشمالي من نفس الضلع باب يوصل إلي السلم المؤدي للطابق العلوي الأول حيث القاعة الرئيسية الكبري . أما في ضلعه الغربي باب يوصل عبر سلم صاعد إلي القاعة الصغرى وملحقاتها . ويحتوي الضلع الشمالي علي بابان صغيران يؤديان إلي أماكن حفظ متعلقات المنزل . والضلع الجنوبي يحتوي علي سلم يؤدي إلي المقعد الصيفي .

الطابق العلوي الأول[1]

يشتمل هذا الطابق علي مقعد صيفي مستطيل يشرف علي الصحن ببائكة ذات عقدين يتوسطهما عمود رخامي ، وبه عدة دواليب حائطية ذات درف خشبية لحفظ حاجيات صاحب المنزل . وفي الضلع الشرقي باب يؤدي إلي خزانة اعلي جدرانها شريط كتابي يتوسطة رنك الكأس (وهي الشارة الرسمية لوظيفة الساقي في العصر المملوكي) . أما القاعة الكبري في هذا الطابق عبارة عن مساحة مستطيله يغطيها سقف خشبي مزين بمربعات ومستطيلات ذات زخارف نباتية عثمانية الطراز ، تتكون من تفريعات وأوراق وزهريات مملوءة بالورد ، تتوسطها در قاعة فرشت أرضيتها برخام ملون دقيق . ويكتنفها من الناحية الشمالية والجنوبية إيوانان فرشت أرضيتهما ببلاطات من الحجر المستطيل ، وفي الشمال منها عدة دواليب حائطية ذات درف خشبية ، وفي الجنوب صدر خشبي مقرنص في أسفله سلسبيل رخامي لتبريد المياه . وتطل القاعة الكبري علي الصحن بمشربية من خشب الخرط الميموني الدقيق ، ذات أشكال هندسية من كتابات قرآنية .

١- انظر الملاحق ، شكل رقم (١١) .
٢- انظر الملاحق ، شكل رقم (١٢) .

القاعة الصغرى

يؤدي إليها باب في الضلع الشمالي من القاعة الكبري ، وهي مستطيلة الشكل ، تتوسطها در قاعة يكتنفها إيوانان صغيران . وتشرف هذه القاعة علي الصحن بمشربيات من خشب الخرط الميموني ، تعلوها نوافذ من الجص المعشق بالزجاج الملون ، في عناصر نباتية وهندسية وأشكال زهريات ، فضلا عن كتابات عربية أهمها البسملة . في الضلع الشمالي لهذه القاعة باب يوصل إلي الحمام الخاص بها وملحقاتها .

الطابق العلوي الثاني[1]

يحتوي علي قاعة صغيرة ، وغرفة ملحقة بها ذات مستويين ، بها دورة مياه ومطبخ صغير ، وممر يربط بينهم جميعا ، ويشرف هذا الطابق علي الصحن بشباكين الأول من الخرط الميموني تزينه زهريات ، والثاني من الجص المعشق بالزجاج الملون تزينة زهرية أخري تخرج منها فروع نباتية بالغة الدقة والإبداع . ويعلو هذه القاعة سطح المنزل ويضم شخشيختين أحداهما فوق القاعة ، والأخرى فوق القاعة الصغرى[2].

الخاتمة

١- انظر الملاحق ، شكل رقم (١٣) .
٢- انظر الملاحق ، شكل رقم (١٤) .

الخاتمة

اتسمت مجتمعات العصور الوسطي الإسلامية بأنها كانت مجتمعات رجالية في المقام الأول، لكن المرأة استطاعت في عصر المماليك أن تؤكد وجودها بشكل واضح وجوهري ملموس ، فشاركت في الحياة العامة وحاولت الدفاع عن حقوقها وحريتها ، ولم تكن المرأة في تلك الفترة مستسلمة للأوضاع القائمة أنذاك .

كانت المرأة في العصور الوسطي مثل جميع النساء في أي عصر ومكان تهتم بالبيت والأسرة ، وخاصة الأبناء، كما كانت المرأة تحتفل بكل المناسبات العائلية من زواج ، وختان ، وولادة وغيرها من الاحتفالات العائلية ، وكانت فرحة الأسرة كبيرة عندما ترزق بمولود ذكر ويكون الاحتفال به كبير ، فضلا عن أن المرأة نالت قدرا كبيرا من الحرية ، وظهر لنا ذلك جليا من خلال نشاطها ، والأعمال التي كانت تمارسها وتقوم بها ، وقد اهتمت النساء في تلك الفترة أيضا بالناحية الدينية، وحضور مجالس العلم.

تميزت فترة حكم المماليك بالاهتمام بالرفاهية والبذخ والاحتفالات الفخمة، كما اهتم المماليك بالغناء والموسيقي والفنون المختلفة ، وظهر ذلك من خلال شغفهم بالمغنيات والجواري ، اللاتي انتشرن في تلك الفترة بصورة كبيرة .هذا فضلا عن اهتمام المرأة بأناقتها ومظهرها ، وخاصة الحلي والملابس، كما حرصت علي اقتناء كل ما هو نفيس في منزلها وخارجه ، هو ما يتفق وروح العصر الذي تعيشه ، من بذخ وترف شمل كافة نواحي الحياة .

علاوة علي ذلك فقد ظهر للمرأة دور فعال في سياسة الدولة ، ولكن بما يتفق مع الظروف التي أحاطت بها ، فقد وصلت بعض النساء إلي التحكم في أمور الحكم من عزل وولاية ،وكانت كل من هؤلاء النساء

ترغب في الحفاظ علي مكانتها بكافة الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

والحقيقية أن موضوع البحث كان يستلزم من الباحثة أن تستفيد من المصادر التاريخية والأثرية بالتساوي ذلك لأن المعلومات التاريخية بمفردها لا تكفي وتضافرت الآثار بما عليها من معلومات قيمة معاصرة للأحداث مع التاريخ في إمداد الباحثة بصورة واضحة متكاملة عن فترة بحثها، فاستطاعت أن تقدم لقارئ تلك الصفحات المتواضعة معلومات عن الدور الذي لعبته المرأة في عصر سلاطين المماليك . وقامت الباحثة بنشر عقد زواج يرجع للعصر المملوكي باسم ليلي بنت سليمان الناهي ، وهذا العقد لم يسبق نشره ولا دراسته من قبل ، وإذا كانت الباحثة قد قصرت في بعض النقاط فإن الكمال لله وحده .

الملاحق

لوحة رقم (١)

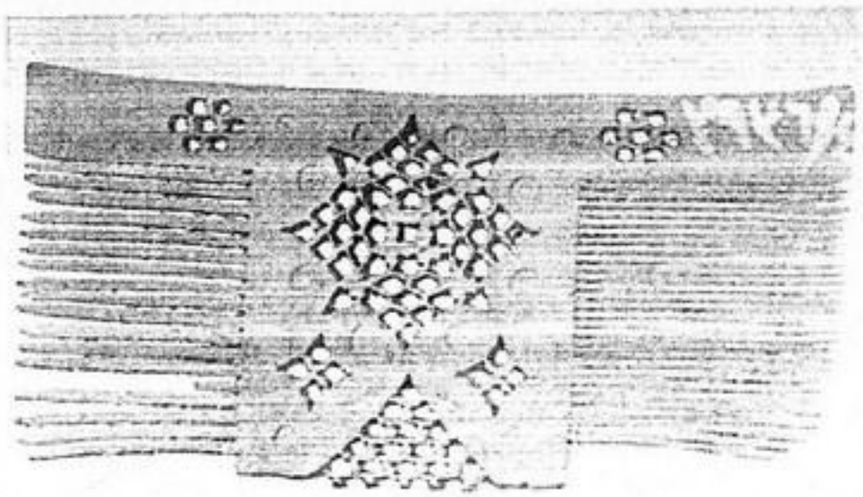

مشط من الخشب عليه زخارف مفرغة ، يرجع إلي القرن(٨ هـ / ١٤ م) العصر المملوكي ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ٣٩٣٦ .

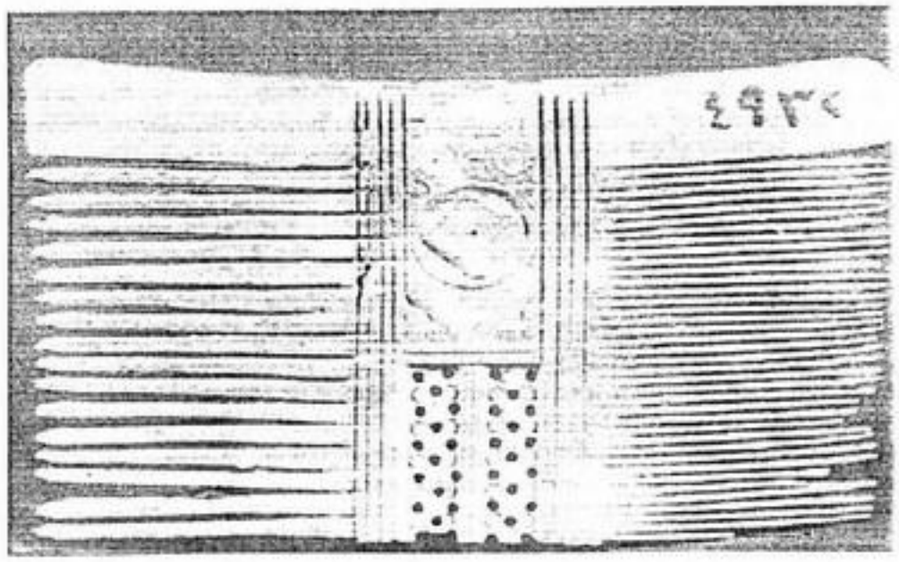

نصف مشط من الخشب منقوش عليه زخارف مفرغة من الوسط يطوها رنك البقجة ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل٤٩٣٢ .

لوحة رقم (٢)

مشط مجوز مكسور ملصقة عليه زخارف باللون الأصفر ، الجزء الأوسط من المشط من السن عليه بالبارز صور حيوانية ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ٧٠٩٠ .

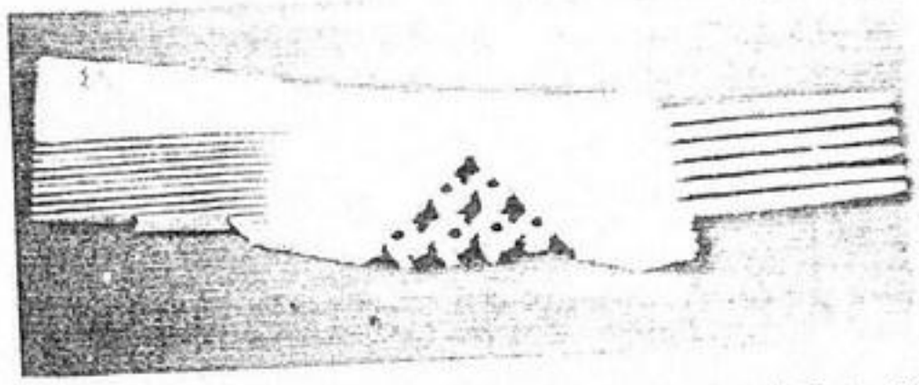

جزء من مشط من العاج وسطه مفرغ ، وبه اثر نقش مموه بالذهب ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ٤٩٦٠ .

لوحة رقم (٣)

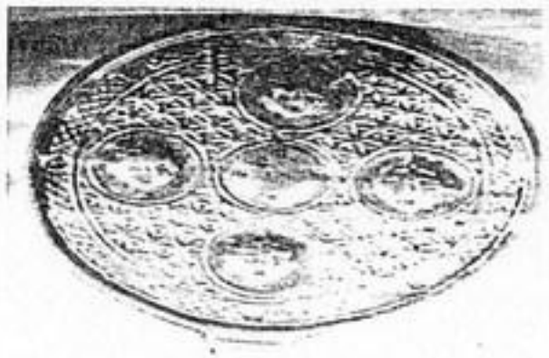

مرآة من النحاس مستديرة الشكل لها مقبض ، وعلي احد وجهيها زخرفة بارزة عبارة عن خمس دوائر كل منها وجه ادمي ، متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ١٥٣٣٣ .

لوحة رقم (٤)

مرآة من الحديد مستديرة الشكل لها مقبض طويل وعليها كتابة بالخط النسخ مع دوران المرآة ، وتحصر الكتابة دوائر بداخلها زخارف نباتية متشابهة ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ١٥٣٢٩ .

لوحة رقم (٥)

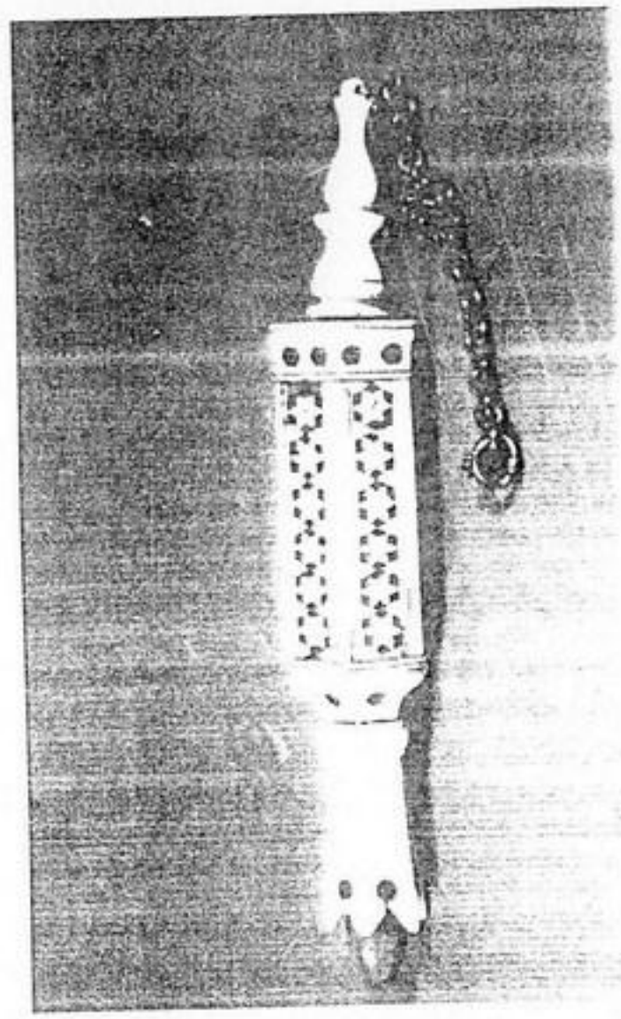

مكحلة من العاج علي شكل منشور مسدس ، مزخرف بالتطعيم عبارة عن نجوم سداسية ، ولها غطاء ومرود وأسفلها مستطيل به شكل بيضاوي أحمر ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ٤٠٥٠ .

لوحة رقم (٦)

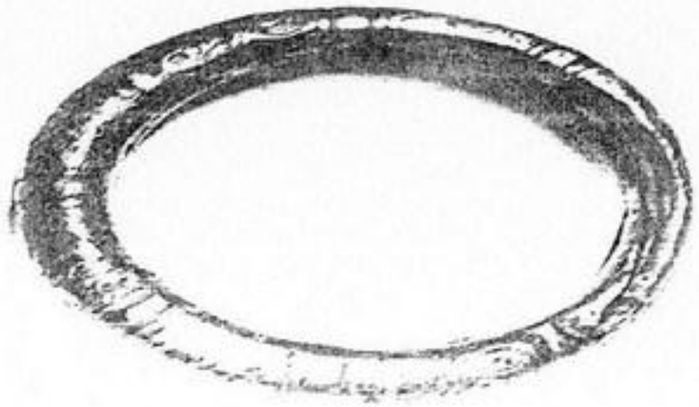

أسورة سميكة من الفضة عليها زخارف نباتية منفذة بالحفر ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ١٤٣٤٣ .

تفصيل لجزء من الأسورة تتضح فيه لزخارف

لوحة رقم (٧)

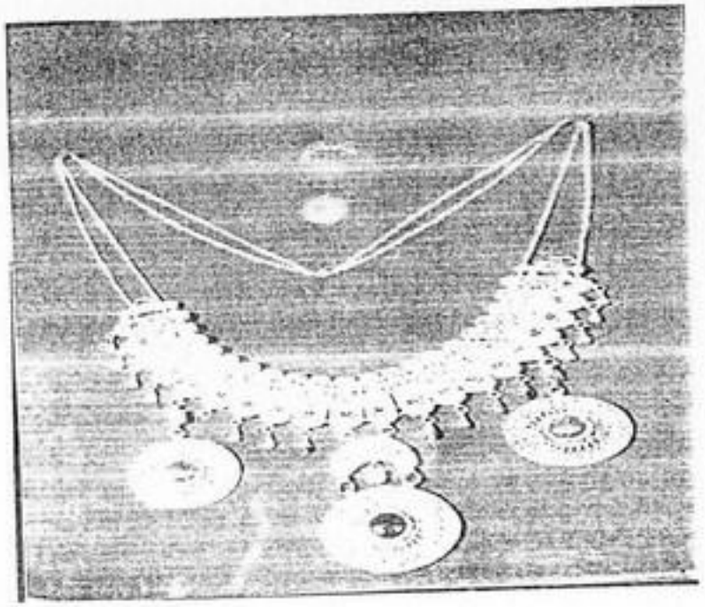

عقد من الذهب يرجع إلي العصر المملوكي ، مكون من عشرين مملكا ، شغل شفتشى شكلها بيضاوي واعلي كل منها لؤلؤة صغيرة يتدلي منها ثلاث دلايات مستديرة من الذهب شغل شفتشى ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم سجل ١٣٧٤٩ .

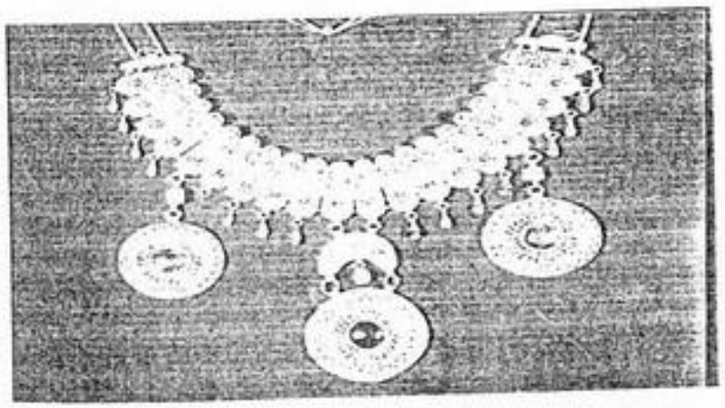

تفصيل لجزء من العقد تتضح فيه لزخارف

لوحة رقم (٨)

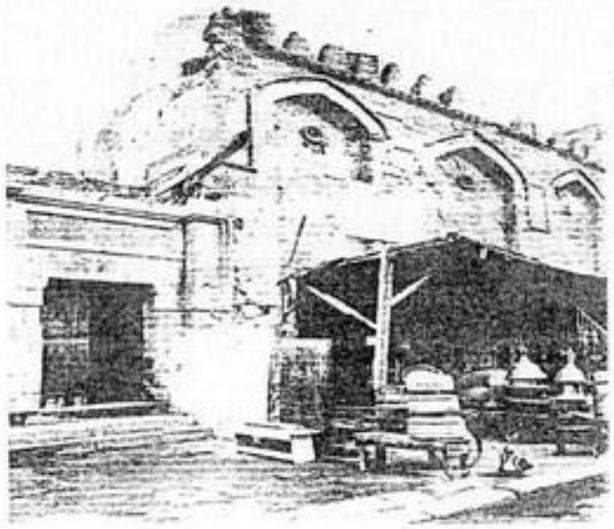

ضريح الصالح نجم الدين أيوب

لوحة رقم (٩)

ضريح شجر الدر

لوحة رقم (١٠)

المدخل الرئيسي لضريح فاطمة خاتون

لوحة رقم (١١)

ضريح فاطمة خاتون من الخارج

لوحة رقم (١٢)

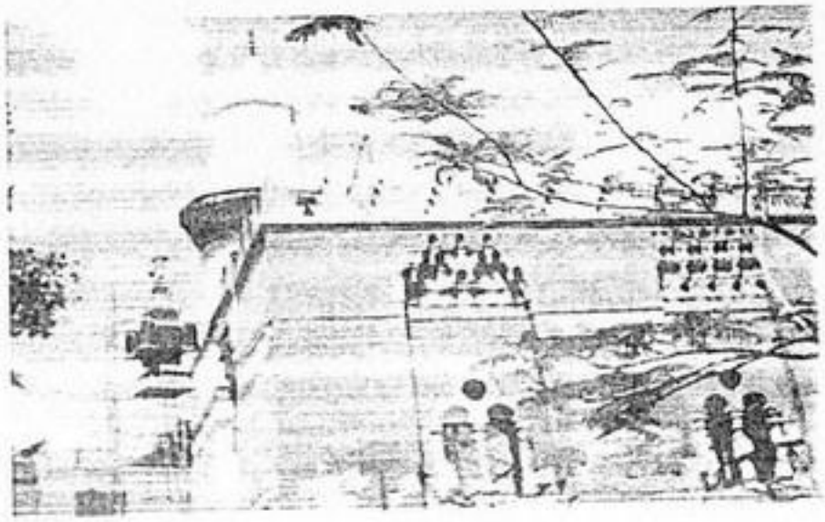

مسجد الست مسكة

لوحة رقم (١٣)

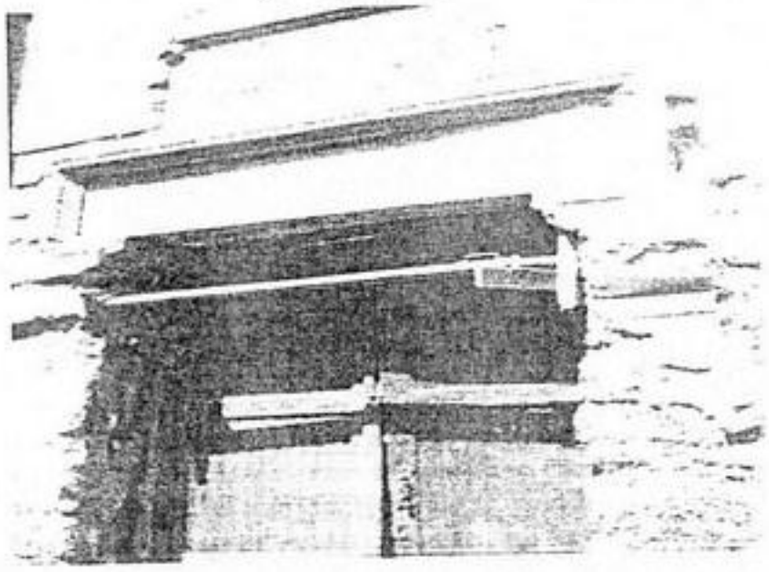

مدخل مسجد الست مسكة

لوحة رقم (١٤)

خانقاة طغاي (أم آنوك)

لوحة رقم (١٥)

منذنة مسجد المرأة فاطمة شقر

لوحة رقم (١٦)

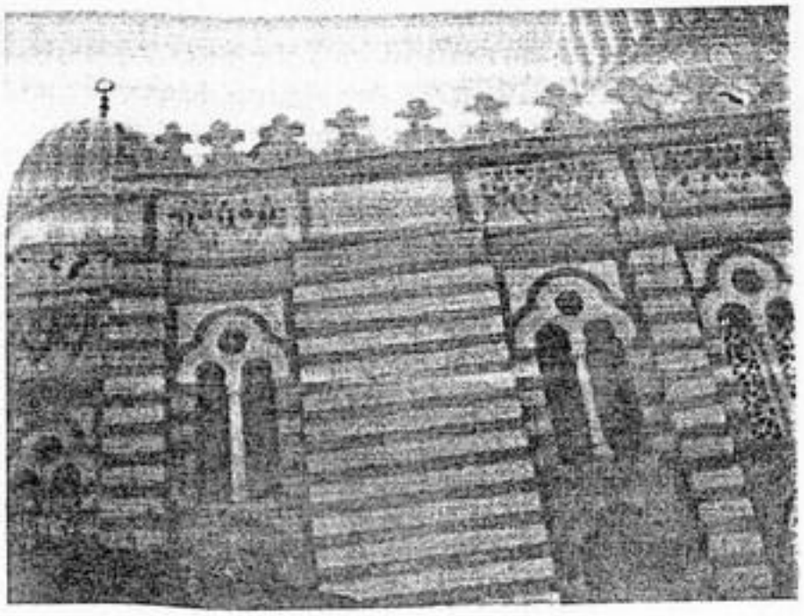

مدرسة أم السلطان شعبان

لوحة رقم (١٧)

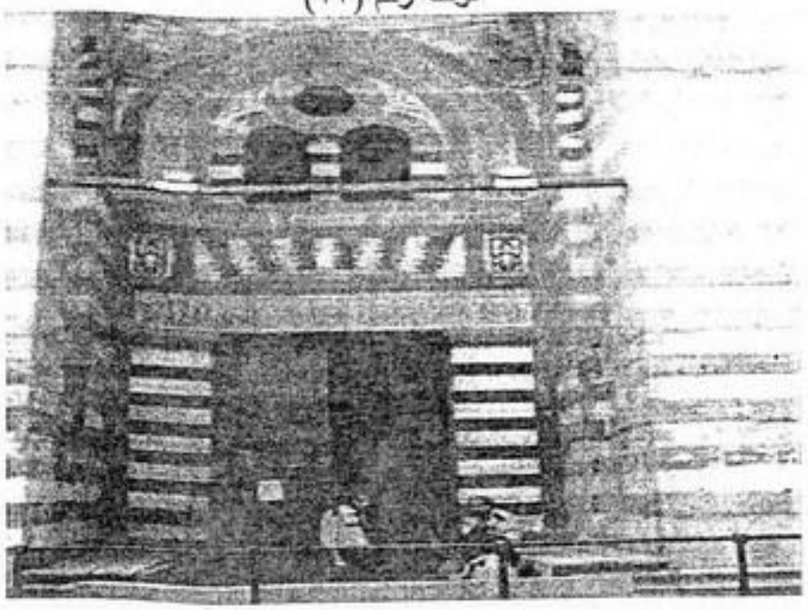

المدخل الرئيسي لمدرسة أم السلطان شعبان

لوحة رقم (١٨)

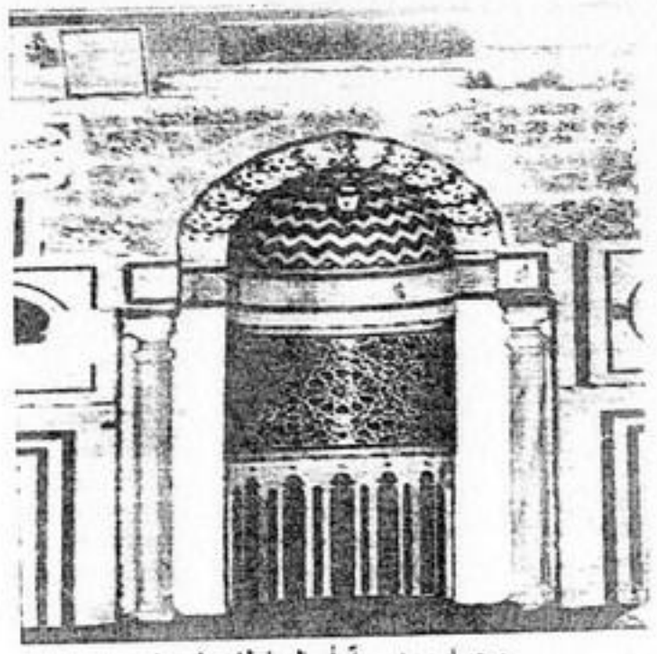

محراب مدرسة أم السلطان شعبان

لوحة رقم (١٩)

القبة الصغيرة لمدرسة ام السلطان شعبان

لوحة رقم (٢٠)

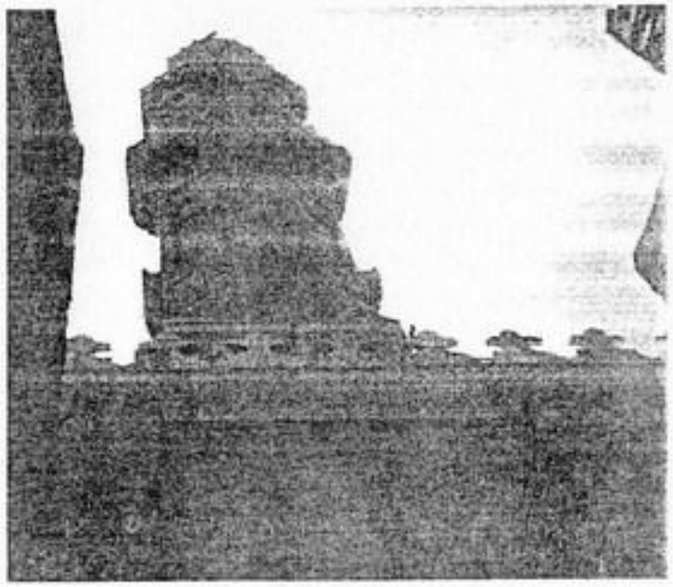

مئذنة مدرسة أم السلطان شعبان

لوحة رقم (٢١)

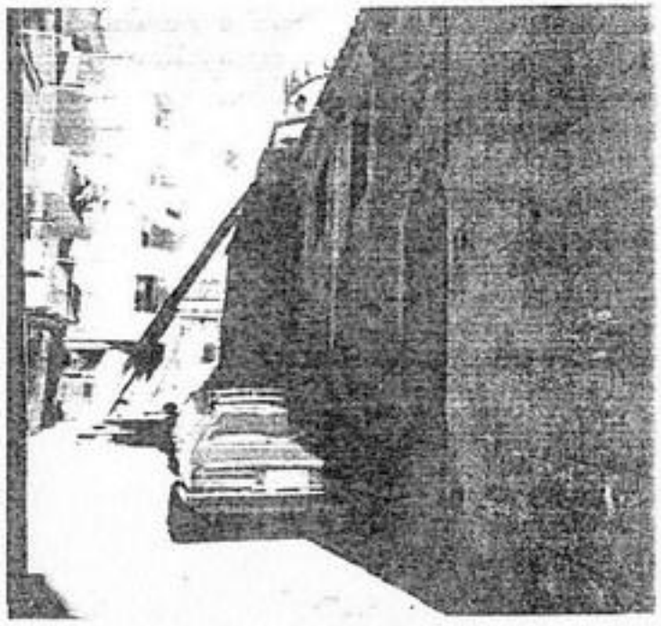

الوجهة الغربية لمدرسة تاتار الحجازية

لوحة رقم (٢٢)

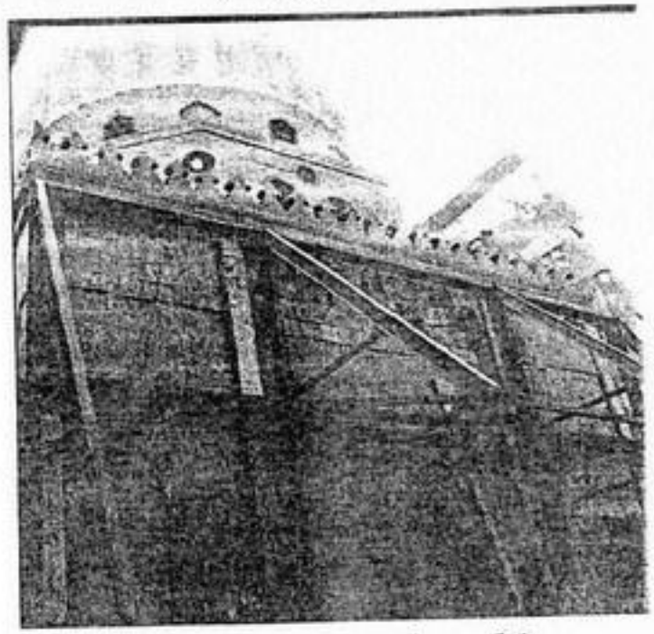

قبة مدرسة تاتار الحجازية من الخارج

لوحة رقم (٢٣)

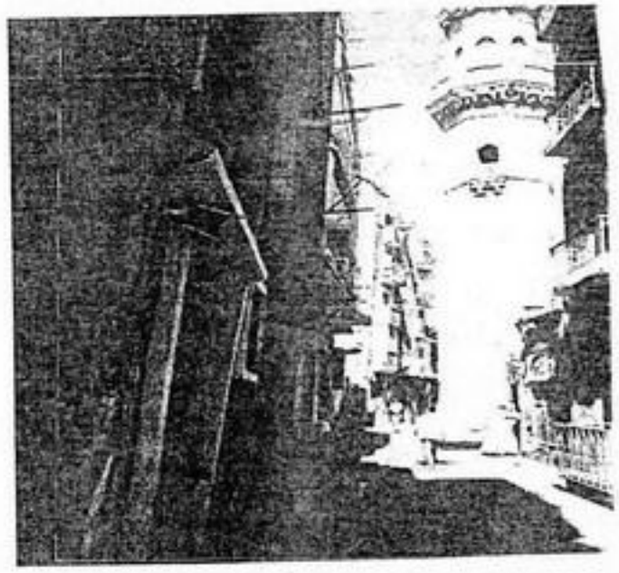

منذنة مدرسة تاتار الحجازية

لوحة رقم (٢٤)

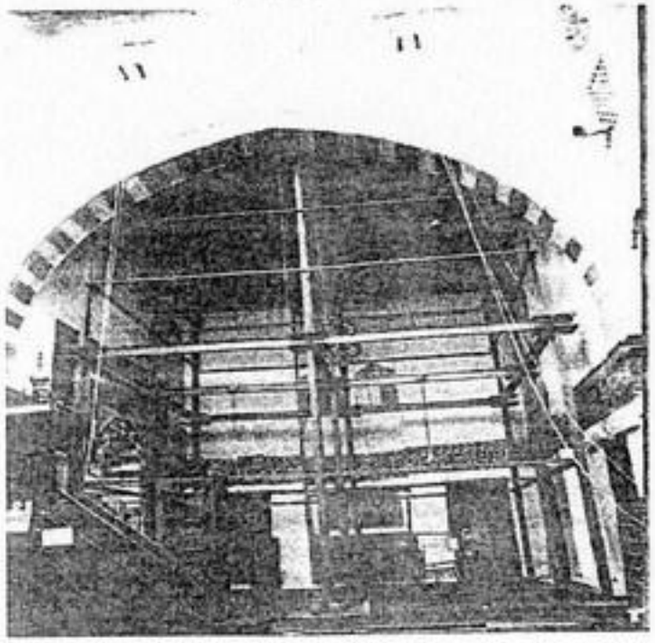

إيوان القبلة في مدرسة تاتار الحجازية

لوحة رقم (٢٥)

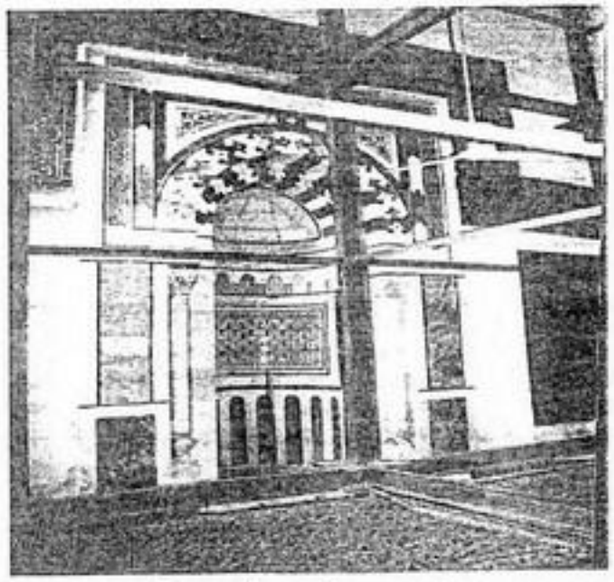

محراب مدرسة تاتار الحجازية

لوحة رقم (٢٦)

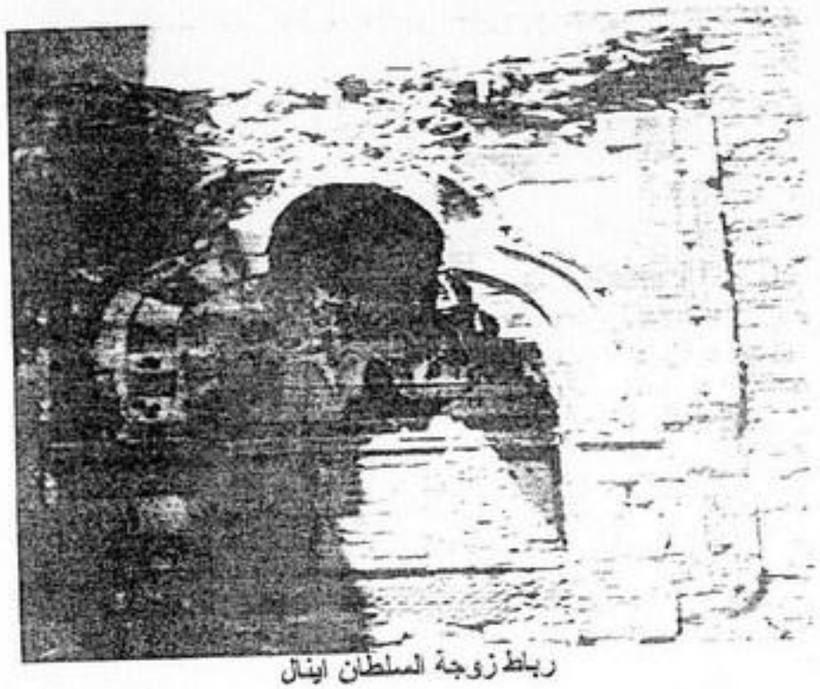

رباط زوجة السلطان اينال

لوحة رقم (٢٧)

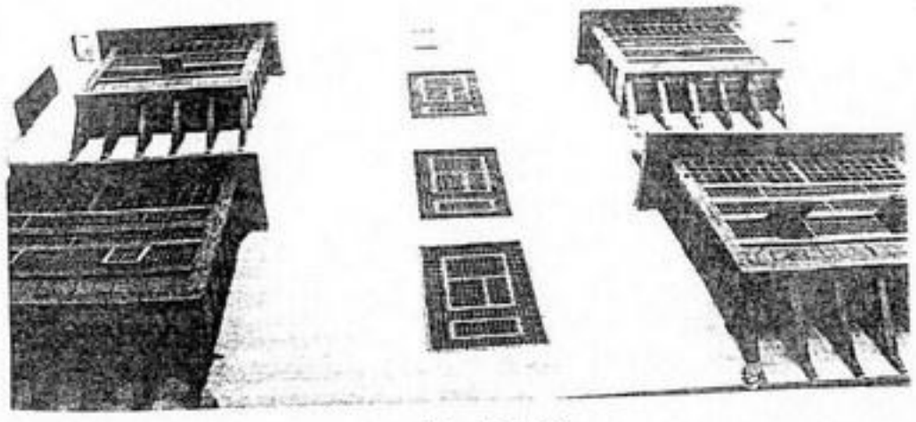

منزل زينب خاتون

الاشكال

شكل(١)

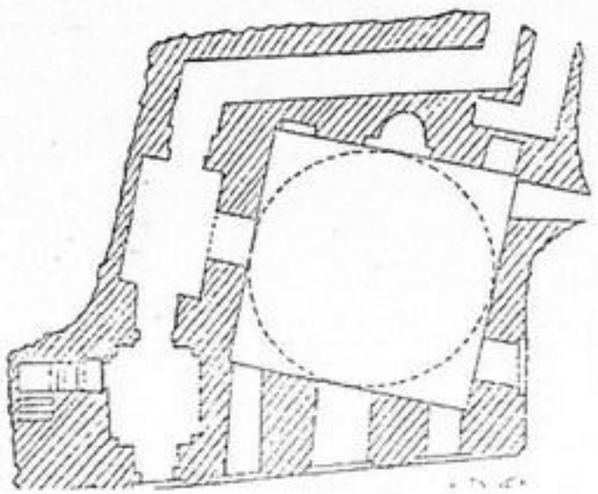

مسقط أفقي لضريح الملك الصالح نجم الدين أيوب نقلاً عن مصلحة الآثار، مساجد القاهرة ومدارسها ، ص٤١.

شكل(٢)

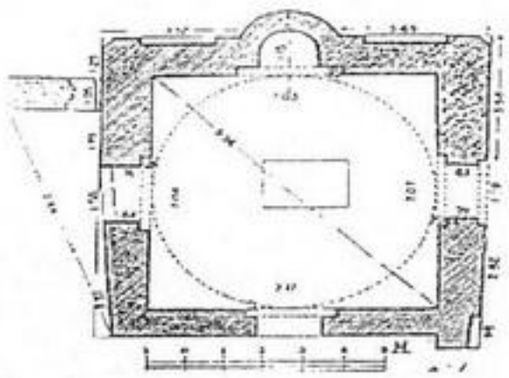

مسقط أفقي لضريح شجر الدر نقلاً عن مصلحة الآثار، العمارة الإسلامية في مصر ، ص١١٣.

شكل(٣)

مسقط أفقي لضريح قطمة خاتون نقلاً عن مصلحة الآثار، مساجد مصر ، ص٥١.

شكل(٤)

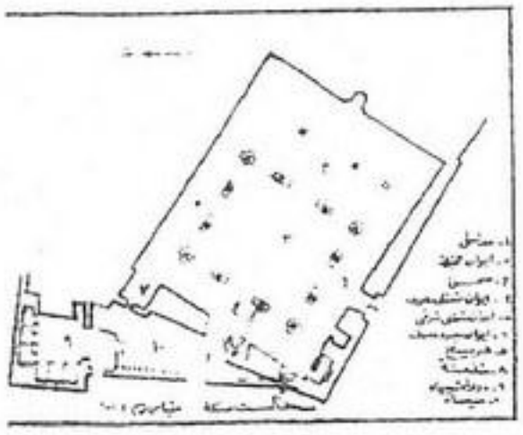

مسقط أفقي لمسجد الست مسكة ، عن دليل الهيئة العامة للآثار

شكل(٥)

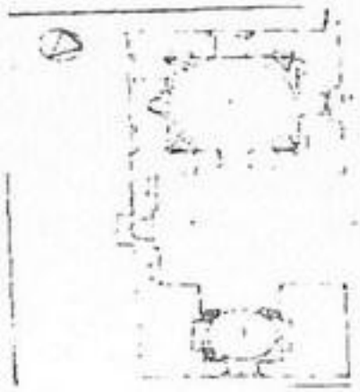

رسم أفقي لخانقاة طغاي ، عن دليل الهيئة العامة للآثار

شكل(٦)

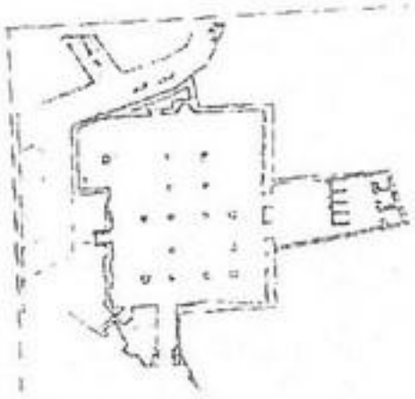

شكل(٧)

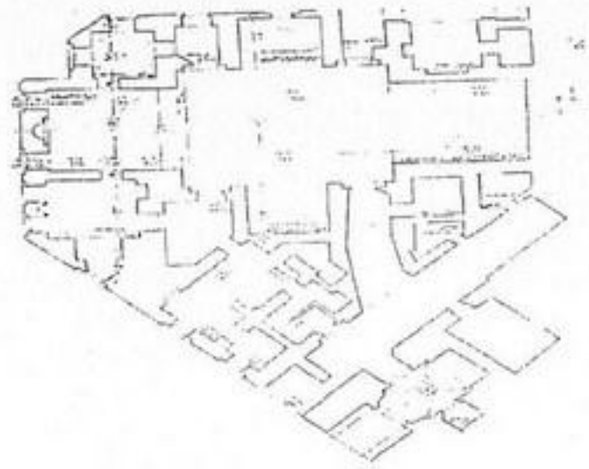

مسقط أفقي لمدرسة أم السلطان شعبان ، عن المصلحة العامة للآثار

شكل(٨)

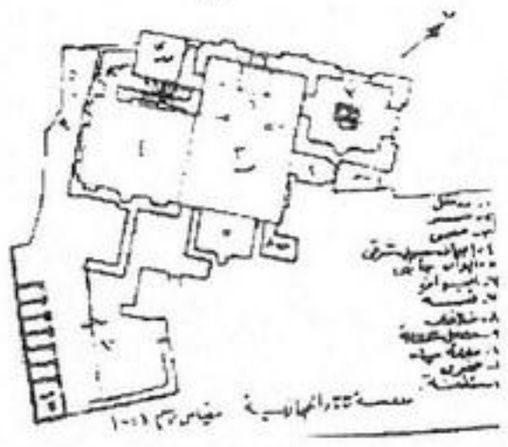

مسقط أفقي لمدرسة تاتار الحجازية ،عن دليل الهيئة العامة للآثار

شكل(٩)

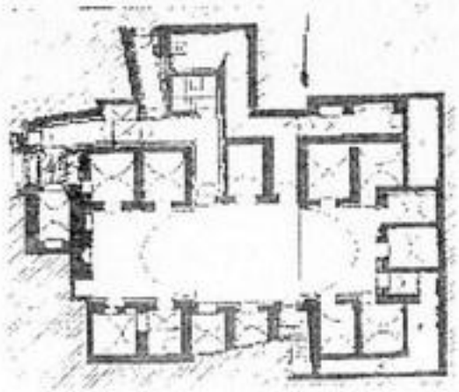

مسقط أفقي لرباط زوجة السلطان أينال ،عن دليل الهيئة العامة للآثار

شكل رقم (١٠)

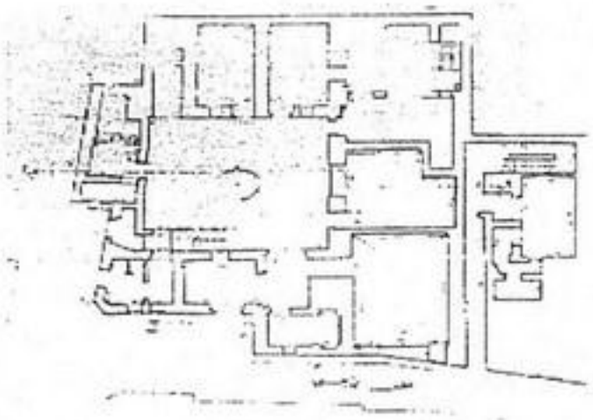

مسقط أفقي للدور الارضي لمنزل زينب خاتون ، عن مصلحة الآثار

شكل رقم (١١)

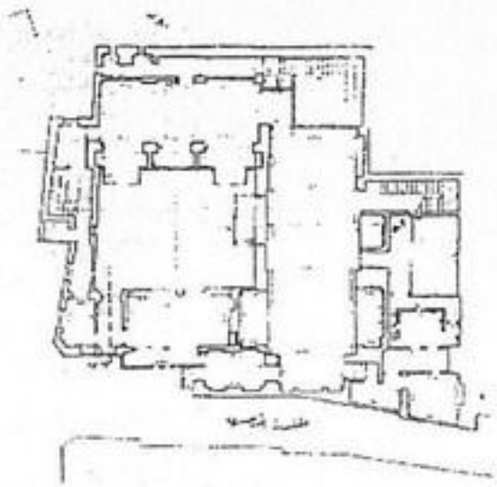

مسقط أفقي للدور الأول لمنزل زينب خاتون ، عن مصلحة الآثار

شكل رقم (١٢)

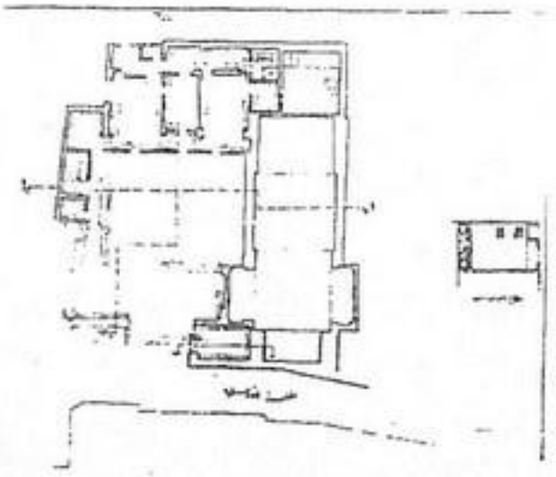

مسقط أفقي للدور الثاني لمنزل زينب خاتون ، عن مصلحة الآثار

الوثيقة

عقـد زواج

هذا العقد باسم ليلي بنت سليمان الناهي يرجع إلى العصر المملوكي محفوظ حاليا بمتحف قسم الآثار بكلية الآداب بسوهاج بجامعة جنوب الوادي وهو من ضمن المجموعة المهداه من المتحف المذكور من الأستاذ الدكتور هنري أمين عوض رقمي الأحاد والعشرات من تاريخ كتابته هما ست وثلاثين، وربما مكون رقم المئات من سبعمائة أو ثمانمائة، وكذلك فان هذا العقد لم يسبق نشره من قبل ، وينشر في هذا البحث لأول مرة.

تفصيل من عقد الزواج السابق

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم والحديث الشريف.

أولاً : المصادر

- ابن أبي الفضائل (مفضل ابن أبي الفضائل)

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩١١م .

- ابن الأثير (أبو الحسن علي ابن أبي كرم محمد ابن محمد عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) :

الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧.

- ابن الأخوة (محمد ابن محمد ابن احمد القرشي ، ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٦م) :

معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ، وصديق احمد عيسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م.

- ابن إياس(أبو البركات محمد بن احمد بن إياس الحنفي المصري ،ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م) * بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق ، محمد مصطفي ، ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ /١٩٨٤م

- ابن ايبك الدوداري (أبو بكر ابن عبد الله ابن ايبك الدوداري) :

كنز الدرر وجامع الغرر ، نشر هانس روبرت رويمر ، القاهرة ١٩٦٠م

- ابن تيميه (تقي الدين احمد ابن عبد الحليم بن تيميه)

مجموعة فتاوى ، ج٢، القاهرة ١٣٢٦ هـ

- ابن دقماق (صارم الدين محمد ابن أيدمر العلائي ، ت ٨٠٩هـ/ ١٨٠٦)

الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٨٩٣م .

- ابن دنيال الموصلي:

خيال الظل وتمثيليات ابن دنيال ، دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م

- **ابن جبير (أبو الحسن محمد ابن احمد البلنسي ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)**

تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير ، ط١ ، ملزمة الطبع والنشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة

- **ابن الحاج(أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي ، ت ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٧ م)**

المدخل ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م

- **ابن حجر (أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩ م)**

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٢٩–١٩٣٢ م .

إنباء الغمر بأبناء العمر ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، دائرة الكتب العلمية بيروت لبنان

- **ابن خلدون(عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)**

العبر ودبوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ، ح٥ ، القاهرة ١٨٦٧–١٨٦٨ م

- **ابن سودون (نور الدين أبو الحسن علي بن سودون ،(ت ٨٦٨ هـ /١٤٦٣ م)**

نزهة النفوس ومضحك العبوس ، القاهرة ١٢٨٠ هـ/١٨٦٣ م

- **ابن شاهين** (خليل بن شاهين الظاهري ، **ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م)**

زبدة كشف الممالك باريس ١٨٩٤.

- **ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري ت ٩٠٠ هـ /١٤٩٥م)**

:إنباء الهصر بأبناء العصر ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٠م

- **ابن ظهيرة :**

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، (تحقيق ونشر مصطفي السقا وكامل المهندس) ،القاهرة ١٩٦١،

- **ابن كثير (الحافظ ابن كثير القرشي ،ن ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)** : البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

- **ابن الميسر(تاج الدين محمد ابن يوسف بن جلب راغب ، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)**

المنتقي من أخبار مصر ، انتقاه تقي الدين احمد ابن علي المقريزي ، حققه ايمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي للآثار الشرقية ، القاهرة .

- **أبو المحاسن بن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، ت٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :**

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ – ١٩٧٢ م

منتخبات من حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور ، كاليفورنيا ١٩٣٠-١٩٦٨ م

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨

- **الأمام أبي محمد ابن عبد الله ابن أسعد ابن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعي المكي**

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٤ ، ط١ ، مطبعة دار المعارف القطامية ، الكائن بمدينة حيدر أباد ، سنة ١٣٣٩ هـ .

- **إبراهيم الحنبلي (أبو البركات الحنبلي عز الدين احمد ابن إبراهيم نصر الله الكناني العسقلاني الأصل ثم المصري الحنبلي ، ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)**

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق وتعليق مديحه الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م

- **البوصيري (شرف الدين أبي عبد الله بن محمد سعيد ، ت ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦ م)**

الديوان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط١ ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٥ م

- **الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد ، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)**

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ م

- **الادفوي (كمال الدين أبى الفضل جعفر بن ثعلب ، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)**

الطالع السعيد لنجباء الصعيد ، الدار المصرية للترجمة ١٩٦٦ م .

- **ابن الزيات**

الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ، بولاق ١٩٠٧

- **السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ، ت ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م)**

معيد النعم ومبيد النقم ، حققه وعلق عليه محمد علي النجار ، وأبو زيد شلبي ، ومحمد أبو العيون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.

- **السخاوي- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ/ ١٩٤٧ م)** .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٢٥- ١٣٥٥ هـ

التبر المسبوك في ذيل السلوك : بولاق ١٨٩٦م

- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)**

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة إدارة الوطن بمصر ، ١٢٢٩هـ
الكنز المدفون والفلك المشحون ، بولاق ١٢٨٨ م

- **الشربيني (يوسف ابن محمد ابن عبد الجواد ابن خضر الشربيتي)**

هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف ، بولاق ١٢٧٤هـ

- **(الشيخ الإمام محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي)**

مختار الصحاح ، ط١ ، ١٩٨٨ ، مكتبة لبنان

- **الشعراني (عبد الوهاب الشعراني ، ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) :**

لواقع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، طبع المطبعة الميمنية بمصر ، ١٣٢١هـ
البحر المورد في المواثيق والعهود ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر،١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م

- **العيني(بدر الدين محمود ، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٥١م)**

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

- **علي بن داود الجوهري ، ت في حدود سنة ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م)**

نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان : القاهرة ١٩٧٠ ـ١٩٧١

- **القلقشندي (شهاب الدين احمد ابن علي ، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م)**

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٩ م.

- **محمد ابن الحسن الشيباني**

كتاب السير الكبير ، تحقيق صلاح الدين منجد ، القاهرة ، ط١، ١٩٥٨م.

- **محمد بن علي الشوكاني**

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط١ ، سنة ١٣٤٨ هـ ؛ **مطبعة السعادة** القاهرة .

- **المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الشافعي ، ت٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م)**

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمي محمد احمد ، ١٩٧٣م
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ١٢٠٧ هـ
- السلوك في معرفة دول الملوك ، تحقيق دكتور محمد مصطفي زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٩م.

إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق ، محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين الشيال ، القاهرة ،١٩٥٧.

- **النويري (شهاب الدين بن عبد الوهاب، ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)**

نهاية الأرب في فنون الأدب ج٤، دار الكتب المصرية

- **ياقوت الحموي(الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) :**

معجم البلدان ، ط١ ١٩٨٦م ، دار صادر بيروت

ثانيا المراجع

- **احمد الشامي :** الحضارة الإسلامية وانتشارها وتأثيرها في الحضارة الأوربية ، مطابع الهدايا ، ١٩٩٩ م
- احمد عبد الرازق : المرأة في مصر المملوكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.
- **أحمد فكري :** مساجد القاهرة ومدارسها ، ج ٢ : دار المعارف مصر
- **أحمد مختار العبادي :** تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ، ١٩٩٤م .
- **أحمد ممدوح حمدي :** معدات التجميل ، بمتحف الفن الإسلامي ، القاهرة ١٩٥٩ م
- **آمال العمري :** العمارة في مصر الإسلامية ٠ العصرين الفاطمي والأيوبي ، القاهرة ١٩٩٦م
- **امتثال محمود مرسي :** دراسات اثارية إسلامية ، المجلد الرابع ، القاهرة ١٩٩١
- **أولج فولكف :** القاهرة مدينة ألف ليله وليله " ترجمة احمد صيلحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م
- **حسن الباشا :** الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ١٩٥٧م ، مكتبة النهضة المصرية .

الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية ، ج ١ ، ١٩٦٥ م، دار النهضة العربية

- **حسن إبراهيم حسن :** الدولة الفاطمية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٧ ،

- **حسن قاسم :** المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- **حسني نويصر** : العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، مكتبة زهراء الشرق

العمارة في مصر في عصري الأيوبيين والمماليك ، زهراء الشرق ، القاهرة ١٩٩٨

- **رأفت النبراوي** النقود الإسلامية منذ القرن السادس وحتى القرن التاسع ح١ القاهرة ٢٠٠٠م .)
- **ربيع حامد خليفة :** البلاطات الخزفية في عمائر القاهرة العثمانية ، دارسة أثرية فنية ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م
- سعاد ماهر : عقود الزواج علي المنسوجات الأثرية ، القاهرة ١٩٦٠

الخزف التركي، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

- سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧ م.

تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٩٣ .

الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠.

مصر في عصر دولة المماليك البحرية. القاهرة ١٩٥٩.

- **سيده إسماعيل كاشف** : مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي نهاية الدولة الإخشيدية (٢٠ ـ ٣٥٨ هـ / ٦٤١ ـ ٩٦٩ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .
- **صالح لمعي :** أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة ، الدراسات التخطيطية والمعمارية ومركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ، القاهرة ، سنة . ١٩٩٠
- **طاهر الطناحي :** ألف ليلة وليلة القاهرة ١٩٥٨ هـ
- **عاصم رزق :** معجم المصطلحات في العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٠م

خانقاوات الصوفية في مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي ٥٦٧ ـ٩٢٣ هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧ م ، ح١ ، الطبعة الثامنة مكتبة المدبولي– القاهرة.

- **عاطف عبد الدايم عبد الحي :** شارع تحت الربع منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ١٣هـ /١٩ م ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، سفر ١٤١٨هـ / يوليو ١٩٩٧م .
- **عادل شحاتة ربيع :** شارع الخليفة وامتداده ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٨.
- عبد الرحمن زكي : الحلي في التاريخ والفن ، من سلسلة المكتبة الثقافية ، عدد رقم ١٢٦ ، القاهرة ١٩٦٥

القاهرة وتاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ : الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

- **عبد الرحمن الرافعي، سعيد عاشور :** مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة ١٩٩٧م .
- **عبد اللطيف حمزة :** الحياة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، القاهرة ١٩٦٨
- **عبد الغني محمود :** التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ م
- **عبد الوهاب حمودة :** صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- **علي مبارك :** الخطط التوفيقية الجديدة ، ج٦ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- **فريد الشافعي :** العمارة العربية في مصر الإسلامية :عصر الولاة ،١٩٧٠م
- **قاسم عبده قاسم :** عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .
- **نبيل محمد عبد العزيز محمد :** الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك، ط ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ م .

- **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية(سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٨ م،
- **محمد الششتاوي سند الرفاعي** : منشآت رعاية الحيوان بالقاهرة في العصر المملوكي والثماني ،مخطوط رسالة دكتوراه مقدم لكلية الآثار جامعة القاهرة . سنة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.
- **محمد مصطفي زيادة** : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور لابن اياس ، القاهرة ٩٥١
- **نريمان عبد الكريم** : المرأه في مصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

الرسائل العلمية

- **ربيع حامد خليفة** : البلاطات الخزفية في عمائر القاهرة العثمانية ، دارسة أثرية فنية ، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م
- **سعاد ماهر** : الحمامات في مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٨٣
- **سمير عبد المنعم خضري غنيم** : الأربطة الباقية بالقاهرة من العصر المملوكي ٤٦٨ ـ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م . رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
- **شفيقة فرني سيد أبو النصر** : خطط القاهرة في ظاهرها الجنوبي الغربي (الناصرية – الحنفي – عابدين) منذ بداية العصر الإسلامي وحتى نهاية العصر العثماني – دراسة أثرية حضارية -رسالة دكتوراه غير منشورة. ١٩٩٨م/١٤١٨هـ
- **عادل شحاتة ربيع** : شارع الخليفة وامتداده ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٨
- **عاطف عبد الدايم عبد الحي** : شارع تحت الربع منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ١٣هـ/١٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، صفر ١٤١٨هـ / يوليو ١٩٩٧ م
- **عصمت عبد الله مجاهد رشيد** : الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر في عصر الدولة الأيوبية ٥٦٧ـ٦٤٨ هـ/١١٧١ ـ ١٢٥٠ م رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، جامعة الزقازيق، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م
- **عيد محمد أبو زيد** : مجتمع القاهرة في العصر الأيوبي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، فرع بنها
- **محمد الششتاوي سند الرفاعي** : منشآت رعاية الحيوان بالقاهرة في العصر المملوكي والثماني ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدم لكلية الآثار جامعة القاهرة . سنة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م
- **ميرفت عيسى** : مدرسة خوند بركه أم السلطان شعبان ، مخطط رسالة ماجستير مقدم لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٧م / ١٣٩٨هـ
- **نيرة عبد النبي** : المرأة في مصر في العصر الأيوبي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الأزهر

الدوريات

- **عبد المنعم ماجد** : " امرأة مصريه تتزعم مظاهره" ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٧ ، العدد الرابع والعشرون
- **علي السيد علي** : "القاهرة في عيون الرحالة الأوربيين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر " ، مجلة فكر للدراسات والأبحاث ، العدد ١٣ ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧٥ .
- **فريد شافعي** : مئذنة مسجد بن قلاوون ، رأي في تكوينها المعماري ، مجلة كلية الآداب ، م ١٤ ج١ ، ١٩٥٢م

الملخص

- **Ahmed Abd EL Raziq:** undocment concernant le marigery des esc laves au temps des mamluks, TESho, 1970.
- **Ashtor:** le Evolution des prix dans le proche-orient a la basse-epoque, JESHO, IV(1961)
- **Edward lane :** the manners and customs the modern egyptions , London,1966
- **Goitein** : The cairo geniza as asurce for the history
- K.A.C Creswell, C.B.E: The muslim Architecture of Egypt, oxford . At the clarendon , press, mcmolix, 1932-1940
- **Mordrus:** le live des mille et une nuits t . 1 paris,1965
- **Schefer :** le voyage d'outremer de jean thenaud , paris, 1864.

الملخص

استطاعت المرأة في العصر المملوكي أن تؤكد وجودها بشكل واضح وجوهري ملموس فشاركت في الحياة السياسية والعامة، وحاولت الدفاع عن حريتها وحقوقها ، ولمتكن المرأة مستسلمة للأوضاع القائمة آنذاك .

كما نالت المرأة في عصر سلاطين المماليك قدر كبير من الاحترام والتقدير ، سواء كانت من الطبقة العليا أو طبقة العامة ، ومما يؤكد مكانة المرأة في المجتمع أن أول من حكم مصر في عصر سلاطين المماليك امرأة ، وهي شجر الدر التي أثبتت أنها امرأة من طراز خاص ، ما لعبت نساء السلاطين والأمراء دورا بارزا في كافة شئون الحياة ،وخاصة شئون الحكم ، حتى وصلت إلى التحكم في أمور العزل والولاة .

كانت المرأة في العصور الوسطي مثل جميع النساء في أي عصر ومكان تهتم بالبيت والأسرة ، وخاصة الأبناء، كما كانت المرأة تحتفل بكل المناسبات العائلية من زواج ، وختان ، وولادة وغيرها من الاحتفالات العائلية ، وكانت فرحة الأسرة كبيرة عندما ترزق بمولود ذكر ويكون الاحتفال به كبير ، فضلا عن أن المرأة نالت قدرا كبيرا من الحرية ، وظهر لنا ذلك جليا من خلال نشاطها ، والأعمال التي كانت تمارسها وتقوم بها ، وقد اهتمت النساء في تلك الفترة أيضا بالناحية الدينية، وحضور مجالس العلم.

تميزت فترة حكم المماليك بالاهتمام بالرفاهية والبذخ والاحتفالات الفخمة، كما اهتم المماليك بالغناء والموسيقي والفنون المختلفة ، وظهر ذلك من خلال شغفهم بالمغنيات والجواري ، اللاتي انتشرن في تلك الفترة بصورة كبيرة .هذا فضلا عن اهتمام المرأة و أناقتها .

كما تأكد الدور البارز التي لعبته المرأة ، ومكانتها في المجتمع من خلال ما أنشأته من عمائر ،أو ما أنشأت اجلها ، فهو دليل ملموس لا شك فيه يحمل الحقائق

and female singers that spread in that age in large scole in addition to interest of the women by the beauty and elegancy .

The obvious role that played by women and her attitude in the community through that build of building and that built for her that was an obvious no doubly that carry the historical truth that indicate what reached of the women high attitude in mamloky community.

In spite of the Islamic middle ages communities were male communities but the women could over come this community consistently and she could prove her self and she goined the respect of all.

التاريخية التي تدل علي ما وصلت إليه المرأة من مكانه مرموقة في المجتمع المملوكي .

علي الرغم من أن مجتمعات العصور الوسطي الإسلامية بأنها كانت مجتمعات رجالية في المقام الأول، لكن المرأة استطاعت في عصر المماليك أن تؤكد وجودها بشكل واضح وجوهري ملموس ، وان تنال احترام الجميع .

Summary

The women in Mamlokey age ca confirm its existence obviously and vitally , sharing in social life and general life and she tried to defend her liberty and her rights and she didn't passive for the circumstances there out .

The women gained in Mamalik salatin age more attitude of respect and dignity ever she from roler class or from general class. The most example to confirm the value of the women in Momloky community that the first roler of Mamalik age was a woman called "shegaret elder " that proved that she was from special style . The wives of salateens and prenses had obvious role in all life sides especially in governing affairs that reached to control hiring and firing .

The women in the middle ages like all women in all ages and places interest in home, family, especially kids .She was calibrated in all family actions as marriages, birth and others , In addition to large amount of freedom that gained by her that displayed from her activity and the works she done and the women of this age by the religion and attending of scientific meetings .

The mamalik age charged by interesting in well fare and more expensive and huge celebration. Mamalik was interested in singing, music that was obvious from there interest of gawary

Ain shams university
EL.Banat faculty
History department

Woman In Mamloky age
And her most important Monumental buildings

THESIS to
Partial fulfill Master degree in Islamic history

By

Walaa hamdy Abd El-monaam El-nabarawy

Under Supervision of :

Main supervisor

Prof.Dr.Sayeda Ismail Kashef
Chair professor in medieval and Islamic history

Supervisor

Prof .Dr.Alia Abd El-sami El- Ganzory
Professor in medieval history

2006